
كنت سفيرا فى السودان
عبدالله السريع

كنت سفيراً فى السودان

عبد الله السريع

(بسم الله الرحمن الرحيم)

« تقـــديم »

هـذا السِّــفر النَّفيس

لا أعرف دولة عربية قدمت لجنوب السودان من العون ما قدمته له دولة الكويت ، بل لعلَّها الدولة العربية الوحيدة التى هبَّت فى نخوة ومروءة نادرة المثال لنجدة ذلك الجزء من السودان بالعطاء والجهد والبذل منذ أن رفرفت فيه ألوية السلام بعد تمرّد وحرب أهلية ظلّت نيرانها مشتعلة سبعة عشر عاماً ، تزهق خلالها الأرواح ، وتسيل الدماء ، وتخرِّب وتدمِّر ، وتدفع بمئات الآلاف من المواطنين للنزوح من ديارهم إلى حيث يجدون الأمن والأمان فى الدول المجاورة والأحراش ، حتى تحقق السلام فى مستهل عام ١٩٧٢ بفضل إبرام اتفاقية أديس أبابا ، فنهض الجنوب من كبوته وعاد إليه أهله ، وتوفرت له القيادة الرشيدة تبنى من جديد ، وتعمل لإعادة الثقة بين المواطنين ، وتستنفرهم لما فيه خيرهم ، وخير بلادهم . وتُنجز من الأعمال فى أحد عشر عاماً ما يثير التقدير والإعجاب .

وكان الدكتور عبد الله السريع أو عبد الله جوبا ، كما يحلو لأهل الجنوب أن يسمّوه ، خير شاهد على عطاء دولة الكويت الشقيقة . وقد استطاع بفضل أريحيته وعمق إنسانيته وما حباه الله به من خلق عظيم ، وقوة على تذليل الصعاب ، ورغبة صادقة فى الأخذ بيد الإنسان أن يكون خير رسول لدولته هناك مما نجد تفاصيل عطائه منثوراً كالمصابيح المضيئة فى كتابه الأول « سنوات فى جنوب السودان » .

واستطاع بهذا الجهد العظيم منه أن ينتزع تقدير أهل الجنوب والشمال على السواء فى المستويين الرسمى والشعبى . وقد خلعت عليه جامعة جوبا ، وهى تخرج الدفعة الأولى من بنيها ، الدكتوراه الفخرية مع قلّة من العظماء ، اعترافاً بأفضاله ، وتقديراً لعطائه . وينال هذا الجهد منه أيضاً تقدير دولة الكويت فتعيِّنه

سفيراً لها لدى جمهورية السودان . ويواصل فى منصبه الرفيع هذا ، عطاءه لدعم العلاقات الأزليّة بين القطرين الشقيقين . وتواصل دولة الكويت عطاءها وعونها للسودان بتقديم قروض لمشاريع مختلفة فى مجال التنمية غير ما قدمته الجمعيات الخيرية الكويتية من عون فى إنشاء كثير من المشروعات الإجتماعية مما نسجله فى كثير من التقدير والشكر والعرفان .

واليوم يُصدر الدكتور عبد الله السريع هذا السِّفر النفيس عن السودان فيسميه « كنت سفيراً فى السودان » يصف فيه العلاقات بين الشعبين ، والجهود التى بذلها فى مختلف المجالات لدعمها وتطويرها .

والكتاب يتألف من عشرة فصول تسرد على قارئه تجربته ونشاطه الثرى عبر أربعة عهود ، أولها فترة حكم الرئيس السابق جعفر محمد نميرى ، فالفترة الانتقالية ، فحكم الأحزاب ، فانقلاب يونيو ١٩٨٩ . ويصف الجهود التى بذلها لاطفاء نيران الحرب الأهليّة التي اشتعلت فى الجنوب عام ١٩٨٣ من جديد . ويواجه الوطن العربى خلال تقلّده لمنصبه الرفيع فى الخرطوم أعظم محنة ومأساة يعرفها فى تاريخه الحديث هى غزو العراق للكويت . ويتدفّق السودانيون نحو داره العامرة مستنكرين ، ولكنّ أجهزة الاعلام الرسمية تتخذ موقفاً معادياً للكويت ومناصراً للعدوان ، فيؤرقه هذا الجحود ولكنه لا يستسلم أو تلين له قناة ، ويعمل ما وسعه العمل ليدفع عن بلاده الظلم . ويصف لنا هذا كله فى سفره النَّفيس هذا .

إن الكتاب بحق إضافة قيّمة جديدة للمكتبة العربية ، ولا أريد أن أستعرض فصوله حتي لا أفسد على القارىء متعته فى الإطلاع عليه ، فليهنأ الدكتور عبد الله بما أنجز وليهنأ السودان بما يجده من تقديم عبر هذا السفر النفيس ، وبقلم صديق من أصدقائه الأعزّاء .

بشير محمد سعيد

القاهرة :
الخميس التاسع من شهر محرم ١٤١٣ هـ .
الموافق : الخميس التاسع من شهر تموز ١٩٩٢ م .

(بسم الله الرحمن الرحيم)

مقـدمة المـؤلف

غادرت مطار الخرطوم فى يوم الخامس والعشرين من شهر أغسطس عام ١٩٩١ مودعا السودان بوصفى سفيرا لبلادى فيه ، وما أن استقريت فى مقعدى بالطائرة حتى وجدتنى ألصق وجهى على النافذة الزجاجية .. أطل منها بشغف على المبانى الجامدة أمامى وأخالها تلوّح لى مودعة ، وأنظر إلى أناس يتحركون حول الطائرة وخارج مبنى المطار فشعرت كأنى أودع فيهم أهلى . وتملكنى شعور بالحنين إلى العودة ، فقد اشتقت إلى الخرطوم قبل أن تقلع الطائرة من مدرجها ، كيف لا .. وهذا هو البلد الذى عشت فيه قرابة ثلث عمرى من الثالث والعشرين من شهر سبتمبر عام ١٩٧٤ حتى نهاية اليوم الرابع والعشرين من شهر أغسطس عام ١٩٩١ ، خدمة متصلة لم يفصل بينها إلا الإجازات التى كنت أقضيها فى الخارج .

إنى أودع فى السودان ماءه .. ترابه .. سماءه .. هواءه .. هبوبه* .. أودع فيـه « ملاح الويكـا » و «الشّيّـه » و « المـرارا » و « المديـــدة » و « العصيدة »** و « الحلومر »*** و « القُرَّاصة »**** .. وفوق هذا أودع فيه شعبه الذى أحببته بصدق وإخلاص لوداعته وطيبته وكرمـه وتسامحـه وبساطته وعفويته ، فلم أشعر يوماً أننى غريب فى وسطهم ، وكنت أتبادل الزيارات معهم بدون موعد سابق ، أى مواطن أو مسئول أشعر برغبة فى زيارته لا أجد حرجاً .. أركب سيارتى وأذهب إليه ، فإذا كان فى منزله فأنا فى موضع الحفاوة والتكريم حتى أستأذن راغبا فى العودة .

وليسمح لى القارىء أن أسوق أمثلة قليلة على أصالة هذا الشعب كنماذج فقط وليس كما .

الدكتور « أسادور كامجيان » طبيب سودانى ، كنت أطلبه كثيرا لعلاجى أو علاج أىّ من أفراد أسرتى ، فيحضر إلى منزلى ويجرى الفحص اللازم . وإذا كان العلاج معه فى حقيبته يفتحها ويقدمه لنا ، وإن لم يكن معه وموجود فى

(*) فى الرياح العاصفة التى تثير التراب .

(* *) أكلات شعبية سودانية .

(* * *) مشروب محلى .. يكثر تناوله فى شهر رمضان .

(* * * *) نوع من الرغيف .

عيادته يقول كلمّوا السائق يلحق بى لأعطيه الدواء ، أو يكتب « روشتة » لنشتريه من الصيدلية إذا كان غير متوفر عنده ، وما حصل يوماً أن قدّم للسفارة كشفا يطالب فيه بحساب ، فظننت أن زميلى السفير السابق قد تعاقد معه لإجراء العلاج مقابل مبلغ شهرى ثابت تدفعه الخارجية الكويتية إلى حسابه فى الخارج ، وتعاملت معه على هذا الأساس ، وذات يوم قلت له إنه لم يطالب السفارة بأتعابه ولا بثمن الدواء الذى يقدمه لنا مما يعنى أن الخارجية الكويتية تدفع لحسابه فى الخارج ، وسألته عن المبلغ الذى تدفعه لعَلّى أتمكن من رفعه ؟ فابتسم مندهشاً وقال إننى لا أتقاضى منكم أجراً ، فيكفينى ما تقدمه بلدكم للسودان فى مجال التنمية .. قلت : ولكنك طبيب وفاتح عيادة .. قال وأنتم فاتحون الكويت لآلاف السودانيين ليعيشوا ويسترزقوا من خيرها ، فلما أصررت أن عليه أن يتقاضى أجره كطبيب قال باختصار وفى حياء تام يمكنك أن تبحث عن طبيب غيرى ، فأشعرنى رده هذا بالخجل واعتذرت له .. وعندما قرر السفر إلى الخارج عام ١٩٨٩ لمزيد من الدراسات العليا فى مجال الطب حضر إلى مكتبى مودعاً ، وقال إنه سوف يسافر وأن الدكتورة « إيمان صليب » المساعدة معه فى العيادة سوف تقوم مقامه ، وأنها سوف تلبى طلبنا لها عند الحاجة ، فلم تقصّر وإلى أن غادرتُ الخرطوم نهائياً كانت تحضر وتعطى العلاج اللازم ، واعتذرت أن تتقاضى أجراً .

كذلك فعل المرحوم البروفسير عمر محمد بليل .. فقد كانت زوجتى أحد مرضاه ، تذهب له أحياناً فى العيادة ومرات هو يحضر إلى المنزل ويأتى معه بالدواء اللازم ويجلس معى نتحدث كثيراً ، وأغلب ما كنا نتحدث فيه كانت السياسة فهو ضليع فيها خاصة السودانية منها . وعندما كنت ألح عليه أن يتقاضى أجراً كان يعاتبنى ويبدو عليه الضيق من كلامى هذا ، بل إنه كان يَتَصرَّف ليشعرنى أنه هو الممتن لقيامه بهذا الواجب نحوى ونحو أسرتى .

كذلك كان يفعل معنا الدكتور « زاهر طاهر » منذ أن كنا معاً فى « جوبا » ، وإلى أن انتقلنا فى الخرطوم لم ينقطع عنا كطبيب وصديق ولم يتأخر علينا فى أى وقت نحتاج إليه فيه ، وخلال فترة الغزو العراقى للكويت وقف معنا الدكتور زين العابدين بدوى الذى لم ينقطع عن السؤال عنا ، ويحضر لنا أى دواء نحتاج إليه وكان يدفع ثمنه من ماله الخاص . واذكر الدكتور « عوض نَكَّام » طبيب أسنان ، وهو من أبناء الحلفاية شمال الخرطوم بحرى ، عندما ذهبت إليه زوجتى رفض أن يأخذ منها أجرة الكشف والعلاج عندما عرف أنها زوجة السفير الكويتى ، وقال إن خدمات بلدك وزوجك فى السودان أكبر من أى مبلغ أتقاضاه ،

وأيضاً الدكتور عبد المنعم الشفيع اخصائى عظام ، كان يحضر من أم درمان (١٢ كيلو متراً تقريباً) ويقوم باللازم ويرفض الحديث عن الأتعاب ، وكذلك كان أصحاب شركة نايل سفارى للنقل الجوى بين مطارى الخرطوم وجوبا (جوزيف) ـ توفاه الله ـ وشقيقه (جون) ووالدهما (جورج) ومدير مكتب الشركة فى مطار الخرطوم (محيى الدين عباس) ومدير مكتبهم فى جوبا (جورج) ماكانوا يتأخرون عن نقل أى شيء من مكتب الكويت بجوبا إلى السفارة فى الخرطوم أو العكس وحتى نقل الأشخاص من وإلى الخرطوم ، كانوا يقومون فى كل هذا وبصفة دائمة دون أن يطالبوا السفارة أو مكتب جوبا بأى أجر .

فى يوم من أيام رمضان عام ١٩٨٤ كنت أتسوّق خضاراً وفواكه من السوق الشعبى فى الخرطوم بحرى ، وكنت أرتدى الزى السودانى (الجلابية والعمة) ، وبعد أن استكملت مشترياتى استوقفنى فخذ عجل صغير معلق على واجهة محل جزار ، فتوجهت إلى المحل وطلبت من الجزار أن يزنه لى ، وبعد وزنه قال : إنه يزن اثنى عشر كيلو جراماً بسعر الكيلو خمسة جنيهات ، بذا يكون ثمنه ستون جنيهاً ، فحسبت ما بقى معى من نقود فإذا بها عشرون جنيها فقط ، فقلت للجزار ان عليه أن يزن لي بما يعادل هذا المبلغ فرد قائلا : بل خذ الفخذ كما وزنته لك واحضر ثمنه غداً .. قلت : ولكنك لا تعرفنى فكيف تثق بى ؟ قال : أنا لن أخسر شيئاً ، إن أحضرت المبلغ تكون سددت ديناً عليك وإن لم تحضره تكون قد أكلت أنت وأهلك لحماً حراماً ، وأنا أنال الأجر والثواب من الله على حسن النية والظن فيك . أكبرت فيه هذا .. وفى اليوم التالى لم أشأ أن أبعث الثمن مع السائق بل ذهبت وسلمته له بنفسى وشكرته على حسن ثقته ، وعرّفته بنفسى وأعطيته « بطاقتى » ليتصل بى إن احتاج إلى شيء ، أخذ « البطاقة » ولم يتصل .

★ ★ ★

بعد الغزو العراقى الغاشم للكويت ، وإعلان الدول الكبرى تجميد الأرصدة الكويتية لديها حضر إلى مكتبى عدد كبير من السودانيين يعرضون علىّ استعدادهم لإعطائى أى مبلغ أحتاجه من المال ، لعلمهم بما أن الأرصدة الكويتية قد جمدت فإن حكومتى لن تتمكن من تحويل أى مبلغ لحساب السفارة فى الخرطوم ، ومن هؤلاء السيد أحمد عبد الرحمن المهدى ، والسيد نور الدين الشنقيطى والسيد أحمد مكى عبده ، والسيد عز الدين السيد الذى بعث لى السفير

المصرى السيد محمد تقى الدين الشربينى لينقل لى رغبته فى إعطائى أى مبلغ من المال ، ولم يحدد أى منهم رقم المبلغ الذى ينوى اعطاءه لى ، بل تركوا لى أن أحدده كما أشاء ليس فقط للإنفاق على نفسى ، وإنما للصرف على السفارة وموظفيها وما تحتاجه من مصاريف مختلفة .

كذلك أصحاب محلات الفيديو الذين كانوا يعملون فى الكويت قبل الغزو ، وعادوا إلى الخرطوم ، لا ينقطعون عن زيارة السفارة ، وكانوا فى كل مناسبة لها يقومون بالتسجيل ، ويقدمون الشريط لنا دون أن يطلبوا ثمناً له .

وفى المملكة العربية السعودية خلال فترة الغزو البغيض ، ركبت سيارة اجرة كان يقودها سودانى . عندما نظر لى وأنا أجلس بجواره قال ملامحك ليست بغريبة علىَ فعرفته بنفسى فسر سروراً كثيراً ، وعندما وصلت إلى حيث أريد حاولت أن أعطيه أجره ، فنظر لى وهو يدفع بيدى ويقول بلهجة سودانية « إنزل يا زول ، أنا لاقى لما عبد الله السريع يركب معاى » .. بمعنى إنزل يا رجل هل هو سهل أن يركب معى عبد الله السريع .

★ ★ ★

وذاك السودانى الذى قدم مع القوات العراقية الغازية وهو يقف فى نقطة من نقاط التفتيش التى أقامها الغزاة فى كل أنحاء الكويت ، حين توقفت عند تلك النقطة سيارة أبرز سائقها بطاقته وسلّمها للسودانى الذى قرأ فيها اسم عائلة هذا السائق (السْرَيِّعْ) ، فسأله هل السفير فى الخرطوم يقرب لك ؟ فنفى خشية أن يعذّب أو يعتقل ، فطلب منه أن يوقف سيارته جانباً وينتظر . ففعل السائق ، بعد قليل جاءه السودانى وقال له لا تخف أنا أعلم أنك قريب للسفير من ارتباكك ، أنا مكانى هنا ، إذا شعرت بمضايقة من هؤلاء الملاعين (يقصد العراقيين) تعال لى ، وأردف : والله الكويت ما تستاهل ، لكن هؤلاء يحضروننا عنوة معهم وليس بإرادتنا .

★ ★ ★

وأود هنا أن أنكر شيئاً قد لفت انتباهى وربما يكون لفت نظر غيرى من غير السودانيين ، ذلك أنه طوال فترة اقامتى طفت بكافة أنحاء السودان ما عدا الإقليم الغربى ، وكنت من المولعين الاختلاط بالناس والنزول إلى الأسواق العادية

والشعبية ، حتى تلك التى تقع فى أحياء نائية لأشترى منها ما يحتاجه المنزل ، فى كل هذه الجولات ما سمعت ولا شاهدت شخصين يتشاجران لا فى مشادة كلامية أو تماسك بالأيدى ، فيكفى إذا اختلف اثنان أن يقول كل منهما للآخر « معليش » أى « لا بأس » لينتهى الخلاف بينهما .



لكنى لا أخفى هنا حقيقة هامة ، وهى أنه قد أصابنى إحباط عظيم بعد الغزو العراقى الغاشم للكويت بسبب الموقف الحكومى السودانى من خلال إعلامه الرسمى بكافة أجهزته المختلفة بما لا يدع مجالا للشك إنه يقف مؤيداً للعراق فى غزوه للكويت .. إنه والله لجرح غائر فى قلبى ولكنه أبداً لن يغير من حبى للسودان وأهله الطيبين .

★ ★ ★

إنى وقد ودعت السودان وشعبه كسفير فإنه لا يسعنى إلا أن أتقدم إلى ذلك الشعب الكريم ـ بكافة فئاته السياسية والمدنية ، الحزبية والنقابية ، الرياضية والإعلامية ، الثقافية والأدبية ، ماسكى القلم وحاملى المحراث ، رجالاً ونساء ، شيوخاً وأطفالا ، الذين أعرفهم والذين لا أعرفهم ، فى شمال ذلك القطر وجنوبه وفى شرقه وغربه ـ بكل حبى وتقديرى واحترامى واعتزازى على كرم وفادتهم لى ولأسرتى طوال تلك السنوات السبع عشرة التى عشناها بينهم على أمل أن أتمكن من العودة لهم زائراً كمواطن عادى .

ولا يسعنى فى نهاية ختام هذه المقدمة إلا أن أتقدم بالشكر وعظيم الإمتنان والتقدير للأخ الأستاذ الفاضل الجليل بشير محمد سعيد* على تقديمه للكتاب وإنى أعتبرها تزيينا لهذا الجهد المقدم منى .

(★) كاتب وصحفى سودانى ، ولد فى أم درمان عام ١٩٢١ ، درس الصحافة فى بريطانيا ١٩٤٩ وأسس عام ١٩٥٣ جريدة « الأيام » السودانية ، وأصدر عام ١٩٥٤ جريدة إنجليزية يومية ثم مجلة أسبوعية سياسية ومجلة نسوية وانتخب رئيسا لاتحاد الصحافة السودانية لعدة دورات ، له مواقف وطنية خلال فترات الحكم فى السودان قبل الاستقلال وبعده وعقب الاطاحة بالرئيس نميرى عام ١٩٨٥ عينه المجلس العسكرى للحكومة الانتقالية مستشاراً صحفياً بدرجة وزير منحته جامعة الخرطوم الدكتوراه الفخرية فى الآداب ، وله مؤلفات متعددة .

وبعد ، أخي القارىء وأختي القارئة ، إن ما سوف تقرأه في هذا الكتاب هو ثمرة جهد متصل ليله بنهاره وأن ما كتبته قد صغته بحيدة وتجرّد تامين ، دون تحيز ، بل حاولت ما استطعت أن أسرد الحقائق كما عشتها فعسى أن أكون قد وفّقت .

والحمد لله رب العالمين .

المـؤلف

القاهرة :
الأحد الثاني عشر من شهر محرم ١٤١٣ هـ .
الموافق : الأحد الثاني عشر من شهر تموز ١٩٩٢ م .

الباب الأول

فترة حكم نميرى

الفصل الأول

من جوبا إلى الخرطوم

الفصــل الأول

فى منتصف شهر فبراير عام ١٩٨٤ ، غادرت مطار جوبا عاصمة إقليم الإستوائية متوجهاً إلى الخرطوم بعد عشر سنوات عشتها بين أبنائها الجنوبيين من حكام ومسئولين ومواطنين . ومطار جوبا هذا ، مطار محلى تحط به كل أنواع الطائرات المدنية والعسكرية ما عدا الجامبو ، والخط الجوى هو الوسيلة الأكثر استخداماً بطبيعة الحال بين جوبا والخرطوم حيث تزيد المسافة بينهما عن تسعمائة كيلو مترا تقطعها الطائرة فى أقل من ساعتين . ويمكن أيضاً استخدام طرق نهرية وبرية لكنها تستغرق وقتاً طويلاً(*) .

كان الوداع حاراً وصادقاً . ولم أكن أدرى أن حصيلة هذه السنوات العشر التى قضيتها فى جوبا كمدير لمكتب الكويت سيكون كل هذا الثراء من العلاقات الإنسانية والصداقات العميقة مع كل هؤلاء الناس الذين أراهم الآن فى وداعى ، وقد ازدحم بهم المطار .. فى مقدمتهم المهندس جوزيف طمبرة حاكم الإقليم فى ذلك الوقت ، ومحافظ المُدينة وبعض الوزراء الإقليميين ، وعدد كبير من الأصدقاء السودانيين من الشمال والجنوب بينهم ضباط فى الجيش والشرطة ، وعدد من التجار ، ومدير مكتب الكويت السيد/ حسين العيدان الذى خلفنى فى إدارة المكتب .

عبرت بذهنى وأنا بالطائرة ذكريات السنوات العشر التى عشتها فى مدينة جوبا مسئولا عن مكتب الكويت الذى أنشأته الهيئة العامة للجنوب والخليج العربى والتى تقدم خدماتها التنموية المجانية مساهمة من بلدى فى إنشاء قرى سكنية ومستشفيات ومشروعات تنموية أخرى .

وها أنا ذا أنتقل إلى موقع آخر وفى حقيبة أوراقى قرار بتعيينى سفيراً بوزارة الخارجية الكويتية مُوَقَّعٌ عليه من الشيخ الصباح الأحمد نائب رئيس الوزراء وزير الخارجية .. وكنت أعلم أن مقرى القادم سيكون فى الخرطوم كسفير لبلادى فى السودان ، ولم يكن يشعرنى هذا أنى سأنتقل إلى مكان بعيد ..

(★) تقطع المسافة بين ميناء كوستى على النيل الأبيض إلى جوبا فى رحلة نيلية فى مدة زمنية تستغرق ما بين ١٢ و ١٥ يوما ، بينما تستغرقها فى العودة من جوبا إلى كوستى فى سبعة أيام حيث اتجاه النيل إلى الشمال . أما الطرق البرية فهى طرق وعرة تقطعها السيارات واللوارى بين الخرطوم و « ملكال » عاصمة اقليم أعالى النيل فى عدة أيام . ومنها إلى جوبا .

فالخرطوم ليست غريبة عليّ ، لكن المهمة الآن تختلف من موظف مدنى إلى دبلوماسى سيكون مسئولا عن العلاقات بين دولة الكويت وجمهورية السودان ، وهذا يشعرنى فى داخلى إن مسئوليتى القادمة ليست بالهينة .

★ ★ ★

استقلبنى فى مطار الخرطوم لدى وصولى الصديق أحمد بن غانم الرميحى سفير دولة قطر الشقيقة آنذاك وزميلان لى من السفارة هما « نمير كاظم » و « عبد العزيز الهويشل » . كان الطقس يميل إلى الحرارة وغبار خفيف يسود المدينة فيما يسمى « الهبوب » ، وكان الجو فى الخرطوم يختلف عنـه فى جوبا التى تتميز بطقس استوائى يميل دائماً إلى الرطوبة الخفيفة .

كان عليّ أن أتوجه إلى الكويت لأعود ثانية بعد أن أتسلم أوراق اعتمادى وأعد نفسى للمهمة الجديدة ، وهى بلا شك مهمة دبلوماسية تلقى على عاتقى كثيراً من المسئوليات ومراعاة مقتضيات البروتوكول ، ووضعت لنفسى خطة وهى أن أمزج بين الدبلوماسية الشعبية والدبلوماسية الرسمية ، فأنا قادم من مهمة طبيعتها مدنية وشعبية إلى مهمة يغلب عليها الطابع الرسمى والإتصال بالوزراء وأعضاء الحكومة بل والرئيس نفسه .

وكان أول عمل قمت به عندما وصلت إلى الكويت هو أن توجهت إلى مكتب معالى نائب رئيس الوزراء وزير الخارجية لأقدم له الشكر على اختيارى لهذه المهمة خاصة أننى لست من أبناء السلك الدبلوماسى ، وهذا يعطينى وضعاً خاصاً ، وبمثابة شهادة على نجاحى فى مهمتى كمدير لمكتب الكويت ، وتحملى لكل المشاق التى يمكن أن يواجهها مواطن عربى قادم من أقصى الشمال الشرقى إلى أقصى الجنوب فى وسط أفريقيا .

ومن مقتضيات العمل الدبلوماسى أن تقوم الدولة بترشيح سفيرها إلى الدولة الأخرى وترسل لها نبذة عن حياته ، ولا يعتبر ذلك قراراً نهائياً إلا بعد أن توافق الدولة الأخرى على هذا الترشيح . وعرفت وأنا فى الوزارة أن خطاب ترشيحى كسفير فوق العادة مفوضاً لحضرة صاحب السمو الشيخ جابر الأحمد الصباح أمير دولة الكويت لدى رئيس جمهورية السودان الديمقراطية فى ذلك الوقت ، الرئيس جعفر محمد نميرى قد أرسل بالفعل إلى الخرطوم .. إلا أن الرد لم يكن قد وصل بالموافقة ، واعتبرت ذلك مسألة وقت خاصة أننى عندما التقيت بالسيد « محمد عبد الفتاح بابتوت » سفيـر السودان فى الكويت ، قال إنـه يتوقـع

وصول الرد خلال أيام ، إلا أن الرد تأخر ، وكنت ألمح شيئا من الحرج فى وجه السفير السودانى كلما التقيت به .

وفى اليوم الثانى عشر من أبريل ، وكان قد مضى أكثر من ستة أسابيع على بقائى فى الكويت ، اتصل بى السفير السودانى هاتفيا مهللا وهو يبلغنى أن الموافقة على قبول ترشيحى قد وصلت . وبناء على هذه الموافقة صدر مرسوم أميرى فى الثانى والعشرين من شهر أبريل فى الجريدة الرسمية بتعيينى سفيرا فوق العادة مفوضاً لدى جمهورية السودان .



بعد أن صدر المرسوم الأميرى توجهت إلى معالى نائب رئيس الوزراء وزير الخارجية واستأذنته فى السفر خلال أسبوعين ، وقلت له أنى أرغب فى سماع توجيهاته فتمنى لى التوفيق ووجهنى بأن أدعم العلاقات بين البلدين السودان والكويت بكل ما أستطيع ، وأن أتجنب التدخل فى مواقف معارضة لسياسة حكومة السودان .

بعدها تشرفت بمقابلة سمو الشيخ سعد العبد الله الصباح ولى العهد رئيس مجلس الوزراء مستئذناً سموه فى السفر لتسلم مهام عملى ، فأكد لى حرصه على أن أبذل كل ما أستطيع لتقوية العلاقات الكويتية السودانية .. وقال لى « انك لست بغريب على السودان فقد عرفوك فى الجنوب .. واجتهد فى أن تكون العلاقة بين بلدينا قوية كما هى أو أكثر » .. ووعدت سموه بعد أن شكرته بأنى سأبذل غاية جهدى لتحقيق ذلك .

بعد هذين التوجيهين من نائب رئيس الوزراء وزير الخارجية ومن سمو ولى العهد ذهبت إلى مدير صندوق التنمية الكويتى السيد بدر الحميضى ، والتقيت به ، كما التقيت بالعضو المنتدب للشركة الكويتية للاستثمارات الخارجية السيد عبد الله القبندى ، وفى كلا اللقاءين سألت عن حجم الاستثمار الكويتى فى السودان وحجم القروض ونوعية المشاريع وعددها خاصة تلك التى لم تزل تحت الدراسة ، وذلك لكى أكون على دراية بحجم المشروعات المدعومة من المؤسسات المالية الكويتية ، كما التقيت بعدد من الوزراء .

قمت بهذه الإتصالات وكنت منتظرا اللقاء الهام والأخير وهو التشرف بمقابلة حضرة صاحب السمو الأمير لأداء اليمين الدستورية كأى سفير يوفد إلى الخارج ، وقد تحدد لذلك موعداً ، وتوجهت إلى الديوان الأميرى . وقد حضر

مراسم أداء اليمين معالى نائب رئيس الوزراء وزير الخارجية الشيخ صباح الأحمد ، ووكيل وزارة الخارجية السيد/ راشد عبد العزيز الراشد ، ووكيل الديوان الأميرى السيد/ محمد درويش العرادى ومدير مكتب صاحب السمو السيد/ إبراهيم الشطى . وبعد أداء اليمين حمّلنى صاحب السمو تحياته وأمنياته إلى الرئيس جعفر محمد نميرى .

حزمت حقائبى بعد يومين ، ولم أشعر بالمخاوف التى تواجه المرء عندما يترك بلده متوجهاً للعمل فى بلد آخر لا يعرف عنه شيئاً ، فالسودان ليس غريباً علىّ .

وبهذه المشاعر توجهت إلى الخرطوم يوم الخميس الثالث من شهر مايو عام ١٩٨٤ .. لأبدأ مهمتى الجديدة .

★ ★ ★

وصلت مطار الخرطوم الذى أعرفه جيداً ، واسْتُقْبِلْتُ بغير الطريقة التى كنت أُستقبل بها من قبل ، فقد كان فى استقبالى السفير «إبراهيم محمد على» مدير المراسم بوزارة الخارجية السودانية ، ورؤساء البعثات العربية ، وأعضاء السفارة الكويتية بالخرطوم ، فتلك هى العادة المتبعة عند استقبال أى سفير جديد .

وفى يوم السبت .. أى بعد يومين من وصولى قدمت نسخة من أوراق اعتمادى إلى السيد/ هاشم عثمان وزير الخارجية ، ولم يكن أى منا غريباً عن الآخر ، فقد عرفته عندما كان سفيراً للسودان فى نيروبى ، وكنت وقتها مديراً لمكتب الكويت فى جوبا .

وقال لى وهو يتفحص الأوراق أن هناك خطأ فى إسم الرئيس حيث جاء فى أوراق الإعتماد اسم السيد الرئيس جعفر محمد (النميرى) والصحيح هو جعفر محمد (نميرى) ، ويجب أن تعود الأوراق لتصحح . وبالفعل أعدت الأوراق إلى الكويت . وتم تصحيح الاسم وأعيدت لى فى الإسبوع التالى ، وقمت مرة أخرى بتسليم النسخة المصححة إلى وزارة الخارجية السودانية ، وأبلغت بأنهم سيخطروننى بموعد تقديم أوراق الإعتماد إلى السيد الرئيس .

لكن الذى حدث فأنه كما تأخرت الموافقة على ترشيحى ، تأخر أيضاً موعد تقديم أوراق اعتمادى إلى رئيس الجمهورية . واستمر هذا التأخير سبعين يوماً تخلله شهر رمضان الذى تطابق حلوله مع شهر يونيو فى ذلك العام .. وعادة

رئيس الجمهورية لا يستقبل سفراء جدد فى مثل هذا الشهر الكريم ، ومع مرور الوقت بدأت أشعر بعدم الإرتياح لهذا التأخير ، فها هو شهر رمضان قد انقضى ، ووزارة الخارجية لم تحدد موعداً لتقديم أوراق الإعتماد لرئيس الجمهورية .

★ ★ ★

كنت أمارس عملى كسفير فى حدود ضيقة كزيارة زملائى من السفراء العرب ، وكان من بين من تعرفت عليهم السفير المصرى أحمد عزت عبد اللطيف رغم أن العلاقات بين بلدينا كانت مقطوعة ، ولكن هذا لا يمنع من قيام علاقات شخصية ، فلا يوجد بينى وبينه أية خلافات ، فكلانا نمثل دولتين شقيقتين . وقد لمست منه مشاعر طيبة ، وتبادلنا الزيارات وصرنا أصدقاء بعيداً عن مجالات العمل الرسمى والدبلوماسى ، وحتى عندما توفى الدكتور فؤاد محيى الدين رئيس وزراء مصر السابق عام ١٩٨٤ استأذنت وكيل خارجيتنا السيِّد سليمان ماجد الشاهين برغبتى فى الذهاب لتقديم العزاء للسفير المصرى ، قال إن هذه علاقات إنسانية بين الناس ، فإن قمت بها تكون بادرت بعمل أخلاقى يعبر عن مشاعر وأصالة المواطن الكويتى .

وفى نفس الوقت كنت أجرى اتصالات مع حكومتى ، حيث أبلغتها بعد شهر من وصولى أن غرب السودان يتعرض لمجاعة ونقص فى مواد الغذاء بسبب الجفاف والتصحر ، وعلى أثر ذلك حضر وفد من إحدى الجمعيات الكويتية وتوجه إلى مقر الحكومة الاقليمية فى « نيالا » غرب السودان ، وقام بشراء ما توفر من حبوب وغيرها من مواد غذائية أخرى ، وقاموا بنقلها وتوزيعها على ذوى الحاجة . هذا مع أن المسئولين فى الخرطوم لم يعلنوا أن هناك مجاعة فى غرب السودان . ورغم تحركى هذا فقد كنت أشعر بعدم الإرتياح لتأخر تحديد موعد تقديم أوراق الإعتماد ، وحتى حكومتى كانت تتساءل أحياناً ان كان قد تحدد موعد لتقديم أوراق الإعتماد ؟ .

وأعتقد أن التأخير كان يعود للأسباب التالية :

١ ـ المجاعة التى كان يتعرض لها غرب السودان ، ولم تعلن عنها الحكومة حتى الآن وهى فى نفس الوقت منشغلة فيها .
٢ ـ ازدياد نشاط التمرد فى الجنوب واتساع دائرته .
٣ ـ قوانين الشريعة الإسلامية التى أعلنت فى سبتمبر ١٩٨٣ وانشغال الحكومة فى اجراءات تطبيقها .

٤ ـ الحديث الذى بدأ يتردد فى الخارج حول قيام السودان بترحيل يهود الفلاشا إلى إسرائيل عبر مطار الخرطوم .

٥ ـ أما السبب الخامس وهو الهام من وجهة نظرى هو أن الصحف الكويتية كانت قد تناولت الحديث فى مقالاتها مسألة ترحيل اليهود الفلاشا عبر الخرطوم إلى جانب أقلام سودانية معارضة لنظام الحكم فى السودان تكتب فى الصحافة الكويتية ، وهذا ما يدفعنى إلى القول أنه السبب الرئيسى فى تأخير تقديم أوراق اعتمادى تعبيرا من حكومة السودان عن عدم ارتياحها لما تكتبه الصحافة الكويتية . وكان الرئيس نميرى قد اعتاد فى شهر رمضان أن يصلى الجمعة فى مسجد القوات المسلحة ، وبعد الصلاة يصعد إلى المنبر يخاطب المصلين . وفى الجمعة الثالثة من هذا الشهر الفضيل تناول فى كلمته الصحافة الكويتية صراحة . وأبدى عدم رضائه عما تنشره . وكنت أصلى عادة فى ذلك المسجد لأنه قريب من منزلى ، واستمعت إليه وكان يجلس إلى جوارى صدفة السيد/ هاشم عثمان وزير الخارجية ، وكان يستمع كغيره إلى كلمة الرئيس .

وفى اليوم التالى استدعى وزير الخارجية السفراء العرب إلى مكتبه بالوزارة ، وكنت من بينهم ، وتناول فى حديثه ما يثار حول نقل اليهود الفلاشا عبر الخرطوم ، وكان يتحدث بحماس فيه انفعال وهو ينفى ويؤكد أن السودان لا يفعل ذلك ، وتطرّق إلى ما تكتبه الصحف العربية عن هذا الموضوع وخصنى بالاسم قائلا : «يا عبدالله ... صحفكم الكويتية تكتب .. كيف بالله يكون هذا .. كيف يصدقون أن اليهود الفلاشا تُنقل عبر السودان ؟» .. فاستأذنته الكلمة وقلت : «ان الدستور الكويتى يكفل للصحافة حريتها ، والحكومة لا تتدخل فيما تكتبه الصحف ، وكل مقال مسئول عنه كاتبه ، وبإمكان سفارتكم فى الكويت أن ترد على ما تنشره الصحف وان رفضت أى صحيفة النشر أبلغنى .. لأتصل بحكومتى لتتدخل» ..

كنت مدركاً أن الوزير فعلا لايعلم شيئاً عن أن يهود الفلاشا يُنقلون عبر مطار الخرطوم ، ولا حتى الوزراء الآخرين باستثناء أفراد مسئولين مع الرئيس نميرى هم الذين يعلمون بها .

وبعد عيد الفطر بأيام أُبلغت أنه قد تحدد لى يوم ١٢ يوليو ١٩٨٤ موعداً لتقديم أوراق اعتمادى لرئيس الجمهورية جعفر نميرى . ويتم ذلك عادة فى بروتوكول رسمى حكومى حيث تصل إلى مقر اقامة السفير سيارة تابعة لرئاسة

الجمهورية مخصصة لنقل السفير الجديد إلى القصر الجمهورى واعادته إلى سفارته .

وصلت السيارة إلى مقر السفارة ، وكنت مهيئا لهذه المناسبة حاملا معي أوراق اعتمادى . وعادة تتقدم السيارة درَاجات نارية ، وخلفها سيارة أخرى تحمل أعضاء السفارة فى موكب اعتادت عليه العاصمة . وكان هناك على مقدمة السيارة علمان ملفوفان ومغطيان فى كيس مشمع (جراب) . وكان يصحبنى بالسيارة السيد/ ابراهيم محمد على مدير المراسم بوزارة الخارجية .

وعندما وصلنا إلى القصر ، كانت فرقة الحرس الجمهورى مستعدة لعزف السلام الوطنى الكويتى ، وبعد عزف السلام استعرضت حرس الشرف ، وتوجهت مع السيد مدير المراسم وأعضاء السفارة إلى الطابق العلوى حيث مكتب السيد الرئيس وملحق به صالون كبير يستقبل فيه عادة السفراء . ووفق الأصول المرعية بعد أن يتم تقديم أوراق الإعتماد لرئيس الدولة يجرى تبادل الكلمات فيلقى السفير كلمة تقليدية ، وقد أعربت فى كلمتى عن سعادتى للعمل فى السودان كسفير لبلدى الكويت ، وعن أمنياتى الطيبة لشعب السودان وحكومته .

وبدوره ، تحدث الرئيس فى رده فأشاد بحكومة الكويت وشكرها لأنها بعثت بسفير يعرف السودان وأهله وعاش بينهم عدة سنوات ، وقال ان هذا من شأنه أن يسهل مهمته ، وهذا أفضل من أن يبعثوا بسفير جديد لا يعرف شيئا عن البلاد ويحتاج لفترة من الوقت حتى يتعرَف على طبيعة الشعب وعاداته . فشكرته واستأذنت بالإنصراف .

وعدت إلى مكتبى بنفس الموكب الذى جئت به مع تغيير شكلى ، وهو أن العلمين اللذين كانا مخفيين قد رفع عنهما الغطاء ، وأخذا يرفرفان على جانبى مقدمة السيارة وذلك اشارة إلى أنى قد استكملت كل الإجراءات الرسمية والبروتوكولية ، وأصبحت سفيرا معتمدا لبلدى فى الخرطوم .. وعلىَ منذ تلك اللحظة أن أبدأ مهام عملى .



المؤلف يقدم أوراق اعتماده للرئيس جعفر محمد نميرى ، ١٢ يوليه ، تموز ١٩٨٤م

الفصل الثانى

تكليف
بحل مشكلة الجنوب

الفصل الثانى
تكليف بحل مشكلة الجنوب

قمت كعادة السفراء بعد تقديم أوراق اعتمادهم بزيارات للتعارف والتحية على الوزراء وكبار المسئولين ، وكان من بين هؤلاء السيد «عز الدين السيد (*)» رئيس مجلس الشعب الذى تحدد لى موعد لزيارته يوم ٢٨ أغسطس ١٩٨٤ ، ولم أكن قد التقيت به من قبل الا من خلال لقاءات عابرة ، لكن ما أن رآنى وأنا أدخل عليه مكتبه حتى فتح لى ذراعيه مرحبا كما لو كُنَّا نعرف بعضنا من قبل .. وبادرنى قائلا : «إياك أن تكون قادما مثل بقية السفراء العاديين للتحية والمجاملة .. انت يا عبد الله فى بلدك .. ومكلف منذ الآن بأن تذهب وتبحث لنا عن حل مع اخوانك الجنوبيين الذين حملوا السلاح وتعرف منهم ماذا يريدون بالضبط ، لأنك لست قادما الينا من الكويت فأنت قادم الينا من جنوبنا الحبيب .. ونحن نعلم إنك موضع ثقتهم كما أنك فى الوقت نفسه موضع ثقتنا .

وقبل أن يعطينى الفرصة ليسمع رأيى رفع سماعة الهاتف واتصل بالسيد/«أبيل الير» الذى كان يشغل حينذاك منصب وزير الاشغال العامة ، وكان قبل ذلك نائبا لرئيس الجمهورية ورئيسا للمجلس التنفيذى العالى للإقليم الجنوبى ، وهو شخصية سياسية من قبيلة الدينكا بأعالى النيل ويتمتع بثقة واحترام الجميع وتربطنى به صداقة عميقة .

(★) عز الدين السيد محمد
- رئيس مجلس الشعب السودانى الخامس .
- رئيس الاتحاد البرلمانى الدولى بالانتخاب فى الفترة ١٩٨٣ ـ ١٩٨٥ .
- رئيس فخرى للاتحاد البرلمانى الدولى بقرار من مؤتمر الاتحاد البرلمانى الدولى .
- اعترض على اقتراح طرد المجلس الوطنى الكويتى من اتحاد البرلمان الدولى الذى قدمه وفد العراق بعد غزوه للكويت وكتب للأمين العام للاتحاد البرلمانى الدولى موضحاً أن هذا البرلمان منتخب من شعب الكويت وهو يمثله وان وجوده خارج دولة الكويت أمر مفروض عليه بسبب الغزو العراقى وأن هنالك أمثلة فى التاريخ أبان الحروب ان تجتمع البرلمانات خارج حدودها كما حدث فى الحرب العالمية الثانية وكذلك وجود المجلس الوطنى الفلسطينى خارج فلسطين وهو عضو مراقب فى الاتحاد البرلمانى الدولى وعضو كامل فى كل من الجامعة العربية والاتحاد العربى .

سمعت « عز الدين السيد » يحادثه قائلا : « عبد الله معى الآن .. وقد حدثته فى الموضوع ، وطلبت منه أن يبذل مساعيه وبعد أن يخرج من عندى سوف يتوجه اليك » .

بعد أن وضع سماعة الهاتف سألته إن كان هذا التكليف رسميا أم مجرد تكليف شخصى ؟ ، فأجابنى بأنه تكليف رسمى .

خرجت من مكتب رئيس مجلس الشعب متوجهاً على الفور إلى السيد / أبيل ألير » ، ولم يكن فى برنامجى زيارته فى هذا اليوم لكننى وجدت نفسى دون تخطيط مسبق أننى مكلف بمهمة السعى لوقف حرب تدور فى الجنوب ليتحقق للسودان السلام .

كان حديث « ألير » معى مشجعا وأعرب عن قناعته بأننى خير من يقوم بهذا الدور فقد عشت فى الجنوب وعرفت أبناءه وعرفونى جيدا ، وبصفتى ممثلا لدولة شقيقة فى الخرطوم فإننى يمكن أن اقوم بدور فعال من شأنه أن يحقق الأمن والإستقرار للسودان .

وكان عَلَيَّ ان ابدأ عملى فى هذه المهمة بداية جادة ، وأن يكون لها صفة رسمية على مستوى القمة . لذلك عندما خرجت من عند « السيد ألير » توجهت مباشرة إلى مكتبى وطلبت لقاءاً مع اللواء عمر محمد الطيب النائب الأول للرئيس نميرى ، وحدد لى اليوم التالى موعدا ، وعندما التقيت به فى الموعد المحدد سألته ان كان يعلم بما عرضه على السيد/عز الدين السيد ، فقال لى انه يعلم بهذا الموضوع ويعلم أيضا اننى يمكن أن أوفق ، وتمنى لى ذلك .

بعد لقائى مع اللواء عمر الطيب توجهت على الفور الى مكتب الدكتور بهاء الدين محمد ادريس مساعد رئيس الجمهورية لشئون الرئاسة وأبلغته بما دار بينى وبين السيد/عز الدين السيد واننى أريد أن أعرف إذا كان الرئيس نميرى يعلم بذلك أم لا ، فقال إن الرئيس على علم بذلك .

قلت له ضاحكاً : « كل منكم يقول إنه يعلم .. يعلم .. إلا أنا بينكم .. كأطرش فى زَفَّه » .

وأضفت : « أريد إذن أن أقابل السيد الرئيس لأسمع رأيه بنفسى » .

ولم يتردد الدكتور بهاء .. وبعد فترة وجيزة وجدت نفسى أمام الرئيس نميرى ومعى الدكتور بهاء .. وعلى الفور بادرنى الرئيس قائلا :

« ياعبد الله .. أنت سفير لبلد شقيق ، ونحن نحترمك ونحترم بلدك وأنت تعرف ظروفنا .. فنحن لا نستطيع أن نتحمل استمرار حرب أهلية بعد ان حققنا

السلام فى أعقاب الحرب الأولى ، وهذا التمرد يكلفنا أعباء مالية وأرواحا تزهق وكلها سودانية ونحن أحوج ما نكون إلى تنمية بلدنا المترامى الأطراف » .

وواصل الرئيس نميرى حديثه قائلا :

«ومن جانبى لا أتصور أن هناك سببا قويا يبرر التمرد بعد أن تحقق للإقليم الجنوبى الحكم الذاتى ، وهم الآن يحكمون أنفسهم ولهم برلمانهم » .

ثم قال :

«وانت يا عبد الله موضع ثقة الجنوب وثقة الشمال ، وأنا شخصيا أرجو أن تقوم بهذا الدور وآمل أن توفق ان شاء الله .. ومعك الدكتور بهاء .. فاذا احتجت الى أى شىء اتصل به فورا .. فى البيت أو فى المكتب ليساعدك على تسهيل مهمتك» .

شكرته واستأذنته للسفر الى الكويت لإبلاغ حكومتى بذلك وأخذ موافقتها .

وبينما كان الدكتور بهاء الدين ادريس يودعنى عند باب مكتبه بعد أن خرجت من مكتب الرئيس قال لى «ان الحرب فى الجنوب تمثل عبئا على اقتصاد السودان وميزانيته .. ولذلك فهم يأملون فى دعم مادى لمسيرة السلام من الكويت لمواجهة هذا الموقف» ، ووعدته خيرا .

* * *

فى الكويت أعددت تقريرا حول هذا الموضوع ، وما جرى من لقاءات بينى وبين المسئولين السودانيين ، ورفعته الى الشيخ صباح الأحمد الصباح نائب رئيس الوزراء وزير الخارجية ، وبعد ثلاثة أيام أبلغنى بموافقته أن أقوم بهذه المهمة ، وطلب منى أن تكون كل تحركاتى سرية حتى لا يستغلها إعلام مناوىء فيفسد هذه المساعى ، لأنها لا شك مساع حميدة الهدف تُحقّق الأمن والإستقرار لبلد شقيق ، واعتبرت هذا تقديرا من حكومتى ومن الحكومة السودانية ممثلة برئيسها جعفر نميرى ، لان تكليفا كهذا ليس عاديا خاصة أنه لم يمض على تسلمى لمنصبى كسفير أكثر من شهرين ، وبالتالى فإن ثقة كهذه من الحكومتين الكويتية والسودانية ، لا شك أن هذا يمثل لى وساماً كبيراً أعتز به وأفخر .

أبلغت وكيل وزارة الخارجية السيد/راشد الراشد مشافهة بطلب الحكومة السوادنية ورغبتها فى الحصول على دعم مالى ـ كما طلب منى الدكتور بهاء الدين محمد ادريس وهو يودعنى عند باب مكتبه ـ لإنجاح هذه الوساطة .

فقال لى «كل نفقات تحركك واتصالاتك فى هذه المهمة سجلها على نفقة السفارة الكويتية فى الخرطوم» .

بعد هذا أعددت نفسى للعودة الى الخرطوم لأبدأ مهمتى الجديدة التى كلفت بها ، متمنيا من الله أن يعيننى لتحقيق السلام والإستقرار للسودان الشقيق .

* * *

أسباب التمرد فى الجنوب

ان مشكلة الجنوب مشكلة معقدة منذ ما قبل استقلال السودان فى الأول من يناير عام ١٩٥٦ . حيث كان الساسة الشماليون والجنوبيون فى خلافات مستمرة أفرزت التمرد الأول الذى قاده «جوزيف لاقو (*)» ، وسميت حركة هذا التمرد باسم (أنانيا (**)) . وظل الصراع المسلح في الجنوب قائما حتى تم توقيع اتفاقية أديس أبابا عام ١٩٧٢ التى لعب السيد أبيل ألير دوراً كبيراً فى انجاح مباحثات السلام التى سبقت التوقيع على هذه الاتفاقية ، وهى الاتفاقية التى وحدت بين الشمال والجنوب وحققت السلام ، ومنحت الجنوب حكماً ذاتياً . كما تضمنت فى بنودها إلحاق العناصر المقاتلة فى حركة التمرد بالقوات المسلحة ، وأن تتكون قوات الجيش فى الجنوب من اثنى عشر ألف جندى وضابط نصفهم من الشماليين ، والنصف الآخر من الجنوبيين .

وجاء فى هذه الاتفاقية أنه يمكن نقل الضباط والجنود الشماليين إلى كافة انحاء السودان . أما الجنوبيون الذين تم استيعابهم من قوات التمرد فيظلون فى مواقعهم مراعاة لظروفهم الاجتماعية ، فهم أساسا ليسوا جنودا نظاميين ، وكل واحد منهم مرتبط بقبيلته وعاداته ، حيث يعيش فى أسرة متعددة الزوجات ، ويرعى أعدادا كبيرة من البقر .

ظلت الأوضاع مستقرة فى الجنوب بعد هذه الإتفاقية إلا اللهم من تصرفات فردية يقوم بها البعض نتيجة لسوء فهم أو شك ، لأن آثار الحرب الأهلية لا تزال رواسبها عالقة فى أذهان البعض خاصة من صغار الضباط وبسطاء الجنود من

(★) من أبناء قبيلة « الماد ى » التى تتواجد فى اقليم الاستوانية على الحدود الأوغندية السودانية وهى قبيلة صغيرة .

(★ ★) تعنى هذه الكلمة بلغة أبناء تلك القبيلة (الحشرة السامة) .

الجنوبيين والشماليين على السواء إلا أنها فى أوساط الجنوبيين أكثر منها فى الشماليين .

وقد حدث أن تأخر صرف مرتبات الكتيبة رقم ١٠٥ التى مقرها مدينة «بور» فى اقليم أعالى النيل ، قريبة مع الحدود الأثيوبية ، لأن قيادة الفرقة الأولى التى مقرها جوبا عاصمة الإقليم الجنوبى قد أبدت تشككا فى كشوف المرتبات التى تصلها من تلك الكتيبة ، لذا تأخر صرف تلك المرتبات أكثر من شهرين .. فتمردت الكتيبة واستولت على المدينة ، وسرت إشاعة بين صفوف هذه الكتيبة بأن قيادة الفرقة فى جوبا سوف تقوم بنقلهم إلى الشمال أو تقدمهم إلى محكمة عسكرية بتهمة العصيان المسلح إن هم استمروا فى موقفهم هذا فحملوا سلاحهم ودخلوا الغابة وعبروا الحدود إلى أثيوبيا فلحقت بهم فى اليوم التالى سرية مركز «بيبور» .

فى ذلك الوقت كان العقيد جون قرنق فى طريقه إلى قريته التابعة لمدينة بور ليقضى أجازته مع أهله ، فعلم بتمرد الكتيبة رقم ١٠٥ ونزوحها إلى أثيوبيا بكامل سلاحها فلحق بها ، لأنه من الضباط الذين لم يكونوا متحمسين لاتفاقية أديس أبابا عام ٧٢ ، وتولى قيادة تلك المجموعة باعتباره أعلاهم رتبة عسكرية ومن أبناء منطقتهم .

فى النصف الثانى من عام ١٩٨٤ قامت قوات الشرطة فى الخرطوم حسب تعليمات عليا صدرت إليها بمطاردة كل من هو ليس من أبناء الخرطوم أو من لم يكن حاملا لبطاقة تثبت هويته وقبيلته والإقليم الذى ينتمى إليه ، فتنقلهم فى شاحنات كبيرة ثم ترحّلهم إلى أقاليمهم حسب طلبهم ، فتحول أكثر هؤلاء الجنوبيين إلى قوة قتالية انضمت إلى قوات جون قرنق .

واعتقد أن هناك دوافع اخرى كانت وراء هذا التمرد أجملها فيما يلى :

أولاً ـ كان قد صدر قرار جمهورى عام ١٩٨٠ باعفاء السيد/ أبيل ألير نائب رئيس الجمهورية ورئيس المجلس التنفيذى العالى للإقليم الجنوبى من جميع مناصبه ، وعين مكانه الفريق « جوزيف لاقو » نائباً لرئيس الجمهورية وعين اللواء قسم الله عبد الله رصاص ، ضابط فى الجيش من أبناء إقليم بحر الغزال رئيساً للمجلس التنفيذى العالى تمهيداً لتقسيم الجنوب الذى يرفضه السيد أبيل ألير من قبيلة الدينكا أكبر قبائل جنوب السودان ، التى ينتمى إليها / جون قرنق / خاصة أن أبيل ألير يعتبر بمثابة خاله .

ثانيا ـ إن الجنوب كان محروما من مشروعات التنمية ، فالمشاريع التى تتم بقروض أو تمويل عربى أو أجنبى تنفذ فى الأقاليم الشمالية . ومنذ عام ١٩٧٢

وبعد مرور أكثر من عشر سنوات لم يقدم الرئيس نميرى مشروعا واحدا فى الجنوب إلا أعمالا صغيرة تقوم بها منظمات دولية وهى ليست بحجم مشروعات التنمية فى الشمال .

ثالثا ـ يأخذ الجنوبيون على الرئيس نميرى ان اكثر كبار الضباط الذين يحيلهم إلى التقاعد من الشماليين يعينهم فى مواقع مدنية أخرى كرؤساء مجالس إدارات فى المؤسسات ، بينما كبار الضباط من الجنوبيين لايتم تعيينهم فى مواقع أخرى ولايستفاد منهم فى أى موقع مدنى آخر ، وحتى وجود جنوبيين فى السلك الدبلوماسى يكاد يكون معدوما وخاصة فى مناصب السفراء باستثناء عدد قليل من الدبلوماسيين الجنوبيين فى الخارجية السودانية لايصل إلى عدد أصابع اليد الواحدة .

رابعا ـ عندما اكتشفت شركات التنقيب الأجنبية البترول فى الجنوب فى منطقة (بانتيو) اعتبرها الرئيس نميرى منطقة شمالية بينما يقول الجنوبيون إنها جنوبية ، هذا ولم يقدم الرئيس نميرى لأبناء الجنوب بعد أن اكتشف البترول أية فرصة عمل أو برنامج تدريب لإعدادهم للعمل فى هذا المجال واستيعابهم فى مشروعات النفط الجديدة مستقبلا .

ومما أوغر صدور الجنوبيين أنه قيل أن البترول الذى سيتم إنتاجه سوف يتم تصديره إلى الخارج عن طريق ميناء بورسودان على البحر الأحمر ، والمسافة بين الميناء وبين حقول النفط طويلة تصل إلى أقل من ألفى كيلو مترا(★) . وقد أدى ذلك إلى أن يتشكك الجنوبيون فى مصداقية حكومة الرئيس نميرى لأن ذلك سيحرمهم من تشغيل أكبر عدد من أبنائهم ، إضافة الى أن الجنوب لن يستفيد من البترول فى مجالات التنمية ، لهذا طلبوا أن يصدر جزء منه عن طريق ميناء «مومباسا» فى كينيا ، وهى نفس المسافة تقريباً من مواقع الآبار الى بورسودان ، وذلك كى يضمنوا رواجا ونشاطا اقتصاديا فى مناطقهم .

خامسا ـ كان بعض الجنوبيون يبدون تشككا حول مشروع قناة جونجلى واعتبروا أنها تهدد البيئة فى مناطقهم وتحرمهم من تربية أبقارهم وماشيتهم وصيد الأسماك فى المستنقعات التى ستزال نتيجة لحفر القناة ، ويقام بدلا منها حياة عمرانية جديدة لم يعتادوا عليها ولم يألفوها من قبل ، واعتبروا أن شمال

(★) المسافة بين جوبا والخرطوم ٩٠٠ كيلو متر تقريباً ، والمسافة بين الخرطوم وبورسودان ١٢٠٠ كيلو متر .

السودان ومصر هما المستفيدان فقط حيث ستوفر القناة التى يبلغ طولها ٣٣٠ كيلو متراً ٨ مليار متراً مكعباً من المياه تقسم مناصفة بين مصر والسودان .

هذه الأسباب الخمسة ـ فى تقديرى ـ هى التى دفعت جون قرنق وجماعته للتمرد ودخول الغابة حاملين معهم أسلحتهم ، وقد سمى قرنق حركته باسم (الحركة الشعبية لتحرير السودان) ، وواضح من هذا العنوان أنه لايهدف الى فصل جنوب السودان عن شماله ، وانما إلى تحرير السودان من حكومة الرئيس نميرى . ولقد وجد كثيراً من المؤيدين من السياسيين الجنوبيين وبعض الشماليين كما وجد دعماً من دول أفريقية مجاورة خاصة بعد أن طبق الرئيس نميرى قوانين الشريعة الإسلامية ، إذ هُم يخشون أن يصل المد الإسلامى إلى هذه الدول عبر جنوب السودان ، وهو الممر الذى يفصل بين الدول الأفريقية وشمال السودان .

كنت أدرك هذه الحقائق ، وأدرك أيضا موقف الحكومة فى الشمال والى أى حد تعانى من كثرة النفقات لمواجهة التمرد ، وتعمل جاهدة لتحقيق السلام لأن القتلى من الجانبين هم سودانيون ، وتقديرا منى لهذا كله وإلى التشريف الذى كلفت به ، شرعت فى أداء المهمة بعد عودتى إلى الخرطوم من الكويت يوم الخميس الثالث من شهر نوفمبر عام ١٩٨٤ .

* * *

اتصـــالات مستمـــرة

كان الإعلام السودانى فى ذلك الوقت يوجه حملات هجومية ضد جون قرنق وحركته .. وهى النغمة السائدة فى تعليقات الإذاعة والصحف السودانية . وقد سمعت ذلك الهجوم يوم ٤ نوفمبر ١٩٨٤ فى نشرة أخبار الساعة العاشرة صباحا باذاعة أم درمان وأنا فى طريقى لتناول الإفطار عند أحد الأصدقاء ... وكان المذيع يصف جون قرنق بأنه شيوعى وخائن .

فى اليوم التالى ذهبت الى القصر الجمهورى والتقيت بالدكتور بهاء الدين ادريس ، وأبلغته أننى سوف أباشر مهمتى .

وهنا سألنى ان كانت الكويت قد اعتمدت ميزانية لهذا الغرض ؟ فقلت له ان السفارة الكويتية ستتكفل كافة نفقات مهمتى وكافة تحركاتى إلى الدول التى قد أتوجه إليها لألتقى بجون قرنق أو مساعديه .

وأضفت قائلا :

- والآن أطلب وقف الحملات الإعلامية على جون قرنق فى الإذاعة والتليفزيون والصحف ، وعليكم أن تنسوه الآن حتى أستطيع أن أباشر مهمتى التى كلفتمونى بها .

رفع سّماعة الهاتف واتصل بالاستاذ/«على شمو » وزير الإعلام فى ذلك الوقت وقال له :

- عبد الله معى الآن .. ويطلب وقف الحملات الإعلامية على جون قرنق ، وعليكم أن تنسوه فى هذه المرحلة ليتمكن من أداء المهمة المكلف بها من أجل إحلال السلام .

وبالفعل أوقفت الحملات الإعلامية منذ اليوم التالى .

وفى نفس اليوم وجهت دعوة لعدد من الشخصيات الجنوبية لزيارتى فى المنزل ، وهم أصدقاء لى ، وكان عددهم يصل إلى نحو اثنى عشر شخصا ، وتحدثنا بشكل عام عن جنوب السودان ، ثم طرحت عليهم أول سؤال وهو ما إذا كانوا يرون أنه يمكن أن أصل الى نتيجة طيبة إذا قمت بعمل شيء لتحقيق السلام فى الجنوب ، فقالوا إنك تستطيع ذلك إذا كان الرئيس جادا أو أنه فعلا راغب فى السلام . فأكدت لهم أن الرئيس راغب وجاد فى ذلك .

وبدأنا نتحاور فى كيفية بدء عملى للوصول الى السلام المنشود ، قال لى أحدهم أنه يشك فى نوايا الرئيس نميرى وان كل مايريده ، أن يعرف منك ماذا نريد نحن الجنوبيون فربما يتخذ ضدنا أجراء فى المستقبل . وقال آخر : «ياعبد الله .. نحن نثق بك ، وبحكومتك ، ونعرف أن الكويت ليس له أطماع سياسية ، لكننا كجنوبيين نعلم أن الرئيس نميرى يريد أن يعرف ماذا نريد .. لاليعمل على تحقيقه .. ولكن ليعمل عكسه . وقال ثالث : «أنه رغم كل جهود هيلا سيلاسى المضنية التى بذلها في مفاوضات السلام الأولى والتى استغرقت وقتاً طويلا فانك قد تجد صعوبة فى أن تحقق السلام فى عدة أشهر ، لاسيما وأن الرئيس نميرى قد نقض تلك الاتفاقية بتقسيمه للجنوب حتى لو كان هذا التقسيم برغبة من بعض الجنوبيين .

قلت :

- إن هيلا سيلاسى كان يتعامل معكم من خلال قصوره فى أديس أبابا ، فى حين أنا عشت معكم فى الغابة وعرفتكم عن قرب واختلطت بكم وسكنت معكم فى

«القطاطى (*)» ، وأصبت مثلكم بالملاريا والدوسنتاريا والقارديا ، وأنا مثلكم حريص على تحقيق السلام فى الجنوب فساعدونى لأتمكن من ذلك .

قالوا :

ـ وماذا تريد ؟

قلت :

ـ أن تؤكدوا حسن تعاونكم معى .

قالوا :

ـ وكيف نؤكد لك ذلك ؟

قلت :

ـ أوقفوا جون قرنق ، وألا يقاتل فى الجنوب إلا للدفاع عن النفس وتأكدوا أننى على استعداد للسفر لمقابلته فى أى مكان ، وأنى لن أركب الطائرة من الخرطوم الى الجنوب ، بل سأستخدم السيارة مارا بقوات قرنق لأصل اليه لأنى واثق أن المقاتلين لن يرفعوا السلاح بوجهى لأنهم يعرفوننى جيداً .

وقلت انه إذا رغب العقيد جون قرنق الحضور إلى الخرطوم للتفاوض فأنا مستعد أن أوفر له الحماية الدبلوماسية اللازمة ، وذلك بأن أذهب إليه وأحضر معه إلى الخرطوم وأصحبه معى فى سيارتى الدبلوماسية مرفوع عليها علم الكويت وأسكنه معى فى منزلى فى مقر السفارة ، وأوفر له ولمن سيجتمع بهم كل الوسائل التى تمكنهم من عقد مباحثاتهم ، فإن وصلوا إلى اتفاق ، هذا ما أتمناه وتتمنونه أنتم وكل محب للسلام فى السودان ، أو أعود به إلى حيث أتينا معا .

كنت أعلم أن العقيد قرنق لن يحضر بهذه السهولة إلا إذا قطع شوطا من المباحثات المطمئنة التى تبرر له الحضور ، ولكنى أردت أن أؤكد لمن كنت أتحدث معهم مدى اهتمامى ورغبتى فى تحقيق السلام .

بعد يومين من هذا اللقاء مع السياسيين الجنوبيين ، وبالتحديد يوم ٧ نوفمبر ١٩٨٤ توقف إطلاق النار فى كل المواقع بالجنوب .. من «نيمولى» جنوبا على الحدود مع أوغندا إلى «راجا» شمالا على الحدود مع أفريقيا الوسطى .

شعرت بالتفاؤل وازداد حماسى للعمل ، وعلى امتداد اثنى عشر يوما متواصلة أجريت لقاءات مع أكبر عدد من السياسيين الجنوبيين فى الخرطوم بكافة اتجاهاتهم السياسية المختلفة ، كل يوم ألتقى بعدد من السياسيين غير الذين التقيت بهم فى اليوم السابق . وبعد أن أكملت اتصالاتى رفعت التقرير التالى الى الرئيس نميرى يوم ١٩ نوفمبر ١٩٨٤ .

(★) القطاطى جمع «قطية» وهو الكوخ الذى يسكنه غالبية سكان جنوب السودان ، ويبنى من القش وعصى الشجر والطين ، كما هو سائد فى أكثر القرى الأفريقية .

(التقـرير الأول)

التاريخ ١٩٨٤/١١/١٩

معالى الدكتور بهاء الدين محمد ادريس حفظه الله
مساعد رئيس الجمهورية لشئون الرئاسة

بعد سلام الله عليكم ورحمته وبركاته .. يطيب لى وقد شرفنى فخامة الرئيس جعفر محمد نميرى بأن أكون ذلك المواطن والأخ المخلص القادر أن يسهم ولو بقدر بسيط من جهده المتواضع فى العمل على لم شمل أسرة هى فى خلافها أقرب الى جمع صفها ونبذ خلافها لتعمل يدا واحدة على طريق الخير ودرب المحبة من أجل مستقبلٍ ، نامٍ ، مزدهرٍ ، ومستقرٍ ، متحدٍ تفخر به الأجيال القادمة وتتباهى به وترفع فيه رأسها .

من هذا المنطلق أشعر بتكليف فخامة الرئيس .. لاباعتبارى سفيرا لبلدٍ شقيق مخلص فى تعاونه معكم فحسب ، بل وأيضا باعتبارى ذلك المواطن الذى قابل حسن الوفادة بمثلها ، فأعطى من جهده وعرقه طوال عشر سنوات خلت حتى أصبح واحدا من أفراد تلك الأسرة التى امتزج بها ، فشاركها أفراحها وأحزانها ، وحرص حرص المخلصين على تماسكها ووحدة كلمتها ، واحدا منها لادخيل عليها .

من كل هذا الشعور الذى أقابله من الشعب السودانى بالمحبة والامتنان والعرفان يطيب لى أن أوضح لكم الآتى :

أولا ـ قبل أن أبدأ بإجراء أى اتصال مع الأطراف المعنية ، طلبت الإذن من حكومتى فكان أن شرفتنى بموافقتها تأكيدا منها ورغبة فى مشاركة فخامة الرئيس إخلاصه الذى لايشكون به لشعبه ومقدرته فى التغلب على كل الصعاب لتحقيق الأمن والسلام والرخاء فى ربوع السودان الشقيق فى ظل وحدته .

ثانيا ـ إنهم يشاركون فخامة الرئيس نميرى الرأى بل ويؤكدون بوجوب أن تجرى الاتصالات بسرية وهدوء تامين بعيدا عن وسائل الإعلام كى لايستغلها البعض للتشويش على جهود خيرة تبذل من أجل خير وأمن واستقرار البلد الشقيق مع تمنياتهم بالتوفيق .

ثالثا ـ منذ اليوم الثالث من هذا الشهر (نوفمبر) وأنا أُجرى اتصالات مكثفة مع السياسيين من أبناء الجنوب المقيمين فى الخرطوم فوجدت عندهم كل الرغبة

الصادقة فى العمل من أجل السلام استجابة لنداء فخامة الرئيس وأنهم مستعدون للعمل والتعاون معى فى أى وقت حفاظا على وحدة تراب السودان وحقن الدماء وبذل كل مافى وسعهم لتحقيق ذلك .

رابعا ـ رأيـــى الشخصـــى :

مما تقدم ومن خلال تلك الإتصالات التى أجريتها فى الأيام القليلة الماضية تبين لى الآتى :

١ ـ أنّ ٩٠٪ من حل الخلاف يكمن بيد فخامة الرئيس .. ذلك أن الفترة الإنتقالية لحكام الأقاليم الثلاثة الجنوبية تنتهى فى اليوم الرابع من شهر ديسمبر القادم .. فلو أصدر فخامته أمراً أو قراراً باجراء تعديل أو تغيير فى تلك الحكومات تختص فقط بتحقيق السلام لمدة خمسة أشهر تنتهى مهمتها فى نهاية أبريل القادم عام ٨٥ وهى الفترة التى تنتهى فيها تجربة الحكم الإقليمى فى كل الأقاليم السودانية .. هذا لو تم يعطى تقدما نسبته ٣٠٪ .

٢ ـ ٤٠٪ يضيفها فخامة الرئيس إلى النسبة أعلاها إذا صاحب ذلك القرار أمر بإجراء حوار مفتوح على مستوى المؤسسات الدستورية حول مستقبل الجنوب فى الإبقاء عليه مقسما أو العودة به إلى إقليم واحد ضمن بيان ٩ يونيو لعام ٦٩ واتفاقية أديس أبابا لعام ١٩٧٢ .

٣ ـ ٢٠٪ تضاف إلى الرقم أعلاه ليصبح المجموع ٩٠٪ إذا تفضل فخامته بإصدار عفو عام تدرج فيه أسماء كل الفارين من السياسيين الجنوبيين ليتمكنوا من العودة للمشاركة فى حوار مستقبل الجنوب يصاحبه أمر بوقف إطلاق النار من جانب القوات النظامية المسلحة إلا عند الضرورة للدفاع عن النفس أو ممتلكات الدولة .

٤ ـ ٧٪ يمكن لى وبمن أستعين بهم أن نوفق بها فى أقل من شهر واحد حيث سيكون مصدر إقناعنا للأطراف المعنية ما جاء فى البنود أعلاها .

٥ ـ ٣٪ قد يستعصى إقناعها فتبقى كما هى منعزلة والوقت كفيل بتغيير موقفها وسوف يكون سبب رفضها هو تخوفها من عدم تمكن الجهات المختصة إلى قرارات تسوية فيكونوا هم نواة لقيادة تمرد جديد .

بهذا أختم تقريرى الأول ويشرفنى أن أرفعه الى فخامة الرئيس بواسطتكم متمنيا أن أكون قد وفقت فيما وصلت إليه من نتائج مؤكدا عبركم لفخامته حبى

وتقديرى وأمنياتى الطيبة له بطول العمر وللشعب السودانى العزيز إلى نفسى دوام الأمن والاستقرار والإزدهار فى ظل وحدته وثورته وقائدها مبديا استعدادى التام لبذل كل مابوسعى لخير السودان الشقيق . والله يحفظكم ...

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

أخوكم

عبد الله السريع

سفير دولة الكويت

ضمنت فى هذا التقرير كما هو واضح بعض المقترحات منها إجراء تغيير فى حكومات الأقاليم الثلاثة وليس على كل الحكومات ، وتعيين غيرهم من السياسيين الجنوبيين . وكان ذلك أمرا سهلا لأن فترة حكومات الأقاليم الثلاثة كانت ستنتهى فى الرابع من ديسمبر ، أى بعد أسبوعين من تاريخ هذا التقرير . إلا أن الرئيس نميرى فى الثلاثين من نوفمبر ألقى خطابا كعادته فى نهاية كل شهر يخاطب فيه شعبه عبر الإذاعة والتليفزيون ، أعلن تمديد فترة حكام الأقاليم الجنوبية الثلاثة (*) لمدة رئاسية أخرى دون أى تغيير فيها ، فكان الرد من جون قرنق على ذلك ليس شفويا أو خطابيا وإنما عملا عسكريا حيث أسقط فى اليوم التالى طائرة «فانتوم» مقاتلة وطائرة مروحية فى «ملكال» عاصمة إقليم أعالى النيل ، وفى الثانى من ديسمبر أغرق باخرتين فى ميناء مدينة «الناصر» بنفس الإقليم ، ربما لا تزالان حتى الآن غارقتين . وبعدها استأنف قرنق القتال .

(التقــرير الثانى)

اعتادت الحكومة السودانية ان يقوم رئيس الجمهورية بافتتاح أهم المشاريع فى أعياد الإستقلال التى يحتفل بها الشعب السودانى فى الأول من يناير من كل عام ، وبما أنى تقدمت بطلب إلى رئاسة الجمهورية مبلغا اياها الإنتهاء من مشروع القرية السكنية التى قام مكتب الكويت بإنشائها فى جوبا ، متمنياً أن

(★) كان هؤلاء الحكام هم المهندس « جوزيف طمبرة » حاكماً للاقليم الاستوائى ، و « دانيال كى » حاكماً لاقليم أعالى النيل ، والدكتور « لورانس وول » حاكماً لإقليم بحر الغزال .

يتفضل السيد الرئيس بتسلمها . لذا أدرجت هذه القرية المكونة من ٢١٤ وحدة سكنية(*) ضمن برنامج افتتاحات الرئيس لعدد من المشروعات بمناسبة أعياد الاستقلال . وبهذه المناسبة قرر الرئيس أن يزور الأقاليم الجنوبية الثلاثة وهى الزيارة الأولى التى يقوم بها بعد تقسيم الجنوب إلى ثلاثة أقاليم ، وبعد تطبيق قوانين الشريعة الإسلامية .

أقامت الحكومة الإقليمية احتفالا رسميا حضره الرئيس نميرى والوزراء وكافة المسئولين فى الإقليم ورئيس ونواب مجلس الشعب الإقليمى وكبار الضباط ووجهاء المدينة . وفى هذا الإحتفال تسلم الرئيس القرية ، وقام بعدها بوضع حجر الأساس لمشروع جديد سيقوم مكتب دولة الكويت بجوبا بتنفيذه وهو عبارة عن جامع كبير متعدد الأغراض فى ميدان المولد بمدينة (جوبا) .. وهذا الجامع يتسع لأكثر من ألف مصل ، وملحق به مكتبة ومنزلان للامام والمؤذن و ١٢ دكاناً وقف لصرف مرتبات الإمام والمؤذن وصيانة المسجد .

وبعد سفر الرئيس تأخرت فى جوبا بضعة أيام لألتقى بعدد من السياسيين الجنوبيين الذين لم أكن قد التقيت بهم فوجدت عندهم نفس الرغبة فى تحقيق السلام بنفس القدر الذى سمعته من الساسة الجنوبيين الذين التقيت بهم فى الخرطوم .

وبعد أن عدت إلى الخرطوم رفعت تقريرى الثانى فى التاسع عشر من شهر يناير . وفى هذه المرة سعيت للإتصال هاتفياً بالدكتور بهاء الدين ادريس لتقديم تقريرى الثانى إلا انى لم أتمكن حيث كانت سكرتيرته تجيبنى دائماً بأنه مشغول مع الرئيس ، وكررت المحاولة مراراً خلال عدة أيام فكنت أتلقى نفس الرد مما اضطرنى أن أذهب اليه فى مكتبه كأخ وصديق بدون موعد سابق ، وسلمت له التقرير التالى .

(★ ★) هذه القرية كان اللواء قسم الله عبدالله رصاص حاكم الاقليم الجنوبى قبل التقسيم قد وضع له حجر الأساس فى احتفال قمت بالاعداد له . حدث عندما توجهنا فى موكب رسمى لوضع حجر الأساس حيث طلب من سائق سيارته التى تتقدم الموكب أن يوقفها فتوقفت السيارة وتوقف الموكب معها على بعد كيلومترا من مقر المشروع . وفوجئت به ينزل من السيارة ويجرى فجرى البعض كما فعل ومن لم يستطع راح يمشى . وعندما وصلنا إلى مكان الاحتفال قال لى انه رجل رياضى تعود على ممارسة الرياضة والجرى يومياً لكن مسئولياته كحاكم لا تتيح له فرصة ممارسة الرياضة فوجدها فرصة كى يمارسها .

سـري
(التقرير الثاني)

التاريخ : ٢٧ ربيع الثاني ١٤٠٥ هـ
: ١٩ يناير ١٩٨٥ م

معالى الدكتور بهاء الدين محمد ادريس المحترم
مساعد رئيس الجمهورية لشئون الرئاسة

بعد التحية ،

يطيب لى أن أرفع عبركم الى فخامة الرئيس جعفر محمد نميرى التقرير التالى :

١ ـ منذ أن رفعت تقريرى الأول والى الآن والجنوبيون المقيمون فى الخرطوم لم ينقطع اتصالهم بى .. بل اعتبرونى طرفا رئيسيا فى السعى لتحقيق السلام وأن ثقتهم بى لاتقل عن الثقة الكبيرة التى خصنى بها فخامة الرئيس ، ذلك أنهم مقتنعون كقناعة فخامته أن الكويت لاتبتغى من السودان الشقيق غير أمنه واستقراره وأن «عبد الله» لايحمل للشعب السوداني غير المحبة والأمنيات الطيبة .. من هذا المنطلق سيقفون إلى جانبى بكل ثقلهم لتحقيق السلام .

٢ ـ أثناء اقامتى فى جوبا خلال تسليم مشروع القرية السكنية ، أجريت اتصالات هناك مع بعض السياسيين خارج السلطة فوجدت عندهم نفس مشاعر وأحاسيس من التقيت معهم هنا فى الخرطوم وأنهم مستعدون لمساعدتى بكل امكاناتهم الشخصية .

رأيـــــى :

١ ـ لقد دعا فخامة الرئيس فى كثير من خطبه ، الشعب الى الحوار إلا أن الجنوبيين يتمنون لو أن فخامته يضع نقاطا يحدد فيها رأيه فى الحل لتكون أساس مناقشتهم فى مؤسساتهم الدستورية .

٢ ـ أو يدعو فخامته من يراهم من الجنوبيين للإجتماع بالسيد/عز الدين السيد رئيس مجلس الشعب ليقدموا هم تصورهم للحل أو بأى شخص يختاره فخامته .

٣ ـ يثق الجنوبيون على اختلاف ميولهم السياسية بالسيد/سر الختم الخليفة ، ويمكنه أن يلعب دورا بذلك ، أيضاً ثقتهم تشمل الفريق معاش يوسف أحمد يوسف والأخير هذا له تأثير شخصى على العقيد قرنق لأنه عمل ضابطا مع الفريق .

٤ ـ اذا رغب فخامة الرئيس بتكليف السيدين (فى رقم ٣) يمكنهما الإتصال مع قادة التمرد فى الخارج للوقوف على رأيهم .

٥ ـ بعد عودة السيدين/سر الختم والفريق معاش يوسف أحمد يوسف وعلى ضوء مايقدمانه لفخامة الرئيس أستطيع أنا إذا رغب الرئيس بأن أصحب معى اثنين أو ثلاثة من الجنوبيين للسفر «للخوراج» لنضع اللمسات الأخيرة للحل .

أتمنى من الله التوفيق .
والله يحفظكم .
وتفضلو بقبول فائق الاحترام .

أخوكم
عبد الله السريع
سفير دولة الكويت

اقترحت فى هذا التقرير كما هو مبين تشكيل لجنة من شخصيتين ، واقترحت اسم السيد/سر الختم الخليفة ، والفريق يوسف أحمد يوسف ، وسبب اختيارى لهذين الشخصين كان بناء على ماسمعته من الجنوبيين أنفسهم عنهما ، فهما يتمتعان بثقة كاملة من أبناء الجنوب . وسر الختم الخليفة رئيس وزراء سابق ومن أسرة كبيرة ، وكان قد عمل فى الجنوب كمدير للتعليم وتنقل فى عدد من مدارس الجنوب لسنوات طويلة . أما الفريق يوسف أحمد يوسف فقد عمل فى الجنوب فترات كان آخرها قائدا للفرقة الأولى التى مقرها جوبا . وكان جون قرنق قد عمل كضابط فى وحدته وبالتالى فإن الفريق يوسف له دلالة عليه .

★ ★ ★

فى نفس اليوم الذى سلمت فيه التقرير الثانى ، وكان يوم ١٩ يناير ١٩٨٥ ، كنت أجلس بعد الظهر كعادتى أتناول الشاىّ فى حديقة المنزل ، وكانت زوجتى

معى ، وبيدى مذياع صغير (راديو) ، وكنت أدير مؤشر المذياع أبحث عن أية اذاعة ناطقة باللغة العربية وتوقف المؤشر عند محطة تذيع نشرة أخبار الساعة الخامسة وتبين لى أنها اذاعة صوت المانيا الغربية . وفى هذه النشرة سمعت خبرا يقول ان العقيد جون قرنق غاضب من الرئيس نميرى لأنه بعث له السيد «خاشوقجى» ليشتريه بالمال ، وأن قرنق رد على ذلك بأن مشكلته قومية وليست مادية .

هزنى هذا الخبر وشعرت بأن شيئا ما يعترى جسدى حتى أن زوجتى لاحظت عليّ ذلك ، وبدأ العرق يتصبب منى وتملكنى شعور بخيبة الأمل لأن السلام الذى طلب منى وسعيت إليه قد تبخر .

بدأ الشعور بالإعياء والمرض يتملكنى فحجزت تذكرة للسفر إلى الكويت ، بعد يومين من تقديم تقريرى الثانى وسماعى لهذا الخبر ، فقد بلغ بى الإعياء إلى حد أننى لم استطع الصعود إلى سلم الطائرة إلا بمساعدة شخصين على ذلك .

وفى مساء اليوم التالى لوصولى الى الكويت ، وفى حوالى الساعة العاشرة مساء شعرت بحالة اغماء فنقلت الى أقرب مستشفى ، وهو مستشفى (هادى) ، الذى ما أن نقلونى إليه وأنا فى شبه حالة اللاوعى ، حيث سارع الطبيب المناوب بفحصى وما أن أتم فحصه حتى أدخلنى فورا الى غرفة العناية المركزة ، وأبلغ ابنائى أننى مصاب «بجلطة حادة» ، وأن حالتى الصحية فى هذه اللحظة غير مطمئنة ، ولا يتوجب الكلام معى ، وعلى أن أبقى عدة أيام بهذه الغرفة .

ولم أفق إلا فى اليوم التالى ، وشعرت بجسدى كله مقيدا ، فقد كان موصولا بالعديد من الأجهزة الطبية . وعندما علم صاحب السمو الأمير بعد ثلاثة أيام بأنى فى المستشفى أمر بنقلى الى «مستشفى الصباح» فى وحدة العناية المركزة . وفى مستشفى الصباح تفضل صاحب السمو الأمير وسمو ولى العهد ونائب رئيس الوزراء وزير الخارجية وعدد من الوزراء بزيارتى ، وكان السفير السودانى يزورنى كل يوم ، وقد حمل لى فى اليوم الأول باقة ورد كبيرة من الرئيس نميرى فشكرته ، وكذلك أفراد الجالية السودانية فى الكويت لم ينقطعوا عن زيارتى يوميا ، وكذلك بعث لى الوزراء السودانيون وأصدقائى من السفراء بالخرطوم برقيات متمنين لى الشفاء .

غادرت المستشفى يوم ١٤ فبراير وأنا أحسن حالاً ، وبعد أن تماثلت للشفاء ، أبلغت حكومتى انى قررت رفع يدى عن موضوع التوسط فى حل مشكلة الجنوب ، حيث كنت قد أبلغتها كتابة فى كل المراحل التى قمت بها سابقاً ، وعدت فى شهر مارس إلى مقر عملى فى الخرطوم .

وبعد أن عدت علمت أن الرئيس نميرى قد شكل لجنة تضم ثلاثين شخصا من كافة الاقاليم يرأسها السيد سر الختم الخليفة ، ولم يشترك فيها الفريق يوسف أحمد يوسف ، على أن تجتمع وترفع تقاريرها إلى الرئيس كل ثلاثة أو ستة أشهر ، كما كلَّف الرئيس السيد عز الدين السيد رئيس مجلس الشعب أن يناقش مشكلة الجنوب مع الجنوبيين فى جلسات مسائية للتَّوصل إلى ما يؤدى إلى إحلال السلام فى الجنوب .

زارنى السيد سر الختم الخليفة فى منزلى بعد عودتى إلى الخرطوم بعد أن علم بمرضى ليطمئن على . ودار بيننا الحديث ، وسألته إن كان يعلم لماذا كلف برئاسة هذه اللجنة ، فأجاب بالنفى فأطلعته على التقرير الثانى الذى كنت قد رفعته للرئيس نميرى واقترحت اسمه فيه ، وأوضحت له وجهة نظرى بقولى أن تشكيل لجنة من ثلاثين عضوا أمر غير عملى ولن يحقق السلام المطلوب ، وقلت له كيف لك أن تجتمع مع ثلاثين شخصا من كافة أقاليم السودان ، هل لديك ميزانية لتوفر نقلهم بالطائرات أو أى وسيلة أخرى وتوفر لهم اقامتهم وتحركاتهم فى العاصمة . وحتى لو وفرت لك الحكومة الميزانية ، فكيف توحد آراء هذا العدد ليعالجوا هذه المشكلة ؟ ، ومطلوب منك أن ترفع تقريرا للرئيس كل ثلاثة أو ستة أشهر ، فهذا يعتبر تعيينا وليس مجرد لجنة تناقش مشكلة معينة . لهذا كله لاأتصور أنه يمكنكم أن توفقوا فى معالجة الموضوع وحله .

اقتنع السيد سر الختم بوجهة نظرى وأخذ بها فلم تجتمع اللجنة ، ولم يزاول أى نشاطا حول هذا الموضوع .

أما لجنة مجلس الشعب فقد حضرت جلستين منها واستمعت الى الحوار بين رئيس مجلس الشعب والجنوبيين ، واقتنعت أن هذا الحوار الذى أسمعه لن يقود الى حل مشكلة الجنوب فهم لم يناقشوا جوهر الموضوع وانما كانوا يتكلمون فى العموميات ، وكل منهم يخشى على نفسه ، لذا فإنهم اكتفوا بتلبية الدعوات دون موضوعية فى النقاش .. مجرد اجتماع شكلى تكتب عنه الصحف المحلية .

وبعد أيام عاودتنى الانفعالات وآلام الجلطة من جديد فنصحنى الدكتور «عبد الرحمن السميط» وهو طبيب كويتى كان متواجدا فى الخرطوم آنذاك

ويرأس لجنة مسلمي أفريقيا الكويتية، بضرورة السفر للعلاج، فقررت السفر إلى نيروبي بعد أن أبلغت حكومتي، وصحبني صديق سوداني هو السيد/حسن محمود أبُوه، وكان مفروضاً أن يصحبني الدكتور (أسادور كمجيان) طبيب السفارة وهو أيضاً صديق لي : إلا أن إجراءات حصوله على التأشيرة قد تأخرت ودخلت مستشفى في نيروبي عاصمة كينيا وهناك شعرت بتحسن فانتقلت إلى فندق وأمضيت عدة أيام مترددا بين المستشفى والفندق، التقيت خلالها بالسفير السوداني «ابراهيم طه أيوب» الذي شغل فيما بعد منصب وزير الخارجية عقب الإطاحة بالرئيس نميرى، ومن هناك سافرت إلى جزيرة «سيشيل» للإستجمام وذلك لتحسن جوها. وكان مفروضا أن أمكث بها سبعة أيام إلا أن رطوبتها الشديدة الخانقة لم تساعدني على ذلك فغادرتها بعد ثلاثة أيام وعدت الى نيروبي يوم ٢ أبريل، وعندما كنت في نيروبي وقعت الإنتفاضة الشعبية في السودان، وأطيح بالرئيس نميرى، وتوقفت الرحلات الجوية بين السودان والدول الأخرى. وبعد أن استؤنفت الرحلات توجهت إلى جوبا ومنها إلى الخرطوم لأستأنف عملي في إطار نظام حكم جديد.

★ ★ ★



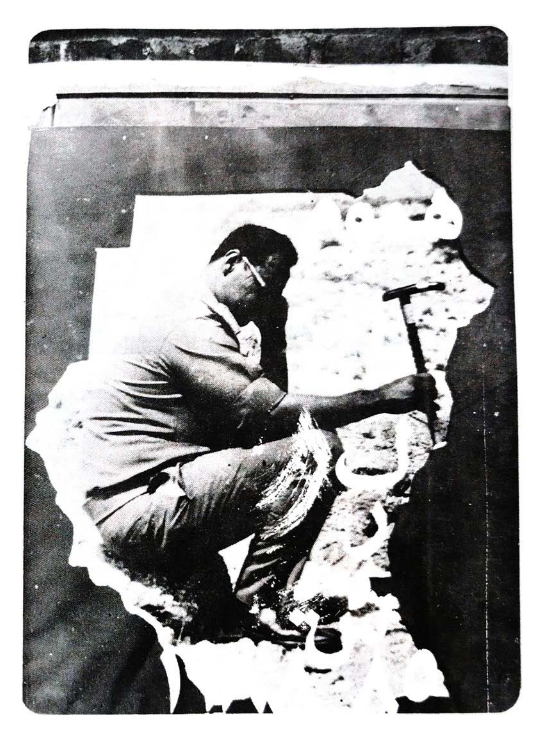
صورة نادرة تجمع ثلاثة من رؤساء الاقليم الجنوبي قبل تقسيمه إلى ثلاثة أقاليم عام ١٩٨٢ يظهر في اليمين الفريق جوزيف لاقو يليه السيد أبيل ألير فاللواء قسم الله عبدالله رصاص.



مع اللواء عمر محمد الطيب النائب الأول للرئيس نميرى



مع الرئيس نميرى ويجلس إلى جواره المهندس جوزيف طمبره حاكم الإقليم الإستوائى ، يناير ١٩٨٥ بمناسبة الاحتفال بتسليم القرية السكنية التى أنشأها مكتب الكويت بجوبا ويظهر فى الصورة شمال المؤلف السيد حسين محمد العبدان مدير المكتب .



الرئيس نميرى وهمومه فى عام ٨٥ ـ ١٩٨٨ كما تخيلها المصور ، وصورته تغطى خريطة السودان (قبل الإطاحة به بقليل)

الفصل الثالث

نميرى
كما يقولون عنه

الفصل الثالث
نميرى كما يقولون عنه

ربطتنى بالرئيس السودانى السابق جعفر محمد نميرى علاقة طيبة ، من خلال زياراته التى كان يقوم بها إلى جوبا عاصمة الإقليم الجنوبى قبل التقسيم حين كنت مديراً لمكتب الكويت هناك .. وهو رجل بسيط وودود .

وفى أواخر سنوات حكمه قيل انه كان يؤمن بالغيبيات ويختلط كثيراً بالمتصوفين ، ويزور أصحاب الطرق الصوفية فى أماكنهم ، ويردد معهم الأدعية والأذكار . وأنه أيضا يعتقد فيما يقوم به أناس يطلقون عليهم إسم « الفكيه »(★) ، ويقال ان العصا التى كان يحملها معه دائماً ، تلا عليها أحد هؤلاء آيات لمنع الأذى عن حاملها .

(فكى) غرب السودان

تردد أن الرئيس نميرى عندما قرر زيارة الأقاليم الجنوبية بعد تقسيمها من إقليم واحد إلى ثلاثة أقاليم ، وبعد تطبيق قوانين الشريعة الإسلامية إن الجنوبيين ضعف ولاؤهم وتقديرهم لشخص الرئيس نميرى .. وقد أبلغه بعض مستشاريه أنه قد يستقبل فى هذه الزيارة استقبالاً لا يليق به ، وقيل أن طائرة عسكرية توجهت إلى غرب السودان وأحضرت (فكيهاً) مشهوداً له بالكفاءة فى منع الأذى عن الغير بواسطة الدين . وأنه حضر إلى الخرطوم والتقى بالرئيس ، وبعدها توجه إلى مدينة (واو) عاصمة إقليم بحر الغزال المحطة الأولى للرئيس ليقوم بعمل من شأنه أن يصد خطراً قد يحدث للرئيس .

وفى مطار جوبا ، كان الجو غائماً .. وقد خففت السحب المتناثرة من حرارة الشمس حيث أن جوبا تقع على خط الإستواء ، ويكون شهرا يناير وفبراير من كل عام حارين بعكس شمال السودان الذى يكون فيه الجو شتاءً بارداً .

(★) ويقصد بها الفقيه ، وفى السودان تنطق بحرف الكاف .

وما هى إلا دقائق حتى ظهرت الطائرة العسكرية فطلب منا مدير المراسم فى رئاسة الحكومة الاقليمية أن نصطف استعداداً لاستقبال وتحية الرئيس ، إلا ان الطائرة توقفت فى مكان ناء من ساحة المطار ، وتوجهت إليها إحدى السيارات فخرج منها طبيب واثنان من المضمدين وبعض الأفراد وهم الفريق الطبى للرئيس .. إذن هى ليست الطائرة التى ننتظرها . ظللنا فى حالة انتظار ، وبعد عشر دقائق ظهرت طائرة أخرى فاصطففنا من جديد ، وهبطت الطائرة واتجهت إلى موقف آخر بعيد عنا وتوقفت على طرف آخر فى مدرج المطار ، وإذا هى طائرة الصحفيين والإعلاميين وحاملى كاميرات التليفزيون المكلفين بتغطية زيارة الرئيس .. وبعد قليل ظهرت الطائرة الثالثة من نفس النوع العسكرى ، وكانت تبدو على ارتفاع شاهق لأسباب أمنية وهبطت بنفس الطريقة التى هبطت بها الطائرتان السابقتان وذلك خشية أن تصاب الطائرة وهى على ارتفاع منخفض بأحد صواريخ سام (٧) المضادة للطائرات التى تملكها قوات جون قرنق . وبدأت الطائرة تنزل من علوها على شكل حلزونى ودائرى حتى هبطت ، وتوقفت بالقرب من المصطفين ، ونزل منها الرئيس بملابسه العسكرية وهو يحمل عصاه كعادته .

ومن المطار توجه إلى القرية السكنية ، التى أنشأها مكتب الكويت ، وطاف بها وقمت بتسليمه مفاتيح تلك المنازل التى سلمها بدوره إلى حاكم الإقليم ، ثم توجه إلى ميدان المولد حيث وضع حجر الأساس للجامع متعدد الأغراض .

وفى اليوم التالى حضرت حفل إفطار معه فى جناحه الخاص وكان معه بعض وزرائه من الشماليين وحاكم الإقليم ، وكان بسيطاً ومتواضعاً يتحدث مع كل من حوله ببساطة وود وابتسامة ، فقلت لنفسى هل هذا هو الرجل الذى كنا بالأمس نقف فى انتظاره وسط تلك الإجراءات الأمنية التى تعبر عن الهيمنة والتعالى وقوة السلطة ؟! .

مسـجد النيلين

بدىء فى مشروع إنشاء مسجد النيلين فى عهد الرئيس نميرى ، ويقع المسجد بالقرب من مقر مجلس الشعب على النيل بمنطقة المقرن عند التقاء النيلين الأبيض والأزرق فى أول مدخل مدينة أم درمان ، وهو من أحدث المساجد وأكبرها وأجملها فى السودان ، ويعتبر معلماً إسلامياً على مستوى الوطن العربى والإسلامى ، صممه مهندس سودانى ، ونفذه فنيون من المملكة المغربية على

الطراز الإسلامى ، والمسجد على شكل قبة ، ويتسع لأكثر من ألف مصل ، وخارجه بنيت قباب على شكل أضرحة ، وقيل ان الرئيس اختار أحدها ليدفن فيها بعد وفاته ، وللمسجد ملحقان تضم مكتبة دينية ، وقاعات لتحفيظ القرآن الكريم .

ولما تم بناء المسجد عام ١٩٨٣ قيل للرئيس نميرى أن عليه أن يؤجل افتتاحه لأن افتتاحه مرتبط بانتهاء حكمه أو انتهاء حياته .

ولهذا ظل المسجد على بنائه تؤدى فيه الصلاة دون افتتاح رسمى لمدة عام ، إلى أن افتتحه الرئيس نميرى رسمياً فى يناير عام ١٩٨٥ .. وبعدها بشهرين وقعت الإنتفاضة الشعبية التى أطاحت بحكمه . وقيل له انه إذا افتتح المسجد سوف يقع ، وبالفعل بعد أن ألقى كلمته فى حفل افتتاح المسجد انزلقت قدمه وهو يهبط عائداً إلى مقعده ، فوقع وجرحت ساقه ، وكنت أحد الحضور ، وقد ضمده طبيبه وبقى إلى أن انتهى الحفل .

تغيير الــوزراء

كان الرئيس نميرى شغوفاً بتغيير الوزراء ، وبلغ عددهم فى فترة حكمه حوالى ثلاثمائة وزير . وفى فترة حكمه غير ستة نواب أول فبعد قيام انقلاب مايو ١٩٦٩ كان النائب الأول لرئيس الجمهورية هو السيد بابكر عوض الله وبعده اللواء خالد حسن عباس ثم اللواء محمد الباقر أحمد ، وبعده الرائد أبو القاسم محمد إبراهيم أحد أعضاء مجلس قيادة الثورة ، وبعد فترة أعفاه من منصبه وعين بدلاً منه الفريق أول عبد الماجد حامد خليل الذى كان قائداً عاماً للقوات المسلحة ثم أعفاه من منصبه وعين اللواء عمر محمد الطيب رئيس جهاز أمن الدولة نائبا أول له مع الإحتفاظ بوظيفته .. حتى قامت الإنتفاضة الشعبية فى مارس/ابريل ١٩٨٥ .

★ ★ ★

أذكر أن اللواء عمر الطيب حدثنى أنه سيقوم بزيارة إلى دول خليجية ، وعندما التقيت بالرئيس نميرى بعد يومين ذكرت له أن نائبه الأول ينوى القيام

بجولة فى دول خليجية فاعتدل الرئيس فى جلسته ونظر إلىّ مندهشا .. فاتحاً عينيه .. وقال متسائلا : « هو قال لك هذا ؟! » فأجبته بعد أن استدركت : إنه سيقوم بهذه الجولة بعد أن يستأذنكم .

وخلال فترة حكم نميرى جرت عدة محاولات انقلابية .. أهمها انقلاب هاشم العطا عام ١٩٧١ ، الذى استطاع ولمدة يومين أن يسيطر على الموقف إلى أن تمكنت القوات المسلحة من إجهاض محاولته فى اليوم الثالث ، وكان العقيدان بابكر النور وفاروق حمد الله متواجدان في لندن حيث عقدا مؤتمراً صحفياً أعلنا فيه أنهما مشتركان فى هذا الانقلاب وأنهما سيتوجهان فى اليوم التالى إلى الخرطوم ، فتوجه على الفور ثلاثة شخصيات سودانية إلى ليبيا وهم السيد أحمد سليمان والسيد محمد عبد الحليم واللواء خالد حسن عباس والتقوا بالرئيس الليبى معمر القذافى ورجوه أن يأمر بانزال الطائرة التى تقل الضابطين فى مطار طرابلس والحجز على هذين الضابطين وتسليمهما للخرطوم ، فأصدر أوامره ، وفعلا اعترضت طائرتان عسكريتان الطائرة وانزلتها فى المطار الليبى وأنزل الضابطين منها وَسُمِحَ للطائرة بمواصلة رحلتها ، وتم نقل الضابطين إلى الخرطوم حيث حوكما وأعدما .

وهناك محاولة جرت عام ١٩٧٦ أريقت فيها دماء كثيرة ، وغير ذلك جرت محاولات لم يعلن عنها ، واجهضت فى حينها ، إلا أن أخبارها تتردد على ألسنة الناس فى الشارع السودانى .

أما تغيير الوزراء فكان ظاهرة سائدة ، فأكثرهم لا يستمر فى وزارته أكثر من عامين ، وقد أثر هذا على تطور التنمية وأسلوب العمل الإدارى ، فكل وزير ما أن يبدأ بوضع برنامج وخطة لسياسة وزارته حتى يفاجأ باقالته فيأتى غيره ليضع خطة مغايرة .

وأذكر أن شخصية سودانية التقت بالرئيس نميرى بعد أن أعفى وزيراً من منصبه وسأل الرئيس قائلا : إن فلاناً وقد أعفيته من عمله لا يطمع فى العودة ، وإنما يسأل لماذا أعفى .

فقال له الرئيس : وهل استشرته عندما عينته حتى أقول له لماذا أقلته ؟

ويحكى أيضاً أن وزيراً أصدر الرئيس قراراً بتعيينه فذهب إلى الوزير الذى سبقه وسأله عن الأخطاء التى ارتكبها فى وزارته حتى يتجنبها كى لا يغضب الرئيس .

فقال له .. لن أقول لك شيئا ولكنى أعطيك ثلاثة أظرف مغلقة ، كل ظرف عليه رقم ، فإذا شعرت أن الدائرة بدأت تضيق عليك افتح الظرف الأول واعمل بما فيه ، وإذا تزايد عليك النقد افتح الظرف الثانى ثم أخيراً افتح الظرف الثالث .

وفعل الوزير المعين بالنصيحة ، فلم تمض عدة أشهر حتى بدأ يشعر أن الرئيس غير راض عن أدائه وهو محل نقد من الصحف ففتح الظرف الأول فوجد فيه أن عليه أن يعلن أنه اكتشف أخطاء في وزارته وهو بصدد إزالة هذه الأخطاء ، وأنه سوف يغير أسلوب الإدارة . وأعطى كثيرا من الوعود وظل عدة أشهر أخرى ولم يتغير شيء فتجددت الحملة عليه ، ففتح المظروف الثانى فوجد مكتوباً فيه أن عليه أن يعلن أنه لم يستطع أن ينفذ ماوعد به لأن بعض مساعديه غير متعاونين معه ، لذا فإنه سيجرى بعض التغييرات فى وزارته ويأتى بأشخاص يعرفهم ويثق بهم . وبعد أن أجرى هذا التغيير اعتقد أنه بذلك أرضى الرئيس والإعلام .. وبعد عدة أشهر أخرى لم يحدث تقدم فى وزارته رغم التغيير الذى أجراه فبدأت حملة النقد تتسع ضده ففتح الظرف الثالث فوجد مكتوبا فيه : « جهز ثلاثة أظرف مماثلة إلى الوزير الذى سيخلفك لأن دورك انتهى . »

قد تكون هذه الحكاية نكتة سودانية لكنها تعكس كيف كان ينظر الوزراء وكبار المسئولين إلى الرئيس نميرى .

مبالغة فى مدح الرئيس

كان المسئولون والوزراء يبالغون فى الثناء على الرئيس وَوَصْفه بأوصاف قد تصل إلى تجاوز المألوف من القول . وأذكر أن النائب الأول لرئيس الجمهورية اللواء عمر الطيب كان قد دعا السفراء العرب والمسلمين لزيارة مدينة « الزيداب » فى الإقليم الشمالى وهى مسقط رأسه ليحضروا حفل افتتاح مسجد أشرف على تنفيذه . وحضر الحفل السيد رئيس الجمهورية وعدد كبير من الوزراء والمسئولين وكبار ضباط من قوات الشرطة والجيش .

توجه المدعوون بطائرات ذات محركين (فوكرز) ، وكانت الإستعدادات قد سبقت المسئولين للإعداد لافتتاح هذا المسجد ، وذهبنا جميعا إلى المسجد

لحضور الإفتتاح ولأداء صلاة الجمعة ، وفى المسجد وقت الصلاة تقدم أحد مسئولى الشئون الدينية ليحيى الرئيس ويقدمه ليخطب فى المصلين ، فاستهل حديثه مخاطبا الرئيس بقوله (يا فحل الرجال) .. وقبل أن يختتم كلمته كرر هذه الكلمة .. فشعرت بهذا التعبير يصدم أذنى وانتابنى إحساس بالضيق وتمنيت لو أن بمقدورى أن أغادر المسجد ، فكل من فى المسجد رجال فكيف يوصف شخص حتى لو كان رئيس الدولة أمام رجال فى بيت من بيوت الله بهذه الصفة .

لاحظت أيضاً أن رجال الأمن الخاص بالرئيس قد دخلوا المسجد وهم يحملون أسلحتهم فى حقائب صغيرة وجلسوا كمصلين فى الصف الأول وتوزع آخرون فى الصفوف الأخرى .

★ ★ ★

الباب الثاني

الإنتفاضة الشعبية
وحكم الأحزاب

الفصل الرابع

الإنتفاضة الشعبية
والمجلس العسكرى الإنتقالى

الفصـل الرابـع

الإنتفاضـة الشـعبية
والمجلس العسكرى الإنتقالى

أحكم الرئيس نميرى قبضته على السلطة بعد أن طبق قوانين الشريعة فى سبتمبر ١٩٨٣ ، وبدأ يشرع فى تنفيذ حكم الفرد وتجميع كل السلطات فى يده ، فاعتقل العديد من السياسيين ، وأجرى كثيراً من التغييرات فى المناصب الدستورية وبين كبار الضباط من القوات المسلحة والشرطة ، وكانت أجهزة أمنه تعتقل كل من يتفوه بكلمة ضده ، كما جمد رئاسة القضاء وعين محاكم أطلق عليها اسم « محاكم الطوارىء » ، ثم غير إسمها إلى محاكم العدالة الناجزة وهى لا تتبع لرئاسة القضاء بل إلى الرئيس نميرى مباشرة . ومنذ ذلك التاريخ بدأت الممارسات تصبح أكثر عنفاً ضد المواطنين باسم الدين مثل التحقيق فيما يسمى (بالشروع فى الزنا) ، حيث يوقف أفراد شرطة صغار سيارات المواطنين فى الشوارع ، الذين معهم أسرهم ويسألون عن المرأة التى تجلس بجوار من يقود السيارة ، فإذا لم يبرز عقد الزواج فإنه يقتاده إلى أقرب مخفر للشرطة . ربما تكون هذه السيدة ليست زوجته فقد تكون شقيقته أو يكون عمها أو خالها ، وفى المخفر ما لم يثبت صلة القربى يجلد بتهمة الشروع فى الزنا .

وبمناسبة مرور عام على تطبيق قوانين الشريعة دعا الرئيس نميرى إلى مسيرة ضخمة أطلق عليها المسيرة المليونية دعا لها عدد كبير من العلماء المسلمين من الدول العربية ، وقد نظم لهذه المسيرة جماعة الإخوان المسلمين الذين يرأسهم الدكتور حسن الترابى مساعد رئيس الجمهورية ، فى الوقت الذى كان يَتَضَـوَّرُ فيه المواطن فى غرب السودان جوعاً ، كانت الخرطوم تعيش أفراحاً وبذخاً .

وفى لقاء الرئيس مع علماء من الدول العربية تحدثوا إليه بوضوح وخاصة وفد الجمهورية اليمنية حيث أبلغوه أن الممارسات التى تطبق فى السودان باسم الدين وتحت مظلة الشريعة الإسلامية هى خاطئة .

وضربوا مثلاً أنه لا وجود فى الدين لعقوبة ما يسمى بالشروع فى الزنا لأنه لا يوجد أصلاً ما يسمى بذلك . كذلك فإن الذين كانت محاكم العدالة الناجزة تصدر أحكاماً ضدهم سواء بالجلد أو بالقطع كانت تذاع أسماؤهم فى التليفزيون مما يعتبر تشهيراً ، وهو الشىء الذى يرفضه الشعب السودانى لأن هذا ليس من صفاته أو عاداته .

وقد تسبب ذلك فى تقلص شعبية الرئيس نميرى وشعر هو بذلك فاعتبر أن الإخوان المسلمين الذين يترأسهم الدكتور حسن الترابى مساعده للشئون السياسية هم الذين تسببوا فى هذا ، وعزلوا بينه وبين الجماهير ، فاعتقل فى أوائل شهر مارس ١٩٨٥ ، واحداً وعشرين شخصاً من قيادتهم ، منهم الدكتور الترابى .

وفى بداية تطبيق الشريعة عين قضاة فى محاكم « العدالة الناجزة » ، فى العاصمة المثلثة وفى الأقاليم ، وفى العاصمة كان أكثر قاضيين متشددين هما السيد فؤاد الأمين عبد الرحمن فى الخرطوم ، والشيخ مكاشفى طه الكباشى فى الخرطوم بحرى حيث كان هذان القاضيان أكثر القضاة تشدداً فى إصدار الأحكام بالجلد والقطع ، وقد كافأهم الرئيس نميرى بترقيتهما حيث عين القاضى فؤاد الأمين رئيساً للقضاء وهو منصب يأتى فى المرتبة الثالثة بعد الرئيس ونائبه الأول ، كما عين القاضى الكباشى قاضياً أول .

وفى مقابلة لى مع السيد فؤاد الأمين بعد تعيينه رئيساً للقضاء طلب منى أن أمده من الكويت بكتب فى الشريعة والفقه الإسلامى ، فسألته كيف إذن كان يصدر أحكامه على الذين كان يحاكمهم فى محكمته قبل تعيينه رئيساً للقضاء ؟ فقال بعفوية تامة : هو اجتهاد منا بما نحفظه فى الشرع والسنة .

وفى أواخر أيام نميرى وقبل سفره إلى الولايات المتحدة الأمريكية فى ٢٦ مارس ١٩٨٥ ظهرت أول بوادر الإنتفاضة . وفى اليوم التالى لسفره ازداد اتساعها فنشطت أجهزة الأمن واعتقلت عدداً من قادة النقابات منهم الدكتور الجزولى دفع الله نقيب الأطباء وميرغنى النصرى نقيب المحامين . وقد فجر هذا الإعتقال الشارع السودانى وازداد حجم الإنتفاضة يوما بعد يوم ، حتى أن أجهزة الأمن لم تستطع السيطرة على الشارع .

وفى اليوم الرابع والخامس من شهر ابريل امتنعت الشرطة عن مطاردة المتظاهرين فتدخل الجيش فى صباح يوم ٦ ابريل واستلم السلطة ، وأعلن نهاية حكم نميرى ، وتم تشكيل مجلس عسكرى انتقالى برئاسة المشير عبد الرحمن سوار الذهب القائد العام للقوات المسلحة ، وشكلت حكومة مدنية برئاسة الدكتور الجزولى دفع الله وهو شخصية تتميز بالتعقل والإعتدال .

عندما وقعت الانتفاضة ـ كما أشرت من قبل ـ كنت فى طريقى إلى الخرطوم قادما من نيروبى بعد العلاج والإستشفاء ، ولم يكن الذين تسلموا السلطة من العسكريين غرباء عَلَيَّ ، فالمشير عبد الرحمن سوار الذهب عرفته منذ أن كنت فى جوبا ، وكان هو برتبة عميد يرأس الفرقة الأولى التى مقرها هناك . وكذلك مساعده الفريق تاج الدين فضل واللواء عثمان عبد الله وكثير من الوزراء . لهذا كان عَلَيَّ بمجرد أن عدت إلى الخرطوم أن أقوم بزيارات لكل المسئولين العسكريين والمدنيين ، ومسئوليتى تقتضى أيضا أن أوطد علاقتى مع السلطة الجديدة باعتبار أن ماحدث هو عمل داخلى لا يؤثر على العلاقة بين الشعبين السودانى والكويتى . ولهذا قمت بجولات عديدة والتقيت بالمشير عبد الرحمن سوار الذهب أكثر من مرة بوصفه رئيسا للمجلس العسكرى الإنتقالى ، والدكتور الجزولى دفع الله رئيس الوزراء وسائر المسئولين . وفى نفس الوقت لم تنقطع علاقاتى بالمسئولين السابقين لأنه إذا كان العمل السياسى والدبلوماسى يأخذ الصفة الرسمية فإنه فى نفس الوقت يخلق علاقات إنسانية وصداقات تبقى حتى بعد زوال المناصب . وهذا ما عودت نفسى عليه فرغم أن هناك حكومات متعددة ووزراء قد تغيروا فى فترة حكم نميرى منذ أن كنت فى جوبا ، إلا أن صلتى لم تنقطع بمن عرفتهم منهم .

ولهذا حرصت أن أوزع وقتى بين المسئولين الجدد والمسئولين الذين خرجوا من السلطة ، والذين أفرج عنهم من السجون ومنهم الدكتور بهاء الدين محمد ادريس . والرائد أبو القاسم محمد إبراهيم ، والرائد مأمون عوض أبو زيد ، والرائد زين العابدين محمد أحمد عبد القادر ، واللواء خالد حسن عباس ، والمرحوم الرشيد الطاهر وغيرهم .

وتوطدت علاقتى مع الفريق سوار الذهب ، وهو رجل دمث الخلق زاهد فى السلطة ، متدين ، ومتواضع ، وقيل انه عندما طلب منه تولى السلطة فى ليلة السادس من أبريل تردد فى تولى قيادة المجلس العسكرى الإنتقالى على اعتبار انه أقسم أمام الرئيس نميرى منذ عدة أشهر اليمين عندما عينه قائداً عاما للقوات المسلحة برتبة فريق أول ، وهو لا يريد أن يحنث فى قسمه ، ولم يقبل تولى السلطة إلا بعد أن أفتى له رجل دين أنه لم ينقلب على نميرى وإنما الذى أسقط نميرى هو الشعب ، وأن عليه فى هذه الحالة بوصفه القائد العام للجيش أن يتولى السلطة حتى لا يكون هناك فراغ دستورى ينتج عنه فوضى تكون عواقبها وخيمة ، وأنه يمكن أن يصوم ثلاثة أيام كفارة لذاك اليمين ، وعلى هذا الأساس

قبل تولى المسئولية وتولى معه كبار قادة الجيش مسئولية المجلس العسكرى الإنتقالى ، وشكلت الحكومة من المدنيين برئاسة الدكتور الجزولى دفع الله .

أوفى المشير سوار الذهب بوعده بعد عام على تسلم السلطة ، كما كان متفقا عليه مع الأحزاب وذلك بعد الإنتخابات التى جرت فى أبريل عام ١٩٨٦ ، حيث طلب من النواب الذين فازوا أن يجتمعوا لاختيار القيادة السياسية لتسلم السلطة ، إلا أن قادة الأحزاب طلبوا منه أن يمدد فترة حكمه لمدة أسبوع آخر حتى يتمكنوا من الإتفاق على توزيع المناصب الدستورية وفقا لنتائج الإنتخابات ، فإعتذر إلا إذا اجتمع النواب وطلبوا ذلك ، وبالفعل عقد النواب المنتخبون اجتماعا فى مجلس الشعب وأقروا تمديد فترة المجلس العسكرى الإنتقالى أسبوعا آخر .

زيارة إلى حلفا الجديدة(*)

خلال فترة العام الذى تولى فيه المشير سوار الذهب رئاسة المجلس العسكرى تقرر أن يقوم بزيارة إلى حلفا الجديدة(★) لوضع حجر الأساس لبعض المشاريع حين اتصلت بى وزارة الخارجية السودانية ، وأبلغتنى أن المشير اختارنى لمرافقته فى هذه الرحلة ، فقبلت الدعوة شاكراً ، وتوجهنا فى الموعد المحدد إلى المطار ، وركبنا طائرة المشير سوار الذهب وهى طائرة صغيرة لا تتسع لأكثر من سبعة أشخاص ، أعدت لهذه الرحلة ، وكان يرافقه أحد الوزراء وواحد من كبار الضباط .

بعد أقل من ساعة ونصف وصلنا إلى حلفا الجديدة فى الإقليم الشرقى ، وإذا بجماهير حاشدة تستقبل المشير سوار الذهب ، وقد أعد سرادق كبير للإحتفال بهذه الزيارة ، وعلمنا هناك أنه سيحتفل بوضع حجر أساس لمشروع يربط بين منطقة حلفا الجديدة ومنطقة أخرى تسمى « خشم القربة » . وبعد أن أخذ المدعوون أماكنهم فى السرادق وعلى رأسهم المشير سوار الذهب ومعه نواب ورجالات المنطقة ، تقدم مسئول من حلفا وشكر فى كلمته فى هذا الحفل حكومة وشعب الكويت ، لأنها وافقت علي تمويل هذا المشروع الحيوى بقرض من الصندوق الكويتى للتنمية ، وقال أنه واحد من مشروعات كثيرة مولتها دولة الكويت فى السودان .

(★) استحدثت هذه المدينة بعد بناء السد العالى فى مصر حيث نقل سكان مدينة حلفا شمال السودان الذين تضرروا من بناء السد العالى إلى هذه المنطقة التى تتبع إدارة مدينة كسلا بالإقليم الشرقى ، وسميت « حلفا الجديدة » .

وبعد أن انتهى من إلقاء كلمته اقترب منى أحد المسئولين فى المراسم وسألنى ان كنت أود أن أرد ، فاعتبرت ذلك دعوة لإلقاء كلمة . فقمت وارتجلت كلمة لم أكن قد اعددتها ، ولم تكن الأرقام بين يدى ، فتحدثت كلاما عاما عن المشروع والعلاقة بين السودان والكويت ، وقلت ان ما تقدمه الكويت واجب عليها نحو الاشقاء ، وانها إن شاء الله ستواصل هذا العطاء فى كافة المجالات التنموية التى تقوى العلاقات بين الشعبين وخاصة فى مجال التنمية التى تعود بالنفع على المواطن السودانى .

بعد أن انتهى الحفل وتم وضع حجر الأساس التف الصحفيون حولى يسألوننى عن حجم القرض ومدته ، فقلت لهم إننى لا أتحدث عن علاقتنا مع السودان بالمبالغ والأرقام .

وبعد عودتى إلى الخرطوم اتصلت بمدير الصندوق الكويتى وطلبت منه أن يزودنى بكافة الأرقام المالية التى اعتمدها الصندوق لتنفيذ مشاريع فى السودان ، فما تأخر حيث بعث لى فى اليوم التالى كافة التفاصيل .

تهديد بإلغاء حفل السفارة الكويتية

فى فترة الحكومة الانتقالية التى رأسها المشير سوار الذهب ، وفى شهر فبراير ١٩٨٦ ، أعددت لإقامة حفل العيد الوطنى الكويتى فى فندق هيلتون ، الذى يصادف يوم ٢٥ فبراير من كل عام . وكالعادة يقام الحفل بين السابعة والتاسعة مساء ، وفى الساعة الرابعة من بعد ظهر ذلك اليوم حضر إلى المنزل ثلاثة من مسئولى فندق هيلتون وكنت نائما فاستقبلهم مسئول الحرس الخاص وأخبروه أنهم أتوا فى مهمة عاجلة ، ويجب أن يقابلونى فورا للأهمية .. أبلغ الحرس الخاص زوجتى بذلك فايقظتنى .. ونزلت لأستوضح منهم سبب هذه الزيارة ، أخبرونى أن الفندق تلقى تهديدا تليفونيا مرتين بعد ظهر هذا اليوم يحذرهم فيه شخص مجهول من إقامة حفل السفارة الكويتية وإلا سيتم نسف الفندق ، وقد يتعرض المدعوون للخطر ، ولذلك يحذرون الفندق ويطلبون الغاء الحفل ، وقد أتوا ليبلغونى بما سمعوه ويطلبون رأيى .

كان ردى عليهم أن الحفل سيقام فى موعده ، وأن تأمين الفندق والحفل هو مسئولية الحكومة السودانية ، والسودان فى وضع أمنى مستقر ويمكن لأجهزة الأمن أن تتخذ كافة الإجراءات اللازمة ، وهذه مسئوليتى كسفير وما عليكم إلا أن

تواصلوا عملكم لإقامة الحفل . استجابوا لطلبى ومضوا يواصلون عملهم . وعلى الفور اتصلت مباشرة بمسئولين فى القيادة العامة ومسئولين فى الحكومة وأرسلت برقية لحكومتى بما أبلغنى به موظفوا الفندق ، وأكدت أن الحفل سيقام فى موعده كما أبلغتهم اتصالاتى بالمسئولين فى الحكومة السودانية الذين وعدوا بتوفير الحماية اللازمة لتأمين الحفل .

ذهبت فورا بعد أن أجريت كافة الإتصالات إلى الفندق ، وطمأنت المسئولين فيه بأن إجراءات أمنية قد اتخذت وعليهم ان يواصلوا التحضير للحفل .. وما هى الا ساعة من الوقت حتى بدأت تظهر اللوارى التى تحمل الضباط والجنود من أفراد الشرطة تقترب من الفندق ، ثم انتشروا حوله وداخله وكان بينهم عدد من كبار ضباط الجيش والشرطة وجهاز أمن الدولة الذين راحوا يفتشون الفندق بحثا عن أى متفجرات ، وقاموا بمسح كامل وتم تشديد الحراسة خارج الفندق ، وبقيت مع الضباط وأشرفت على الإعداد للحفل الذى سيحضره مسئولون ووزراء وسفراء ورؤساء البعثات والهيئات الإقليمية والدولية وكبار الشخصيات .

وكنت قد أبلغت زوجتى ألا تخبر أحدا من الكويتيين والكويتيات الذين سيحضرون الحفل بما سمعت ، وأن عليها أن تقف بجانبى هادئة ونحن نستقبل المدعوين وألا تظهر أى نوع من القلق ، كما أبلغت زميلى صلاح المبارك وكان يعلم بهذا التهديد لأنه هو الذى قام بإرسال برقيتى إلى وزارة الخارجية الكويتية .

وقد حضر الحفل ثمانية من الضباط الكويتيين الذين كانوا يدرسون فى دورة كلية القادة والأركان فى الخرطوم ، وماكانوا يعلمون شيئا .. وعدد من الكويتيين المتواجدين فى ذلك اليوم فى العاصمة السودانية . وتم الحفل بحمد الله دون أية مشاكل وتأخرت حتى الساعة التاسعة والنصف . وبعد انتهاء الحفل أبلغت من كان معي وقتها من الكويتيين أنه كان هناك تهديد للحفل فدهشوا لأن ذلك لم يكن باديا عَلَيَّ ولا على زوجتى ولا على زميلى ، حيث كنا نستقبل الناس فى ود وبشاشة .

شكرت إدارة الفندق والضباط السودانيين وتوجهت إلى السفارة وأرسلت برقية أطمئن بها حكومتى على أن الحفل أقيم بحمد الله ولم يحدث أى شىء يعكره . كما شكرت كبار المسئولين والوزراء الذين كنت قد اتصلت بهم لمبادرتهم الفورية على توفير الحماية اللازمة كى تتمكن السفارة من إقامة حفلها الوطنى .

أمل لم يتحقق

خلال الفترة الإنتقالية التى ترأس فيها الدكتور الجزولى الحكومة قام بزيارات إلى دول عربية ، وفى الخرطوم دعا المغتربين السودانيين العاملين فى الخارج إلى عقد مؤتمر لهم فى العاصمة السودانية لبحث المساهمات التى يمكن أن يقوموا بها لدعم الاقتصاد السودانى ، وعقد المؤتمر بالفعل وجاء عدد كبير من السودانيين ، واقترح الدكتور الجزولى دفع الله رئيس الوزراء فى كلمته وضع مشروع يتبناه المواطنون السودانيون على غرار مشروع « مارشال » وحثهم لتحقيق التنمية فى وطنهم ، إلا أنه كان من الصعب تحقيق ذلك لقصر مدة حكومته التى تنتهى فترتها بعد أشهر قليلة ، وفعلا بعد انتهاء الفترة الإنتقالية انتهت الفكرة ولم يتحقق الهدف الذى دعا إليه رئيس الوزراء .

لقاء مع الدكتور لام أكول

لم ينقطع اتصالى من السياسيين الجنوبيين بعد أن تغير نظام الحكم فى السودان بل ازداد ، نظرا للجو الديموقراطى الذى يسود البلاد ، وواصلت من جانبى دعوتى لتحقيق السلام بين الجنوبيين وأعضاء الحكومة الإنتقالية . والتقيت بالدكتور لام أكول فى أحد الحفلات الرسمية وهو من السياسيين الجنوبيين الشبان ، متفتح الذهن يعمل أستاذا للهندسة بجامعة الخرطوم ، من أبناء قبيلة النوير فى أعالى النيل ولم تكن معرفتى به قوية حيث لم التق به من قبل إلا مرتين ، حدثته لماذا لا يسعى ويقوم بعمل من شأنه تحقيق السلام فى الجنوب . ووجهت له الدعوة لزيارتى للحديث في هذا الموضوع ، واتفقنا على أن تكون الزيارة يوم الجمعة القادم أى بعد ثلاثة أيام من هذا اللقاء فى منزلى .

وتصادف بعد هذا اللقاء مباشرة أن التقيت مصادفة بالفريق أول تاج الدين عبد الله فضل نائب رئيس المجلس العسكرى ونحن نؤدى الصلاة فى مسجد القوات المسلحة ، وأبلغته أن الدكتور لام أكول سيزورنى يوم الجمعة لأبحث معه موضوع السلام فى الجنوب فاستبشر خيرا ورغب في أن يحضر هذا اللقاء ، وقلت له انى لم أبلغ الدكتور لام أكول أنك قادم ، إلا أنى أعتقد أنه لن يمانع فى هذا اللقاء لأن أمن السودان يهمكم بالدرجة الأولى ودورى مجرد مساع أبذلها لخير السودان ، وبالتالى فإن وجودك قد يخدم الموضوع نفسه .

وبالفعل حضر الفريق تاج الدين عندى يوم الجمعة بملابس مدنية أى الجلباب والعمة .. وبعد قليل حضر الدكتور لام أكول الذى فوجىء بوجود الفريق

أول تاج الدين ، وكان الشعور بالمفاجأة بادياً عليه ، حتى أنه قال موجها حديثه للفريق تاج : « ماكنت أعلم أنك ستكون هنا » .. وتركتهما معا لأتيح لهما حرية الحديث .. وعدت بعد قليل وواصلا حديثهما ولكن لا أظن أن الفريق أول تاج حصل منه على الإجابات التى كان يتمناها .

وقد حدث بعد أقل من سنة من ذلك اللقاء أن غادر د . لام أكول الخرطوم وتركها وانضم إلى الجيش الشعبى لتحرير السودان بقيادة العقيد جون قرنق ، وأشرف على النشاط السياسى فى الحركة حتى عام ١٩٩١ حين أعلن انفصاله عن قرنق وشكل تنظيما خاصا به يدعو إلى فصْل جنوب السودان عن شماله .. بينما يدعو العقيد جون قرنق إلى وحدة السودان .

ولذلك سمى حركته « الحركة الشعبية لتحرير السودان » بينما يدعو الدكتور لام أكول إلى قيام دولة مستقلة فى الجنوب .. وهناك بعض السياسيين من الجنوبيين يؤيدون هذه الفكرة لأنهم يرون أن مشاكل الجنوب قائمة منذ ما قبل الإستقلال ولم يجدوا لها حلا رغم اتفاقية أديس أبابا عام ١٩٧٢ .

الإنتخابات وتشكيل حكومة الأحزاب

جرت الإنتخابات فى شهر ابريل ١٩٨٦ ، وأشرفت عليها حكومة الدكتور الجزولى دفع الله ، وكانت الإنتخابات حرة ونزيهة لم يتخللها شغب أو تدخل من جانب الحكومة ، وفاز حزب الأمة بمائة واثنين مقعداً يليه الحزب الإتحادى الديمقراطى وحصل على تسعين مقعدا ثم الجبهة الاسلامية القومية(*) وحصلت على واحد وخمسين مقعدا حيث احتكرت معظم دوائر الخريجين ولم ينجُح الدكتور حسن الترابى أمين عام الجبهة الاسلامية القومية فى دائرته الإنتخابية التى رشح نفسه فيها ، وحصلت الأحزاب الجنوبية على أعداد قليلة أكبرها حزب يرأسه اليابا سرور وهو من اقليم الإستوائية على أحد عشر مقعدا .

والإنتخابات فى السودان تقوم على طريقتين : الأولى وهى الإنتخابات التقليدية والثانية دوائر الخريجين بمعنى أن كل خريج له الحق بصوتين ، صوت

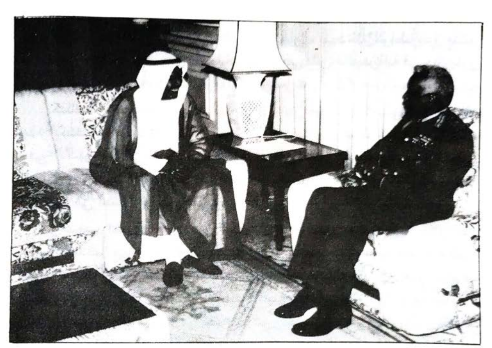
(★) حزب الجبهة الاسلامية : هو حزب سياسى من أهدافه اسقاط كافة الأنظمة العربية والاسلامية لاقامة الدولة الاسلامية الموحَدة . وكان يطلق عليه إسم الإخوان المسلمين . وبعد الانتفاضة الشعبية تغير اسمه إلى الجبهة الاسلامية القومية لتقبل فى عضويتها أكبر عدد من الاعضاء دون النظر إلى مستوى تعليمهم ، وقد نجحت قيادة الجبهة فى استقطاب عدد كبير من الشباب فى فترة حكم نميرى حيث أوجدت عملا لمن لا عمل له وأنفقت على الالاف منهم فى التعليم ، وقد ساعد هذا العدد على أن تكسب الجبهة ٢٤ مقعدا من مقاعد دوائر الخريجين من بين ثلاثين مقعدا .

فى دائرته الجغرافية والآخر فى دائرة الخريجين ، فنجد مثلا مواطناً يفوز بأكثر من خمسة آلاف صوت فى الإنتخابات العادية فى دائرته الجغرافية فى حين يفوز مرشح دوائر الخريجين بأقل من ثلاثمائة صوت .

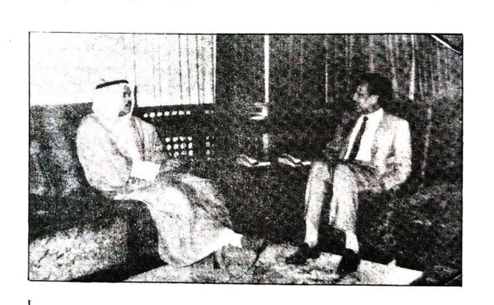
كذلك فاز الحزب الشيوعى بمقعدين ولم يفز حزب البعث بشىء . وعلى أثر هذه الإنتخابات انعقدت الجمعية التأسيسية ومددت أسبوعا للحكومة العسكرية ، وفى الاسبوع التالى انعقدت وحضرها المشير سوار الذهب وأعضاء المجلس العسكرى والدكتور الجزولى دفع الله رئيس الوزراء والوزراء وتم تسليم السلطة للمدنيين فى احتفال تاريخى مهيب .

وانتخب السيد/ البروفسير محمد إبراهيم خليل مرشح الأمة وهو ليس عضواً منتخباً فى الجمعية التأسيسية رئيساً للجمعية التأسيسية وانتخب السيد حسن عبد القادر من الحزب الاتحادى الديمقراطى نائبا له حيث أن نظام الحكم فى الأحزاب يعطى للحزب الثانى منصب رئاسة مجلس رأس الدولة ومنصب نائب رئيس الجمعية التأسيسية فى حين يتولى الحزب الحاصل على أكثر المقاعد رئاسة الوزراء ورئاسة الجمعية التأسيسية ، وبعدها تم اختيار أعضاء مجلس رأس الدولة الذى يتكون من خمسة أشخاص ، اثنان من الحزب الإتحادى هما السيد : أحمد على الميرغنى والسيد محمد الحسن عبدالله يس ، ومن حزب الأمة السيد/ ادريس البنا والدكتور على حسن تاج الدين ، ومن الجنوبيين انتخب الدكتور « باسيفيكولا دولوليك » وهو من الحزب الذى حصل على ١١ مقعدا وانتخب السيد/ الصادق المهدى رئيساً للوزراء ، وبعدها رفعت الجلسة .

شرع السيد/ الصادق المهدى فى تشكيل حكومته واختير السيد/ أحمد الميرغنى رئيساً لمجلس رأس الدولة وهو الشقيق الأصغر للسيد/ محمد عثمان الميرغنى راعى طائفة الختمية وزعيم الحزب الإتحادى الديمقراطى . وبهذا انتهت مرحلة حكم المجلس العسكرى الإنتقالى .



مع المشير عبدالرحمن سوار الذهب رئيس المجلس العسكرى الانتقالى ١٩٨٦/٨٥ م



مع الدكتور الجزولى دفع الله رئيس وزراء الحكومة الانتقالية ١٩٨٦/٨٥ م

الفصل الخامس

حكومة الأحزاب

الفصـــل الخـــامس

حـــكومة الأحـــزاب

شكل السيد/ الصادق المهدى حكومته من حزبه والحزب الإتحادى الديمقراطى وسميت بحكومة الإئتلاف ، أما الحزب الثالث وهو الجبهة الإسلامية فقد أخذ مقعد المعارضة وتسلم السيد/ على عثمان محمد طه زعامة المعارضة فى الجمعية التأسيسية .

وكان أول عمل للحكومة بعد تشكيلها هو إجراء تغييرات فى قانون المطبوعات وفتح المجال لإنشاء الصحف المستقلة والحزبية فتقدم كثير من الإعلاميين بطلب إجازة صحف يومية وأسبوعية . وكانت الصحف فى عهد نميرى وفى الفترة الإنتقالية لا تزيد عن صحيفتين همـا « الأيام » و « الصحافة » وهما حكوميتان مؤممتان ، وقد الغى الصادق المهدى تأميم هاتين الصحيفتين وأعادهما إلى أصحابهما ، وأعطت الحكومة تراخيص جديدة لقيام مؤسسات إعلامية حتى وصل عدد ما يتداول من هذه الصحف يزيد على ثلاثين صحيفة تمثل الأحزاب المختلفة والصحف المستقلة وقد بلغ عدد من تقدموا للحصول على تراخيص جديدة للصحف أكثر من المائة .

ومع مرور الأيام كانت هذه الصحف تبالغ فى نقد الحكومة والسخرية منها ومن رؤساء الأحزاب ، باستخدام الرسوم الكاريكاتيرية والمقالات والتعليقات والصور ، وكان الرسامون يحلو لهم أن يُظهروا السيد/ الصادق المهدى فى رسوم كاريكاتيرية متعددة ، وأمامه عدد من الميكروفونات ، دليل على أنه يكثر الكلام ، فلم يتدخل السيد الصادق ولا أى مسئول فى الحكومة لمنع ما يكتب عن رؤساء الأحزاب وعن الحكومة ، لأنه نظام حكم ديمقراطى وكلَ له حرية التعبير ، فى حين كان السيد الصادق المهدى يخاطب الشعب السودانى كثيرا ليطلعه على برنامجه وتطلعه إلى الآمال التى يسعى إليها لتحقيق التنمية وحل المشاكل ، وانهاء الحرب الدائرة فى الجنوب بينما اعتبر الرسامون والمحررون أن رئيس الوزراء يبالغ فى أحاديثه ويكثر من تصريحاته ومؤتمراته .

ولم يؤثر هذا فى العلاقة الشخصية بين الصحفيين والمسئولين ، وكان من السهل جداً أن ترى الشخصين الذى كتب والذى كتب عنه يجلسان متجاورين فى إحدى المناسبات ، يتحادثان فى ود واضح وكأنه لم يكتب أحدهما عن الآخر شيئاً .. انها طبيعة الشعب السودانى ، البساطة والتسامح .

وكسفير يهمنى أن أطلع على كل ما تنشره هذه الصحف فإنى بسبب كثرتها لا أستطيع أن أفرغ نفسى يوماً كاملا لقراءتها ، وإن فعلت فلن أتمكن من قراءتها كلها ، كذلك ستشغلنى قراءتها عن أداء مهمتى وتلبية الدعوات والمقابلات الرسمية ، فاضطررت إلى تعيين موظف يقرأ عنى هذه الصحف ويصور لى الأخبار الهامة وما يكتب عن الكويت بشكل خاص ، ويحضرها إلى مكتبى فى آخر الدوام لأتمكن من قراءتها فيما بعد .

مؤتمر القمة الإسلامى الخامس :

فى أواخر يناير عام ١٩٨٧ ، عقد فى الكويت مؤتمر القمة الإسلامى الخامس ، وترأسه صاحب السمو الشيخ جابر الأحمد الصباح أمير الكويت باعتبار أن الكويت هى الدولة المضيفة ، والدولة المضيفة عادة ترأس المؤتمر لمدة ثلاث سنوات حتى دورة الإنعقاد التالية . وحضر المؤتمر رؤساء وملوك الدول العربية والإسلامية .. وعُقد المؤتمر فى قصر (بيان) الذى أنشىء خصيصاً لهذا المؤتمر ، وتكلف مبالغ كبيرة ويضم قاعات للإجتماعات وفللاً لاستضافة الرؤساء والملوك ، وكل فيلا تتكون من دورين ، وكل دور به جناحان لرئيسين من الوفود ، وغرف أخرى لأعضاء الوفود المشاركة ، وبه مبان أخرى ، وطرق مختلفة ، وعدة بوابات ، وكل هذه الإنشاءات الضخمة يجمعها سور واحد .

ومن بين الوفود التى حضرت بطبيعة الحال كان وفد السودان الذى ضم السيد أحمد على الميرغنى رئيس مجلس رأس الدولة ومعه السيد محمد الحسن عبد الله ياسين عضو المجلس . وقد خصص جناح لرئيس وفد السودان ، إلا أن السفارة السودانية فى الكويت طلبت أن يعامل كل من السيد الميرغنى والسيد محمد الحسن عبد الله ياسين معاملة رئيس دولة ، فيخصص لهما جناحان ، ولكل منهما شارة ذهبية (باجة) ولكلّ منهما سيارة ، ولهما مقعدان متجاوران فى قاعة الإجتماعات ولبقية أعضاء الوفد «الباجه» الفضية كالمعتاد فى مثل هذه المناسبات .

استجابت إدارة التشريفات المكلفة بالاعداد للمؤتمر إلى طلب السفارة السودانية ، ووفرت للوفد السوداني ما طلب ، ذلك لأن مجلس الرئاسة السودانى يضم خمسة أعضاء ، وفى نظامه أن كل عضو إذا خرج فى مهمة خارج السودان يعامل معاملة رئيس دولة ، وقد رافقتهما فى هذه الزيارة ضمن بعثة الشرف التى خصصت للوفد السودانى برئاسة السيد خالد الجسار وزير الأوقاف والشئون الإسلامية ، وكنت أزور كلا منهما فى جناحه ، وهم كوفد يلتقون مع بعضهم البعض .

كان هذا المؤتمر مناسبة طيبة التقت كل الدول الإسلامية فيه ، ووفرت له دولة الكويت كافة الإمكانيات الأمنية والإعلامية لإنجاحه طوال الأيام الثلاثة التى استغرقها . وعاشت الكويت مهرجانا عالميا حيث حضر معظم رؤساء وملوك الدول الإسلامية ، وكانت محطات الأقمار الصناعية تنقل أحداث المؤتمر ، ووفرت للإعلاميين المرافقين كافة الوسائل حيث خصصت لهم أماكن مجهزة بوسائل الإتصالات الدولية الحديثة . ونجح المؤتمر نجاحا كبيرا بفضل الجهود التى بذلها صاحب السمو الأمير وسمو ولى العهد رئيس مجلس الوزراء ومعالى الشيخ صباح الأحمد الصباح نائب رئيس الوزراء وزير الخارجية والوزراء .

وظل الأمير وولى عهده يتنقلان بين المطار ومقر إقامة الوفود فى استقبال وتوديع رؤساء الوفود ليحققا للمؤتمر النجاح المطلوب وقد تحقق بفضل الله وعونه .

زيارة الإقليم الشمالى مع السيد إدريس البنا :

دعانى السيد إدريس البنا وهو من حزب الأمة ونائب رئيس مجلس رأس الدولة وهو فى نفس الوقت شاعر وأديب ، وجه لى دعوة لأرافقه فى زيارة للإقليم الشمالى ، وكنت قد زرت كل الأقاليم الجنوبية والإقليم الشرقى والإقليم الاوسط ، ولم اكن زرت الإقليم الشمالى فتحمست لهذه الدعوة . وركبنا طائرة صغيرة نقلتنا إلى مطار « عطبرة » عاصمة الإقليم الشمالى ، وهى من المدن السودانية الهامة ، بها أكبر شبكة للسكك الحديدية ، وأكبر عدد من العمال الذين يعملون على هذه الشبكة .

ويعتبر الإقليم الشمالى من أخصب الأقاليم السودانية ، ولذلك تكثر فيه الزراعة الموسمية المروية والمطرية مثل زراعة القمح والذرة والشعير والسمسم كما تكثر فيه النخيل .

فى مطار عطبرة استقبلنا اللواء عبد العزيز الأمين حاكم الإقليم والقادة السياسيون وكبار الضباط . وقمنا بجولة لتفقد مواقع العمل بالمدينة .

عندما كنا فى الطائرة جرى حديث حول الجنوب ومشاكله ، وكان السيد البنا متحمساً وهو يستمع لما أقوله عن رأيى فى الحرب الدائرة فى الجنوب ووعد بأنه سيعمل شيئاً بعد عودته للخرطوم .

وبعد أن عدنا إلى الخرطوم أعلن السيد البنا فى التليفزيون أنه سيقوم هو بنفسه باجراء لقاءات مع السياسيين من مختلف الأحزاب الشمالية والجنوبية لمناقشة الوضع فى الجنوب ، وايجاد صيغة لحل المشاكل هناك ، وأن هذه المناقشات ستعرض من خلال شاشة التليفزيون ليطلع عليها الرأى العام السودانى .

وبالفعل تم اجراء هذه اللقاءات فى شكل ندوات تليفزيونية اشترك فيها كثير من السياسيين الجنوبيين والشماليين من بينهم السيد سر الختم الخليفة ، وقد تناولت هذه الندوات كثيراً من النقاط الهامة فى مشكلة الجنوب .

★ ★ ★

زيارة الصادق المهدى إلى الكويت :

فى عام ١٩٨٧ ، قام السيد الصادق المهدى ، على رأس وفد رسمى بزيارة للكويت بدعوة من سمو الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح ولى العهد رئيس الوزراء ، وهناك استقبل استقبالا رسمياً ، والتقى بخضرة صاحب السمو الشيخ جابر الأحمد الصباح أمير الكويت ، وأجرى مباحثات مع سمو ولى العهد رئيس الوزراء .

وتحدث عن الخطة التى أعدتها حكومته فى مجال التنمية والتى تحتاج إلى تمويل على شكل قروض ، وسأل أيضاً إن كان بالإمكان الحصول على سلاح .. إلا أن ولى العهد لم يعده بتقديم سلاح .

ولم يكن مثل هذا الطلب مفاجأة لى ، فوزراء الدفاع الذين تعاقبوا فى الحكومات السودانية السابقة ، كانوا يتصلون بى ويبدون رغبتهم فى الحصول من الكويت على السلاح .. وفى كل مرة كنت أؤكد لهم أن الكويت لم تعتد تقديم سلاح للأشقاء أو الأصدقاء .. إنها فقط تقدم العون والقروض فى مجالات التنمية التى تعود بالنفع على المواطنين . وبالفعل لم تقدم الكويت شيئاً للسودان فى مجال

السلاح غير خمس وسبعين سيارة جيب وبعض أجهزة الاتصال لوزارة الداخلية السودانية ، وذلك أثناء زيارة قام بها السيد سيد أحمد الحسين وزير الداخلية فى حكومة الصادق المهدى الأولى .

العراق يغتال أحد زعماء المعارضة :

فى أوائل عام ١٩٨٨ عقدت الجبهة الإسلامية مؤتمرها الثانى ودعت عدداً من رجال الدين من الدول العربية والإسلامية ، ومن بين المدعوين كان السيد محمد باقر الحكيم ، وهو من أسرة دينية شيعية عراقية كبيرة ويقيم فى لندن ومن أبرز زعماء المعارضة ضد نظام حكم البعث فى العراق . وكانت إقامته فى فندق هيلتون الخرطوم مع بعض المدعوين ، إلا أنه فى اليوم التالى لوصوله أطلق مجهولان النار عليه وهو يقف فى بهو الفندق وأردياه قتيلا ، وتمكن الشخصان من الهروب بعد أن أطلقا رصاصات فى سقف البهو وعلى الواجهة الزجاجية للفندق فأحدثا بذلك ذعراً وارتباكاً لدى النزلاء والجالسين فى البهو ، وكانت سيارة بيضاء تنتظرهما خارج الفندق ، انطلقت بهما إلى جهة غير معلومة ، ولم يعرف شيء عن هويتهما .

وبعد أن انضم حزب الجبهة الإسلامية القومية إلى الحكومة عام ١٩٨٨ ، تولى الدكتور حسن عبد الله الترابى نائباً عاماً (وزيراً للعدل) ، فلمح بوضوح بعد أسبوع واحد من توليه المنصب أن العراق هى التى دبرت مقتل الحكيم .

كأس الانتفاضة :

فى افتتاح معرض الخرطوم الدولى الذى يقام عادة فى شهر فبراير من كل عام ، وكان ذلك عام ١٩٨٨ ، كنت أتجول مع زميلى السيد « محمد الخمليشى » سفير المملكة المغربية داخل ردهات المعرض بعد أن جرى حفل الإفتتاح . وكانت الإنتفاضة الفلسطينية قد أنطلقت منذ عدة أشهر وقد شدت اهتمام العالم ، فاقترح زميلى « الخمليشى » أن تساهم المجموعة العربية فى الخرطوم بتقديم عون إلى شباب الإنتفاضة وذلك بأن تشترى المجموعة سلعاً من هذا المعرض ، وتترك لتباع مرة أخرى ويخصص ثمنها للإنتفاضة .

كانت الفكرة طيبة لكنى رأيت أنها تحتاج إلى تطوير حتى تأخذ شكلا إعلاميا وشعبيا ، فقلت له لماذا لا نقيم دورة رياضية بين الأندية الرياضية السودانية

ويخصص لها كأساً نسميه كأس الإنتفاضة .. وتقدم حصيلة إيراد هذه الدورة كدعم للشعب الفلسطيني وبذلك نحقق مشاركة متعددة .. إعلامية ، ورياضية ، ومادية ، ووطنية .. ونكون نحن السفراء العرب قدمنا عملا يشارك فيه الشعب السوداني بكافة فئاته وخاصة الرياضية منه ، وسيكون الدخل أكبر من مجرد سلع نشتريها من المعرض لتباع ثانية .

وبينما نحن نتجول دخلنا الجناح الفلسطيني وعرضنا الفكرة على السيد « أبو رجائي » سفير فلسطين في الخرطوم وناقشناها معه فتحمس لها ، ثم ناقشناها بعد ذلك مع السفراء العرب فرحبوا بالفكرة ، فذهبت أنا والسفير « الخمليشي » إلى السيد « عبد الله جبارة » مدير المراسم بوزارة الخارجية السودانية وشرحنا له الفكرة فتحمس لها ، واتصل بكبار المسئولين في الوزارة فرحبوا ترحيباً حاراً .

وعلى الفور تحدد موعد مع السيد حسن مصطفى وزير الشباب والرياضة ، وذهب معي إليه عبدالله جبارة ، وعقد اجتماع شارك فيه وكيل أول الوزارة والوكلاء والمساعدين ، وتم تشكيل لجنة برئاستي تحت رعاية السيد وزير الشباب وضمت اللجنة السادة طه محمد طه وكيل أول الوزارة والدكتور حسن أبو جبل مدير شئون الرياضة ورؤساء الأندية الرياضية والسيد عبدالله جبارة مدير المراسم ، وبدأنا اجتماعاتنا وشكلنا لجنة فنية تقوم بإعداد جدول للمباريات ، واتصلت بدوري بأهلي في الكويت ليرسلوا لي كأسا يليق بالمناسبة وميداليات ذهبية وفضية وبرونزية مكتوب عليها « كأس الإنتفاضة » .. وقد وصلني ما طلبته بعد أسبوع واحد وقمت بتسليمها إلى وزير الشباب .

وما أن نشر الخبر في الصحف حتى بادرت كافة الإتحادات الرياضية ، مثل السلة والطائرة والدراجات واتحاد كرة الطاولة في تنظيم دورات مماثلة .

وجرت المباريات في الأقاليم وأسفرت التصفيات عن البطولة النهائية بين ناديي الهلال والمريخ وهو أول لقاء ودي يقام بينهما ، وكان من المقرر أن يقام احتفال كبير يشهده السيد أحمد الميرغني رئيس مجلس رأس الدولة والسيد الصادق المهدي رئيس الوزراء ، واتخذت كافة الترتيبات ، وقبل المباراة بيومين أصدرت وزارة الصحة السودانية بياناً أعلنت فيه ظهور مرض السحائي في الخرطوم ، وطالبت بعدم التجمهر حتى لا يستشرى هذا المرض الذي يصيب الإنسان بضربة شمس . فقررنا في اللجنة نقل المباراة إلى الإقليم الأوسط فاتخذ الإقليم استعداداته ، لكن انتشار مرض السحائي ووصوله إلى الأقاليم حال دون

إقامة المباراة ، وسلمت حصيلة إيراد المباريات إلى السيد « أبو رجانى » سفير فلسطين فى الخرطوم ليرسلها بدوره إلى شباب الإنتفاضة الشعبية فى الأراضى المحتلة ، وبقى الكأس والميداليات فى وزارة الشباب .

اتحاد كرة القدم المحلى ـ الخرطوم

(منطقة الخرطوم بحرى الفرعية)
استاد الخرطوم
ص.ب ٢٥٣٥ ـ الخرطوم
تليفون ٧٢٢٠٩ ـ ٧٢٩١٧
٨٠٤٧٣ ـ ٧٤٧٦١ ـ ٨١١٧٤
تلغرافيا : الكورة الخرطوم   رقم :ل م ب ف / عمومى
التاريخ ٩ مارس ١٩٨٨

سعادة السيد الأستاذ / عبدالله السريع
سفير دولة الكويت الشقيقة
وعميد الدبلوماسيين العرب بالخرطوم

تحية حارة وود حار ..

لقد سجلت كافة المنابر الإعلامية والأوساط الرسمية والشعبية إشادة لمبادراتكم ودوركم الوطنى فى دعم الثورة الفلسطينية .. وربط الرياضيين السودانيين بالفلسطينيين الذين يقودون انتفاضة وطنية فى الأرض المحتلة لطرد المغتصبين .

إنها ثورة الحجارة التى أعلنها الشعب الفلسطينى البطل وَوَجَدَتْ من يدعمها دعماً ايجابياً من أبناء الأمة العربية .

ولقد أخذت الدبلوماسية العربية هذا الدور الإيجابى ووفقتم علىّ رأس قيادة هذا الدعم المعنوى الذى انعكس على أبناء الشعب السودانى وخاصة الرياضيين وهم يتجاوبون مع الدورة الرياضية ويدعمونها مالياً .

وتقديرا منا لذلك الدور العظيم .. ترجو منطقة الخرطوم بحرى الفرعية لكرة القدم أن تتقبلوا مصحفاً أقسمنا عليه أن نقف وقفة مطلقة مع الفلسطينيين حتى النصر بإذن الله .. انه هديتنا لكم .

مع خالص التحية وفائق التقدير ..

فيصل محمد على

سكرتير منطقة الخرطوم بحرى الفرعية

لكرة القدم

الإقليم الأوسط يكرم الكويت

زارنى حاكم الإقليم الأوسط السيد فاروق إسماعيل سعيد (وهو من حزب الأمة) فى أوائل شهر مايو ١٩٨٨ ، ومعه السيد/ عبد المنعم عبد العال رئيس الإتحاد المحلى لكرة القدم فى مدنى ، وأبلغنى أنه باقتراح من الإتحاد قررت حكومة الإقليم تكريم دولة الكويت فى شخص سفيرها لمدة يومين فى (مدنى) عاصمة الإقليم الأوسط ، وذلك يومى ٣١ مايو وأول يونيو ١٩٨٨ تقديراً لما قدمته الكويت للسودان عامة فى مجال التنمية وللإقليم الأوسط بصفة خاصة ، لأنه الإقليم الأكثر استفادة من القروض الكويتية فى مجالات التنمية .

شكرته على مبادرته الكريمة ، واتصلت بحكومتى وأبلغتها أن حكومة الإقليم الأوسط ستنظم احتفالات رسمية وشعبية تستمر يومين تكريماً لدولة الكويت فى شخص سفيرها بالخرطوم ، وأن حاكم الإقليم قد وجه الدعوة لعدد من المسئولين فى الكويت بهذه المناسبة .. إلا أنهم لم يتمكنوا من الحضور لضيق الوقت .

ذهبت إلى مدنى عاصمة الإقليم الأوسط ترافقنى زوجتى وابنى الصغير وزميلين هما القائم بأعمال سفارة قطر والقائم بأعمال سفارة اليمن . واستُقبلنا استقبالاً رسمياً وشعبياً كبيراً ، وسرنا فى موكب تتقدمه الدراجات النارية إلى مقر الإقامة .

وفى مساء اليوم الأول عرضت مسرحية من تأليفى كانت قد أخرجتها الأستاذة نعمات حماد التى حضرت خصيصاً هى وفرقتها من الخرطوم للمشاركة فى هذه المناسبة ، وقد سَمَّيْتُ هذه المسرحية « عروس للطوارىء » ، وأثناء البروفات أعلنت الحكومة حالة الطوارىء ، فاضطررت أن أغير اسمها إلى

« عروس حسب الظروف » ، حتى لا تظن الحكومة السودانية اننى انتقدها ، لأن وضعى كسفير يقتضى منى مراعاة مثل هذه الأمور .

وقد حضر للمشاركة فى هذه المناسبة نادى هلال بورسودان ليشترك فى مباراة ودية مع نادى أهلى مدنى تكريما لدولة الكويت .

كان البرنامج حافلا خلال هذين اليومين ، وكان معى دائما فى كل الجولات السيد فاروق إسماعيل حاكم الإقليم الذى لم ينقطع عنا إلا وقت النوم ، كما أحاطنى الوزراء وكبار الضباط والمسئولين فى الحكومة الإقليمية برعايتهم ، وفى هذه المناسبة أهدت الحكومة الإقليمية مفتاح عاصمة الإقليم الذهبى إلى حضرة صاحب السمو الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح أمير دولة الكويت وسمى أحد الشوارع الرئيسية فى مدنى باسم شارع الكويت ، كما أطلق على أحد الميادين الرئيسية بالمدينة اسم سمو الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح ، وأطلق النادى الأهلى على قاعة الاجتماعات والمكتبة اسم المرحوم الشيخ فهد الأحمد الجابر الصباح ، رئيس اللجنة الاوليمبية الكويتية .

وفى حفل العشاء الذى أقامه لى الحاكم تحدث المدير التنفيذى للمحافظة الوسطى ، ومنحنى شهادة رسمية تخلع على حق المواطنة فى الإقليم الأوسط بحيث يكون لى نفس الحقوق التى يتمتع بها المواطن السودانى كحق التملك والبيع والشراء فى الإقليم ، وأهدتنى حديقة حيوان مدنى غزالة هدية منها لا تزال معى فى الخرطوم ضمن مجموعة من الغزلان الأخرى ، أنجبت حتى الآن ثلاث إناث .

وقد اهتمت وسائل الإعلام فى مدنى بهذه الزيارة ، وقامت إذاعة وتليفزيون الاقليم الأوسط بتغطية احتفالات الزيارة تغطية شاملة ، كما كانت وسائل الإعلام الصحفية فى الخرطوم تغطى أخبار هذه الإحتفالات من خلال مندوبيها الذين حضروا خصيصاً للتغطية . واهتمت كافة الصحف السودانية بهذا التكريم . ولو جمعت ما كتب عن هذه المناسبة لاحتاج إلى كتاب كامل .. وأختار هنا فقرتين مما نشرته صحيفة « النهار » فى عددها رقم ١٣٣ السنة الأولى فى يوم الأربعاء ١ يونيو ١٩٨٨ ، الموافق ١٦ شوال ١٤٠٨ حيث كتب الصحفى مصطفى عالم مايلى :

« كانت لفتة بارعة من اللجنة العليا التى قامت بترتيبات الإحتفال بتكريم دولة الكويت الشقيقة ممثلة فى شخص سفيرها ، الدكتور عبدالله السريع ، بالخرطوم .. فاللجنة العليا التى يشرف عليها حاكم الإقليم الأوسط قد سبقت بل وحققت سبقاً فريداً وذلك بالعرفان بالجميل الذى أسدته دولة الكويت للعديد من القطاعات السودانية وبصفة خاصة للإقليم الأوسط .. وقد وصل ما قدمته الكويت للاقليم الأوسط مبلغ ٨٥ مليون جنيه سودانى(★ ★) ، فى العديد من المشروعات الإنمائية .

وفى تقديرى أن دولة الكويت ما كانت تريد منًا أو شكورا ، ولكن الأخلاق السودانية الفاضلة أبت إلا أن تعلن للملأبأن الكويت الشقيقة تستحق منا الإعتراف بالجميل .. وهذه الإحتفالات التى امتدت لأكثر من يومين تعبر عما يكنه شعب السودان ممثلا فى جماهير ورجالات الإقليم باحتفالاتهم هذه .

وقد كان الجانب الرياضى كالعادة هو الوجه الذى يبرز فى مثل هذه المناسبات بشكل واضح ، كما كان للنادى الأهلى واتحاد الكرة بمدنى ، الضلع الكبير تحت مظلة اللجنة العليا للإحتفالات بالتكريم .

كذلك كتبت جريدة السياسة السودانية بتاريخ ٣٠ مايو ٨٨ فى عددها رقم ٦٧١ برنامج الزيارة التالى : بقلم كرم الصديق .

لبست مدينة «واد مدنى» حلية زاهية .. استعداداً لتكريم دولة الكويت ، ولدولة الكويت إسهامات مقدرة فى المجتمع السودانى عموما والإقليم الأوسط على وجه الخصوص ويجىء التكريم هذا عرفانا وتقديراً لدولة الكويت وسفيرها بالخرطوم .. لما بذله من جهود مقدرة لخدمة المجتمع السودانى وسعى بين الناس بالود ، وخلق الصلات الطيبة والعلاقات الحميدة ، وتنميتها نحو مشارف التقدم .. و «السريع» باهتماماته المتعددة استطاع ان يوظف طاقاته لخير أمته السودانية .. وكان آخرها رئاسته لدورة دعم الإنتفاضة الشعبية الفلسطينية والتى انتظمت معظم مدن السودان لنجدة الأخوة فى فلسطين المحتلة .. وكان لها وقعها فى نفوس السودانيين .. وكبر الدكتور السريع فى أنظار المجتمع السودانى خاصة .. وأنظار الأمة العربية جمعاء .

ويبدأ برنامج التكريم لدولة الكويت عند الساعة الحادية عشر من صباح يوم الاثنين الموافق ٥/٣٠ باستقبال على مشارف مدينة «واد مدنى» للسيد السفير

(★) هذا الرقم غير صحيح .

وأسرة السفارة الكويتية ، والسادة الضيوف .. بعدها يقوم الوفد الزائر بزيارة لحكومة الاقليم الأوسط ، والالتقاء بالسيد/ فاروق اسماعيل سعيد حاكم الإقليم الأوسط وفى الواحدة ظهراً يتحرك الوفد لزيارة إدارة مشروع الجزيرة ومشاهدة الفيلم الوثائقى بعدها يقوم السيد/ السفير بافتتاح معرض سجون الإقليم الأوسط عند الخامسة مساء ويطوف بأجنحة المعرض ، بعدها يقوم الوفد بزيارة للنادى الأهلى بودمدنى .. وفى المساء يشهد السيد السفير والوفد الزائر الحفل المقام بمسرح الجزيرة على شرف السيد/ السفير تحييه مجموعة من الفنانين باتحادات الغناء الحديث والشعبى والمسرحيين .

وفى صبيحة اليوم الثانى للزيارة يقوم السيد السفير بزيارة لجامعة الجزيرة وزيارة مقر الإتحاد المحلى لكرة القدم بودمدنى والوقوف على منشآت الاتحاد ، وفى الحادية عشرة صباحاً يقوم الوفد بزيارة إلى غابة أم بارونة ويشهد الحفل الترفيهى بدعوة من الإتحاد المحلى لكرة القدم حيث تشارك العديد من فرق الفنون الشعبية ، بالرقصات والغناء ، وتقديم فقرات من فرقة اكروبات الجزيرة بقيادة (شمشون الجبار) حيدر .. وفى الخامسة مساء يزور السيد السفير والوفد مركز الشباب حيث يشهد عروضاً رياضية مختلفة ، ويقوم السيد/ السفير بافتتاح نادى النجوم الرياضى الجديد وفى السابعة مساء يشاهد الوفد الزائر المباراة المقامة على شرف تكريم الكويت بين عملاقى مدنى وبورسودان الأهلى ـ الهلال .

وبنهاية المباراة يختتم البرنامج الكبير لتكريم دولة الكويت الشقيقة .. وسفيرها د. عبدالله السريع . ونشرت الجريدة فى نفس الصفحة المعلومات التالية :

دولة الكويت فى سطور

المساحة ١٧٨١٨كم مربع .

السكان ٩٨٤٨٣٧ نسمة/ معدل التكاثر ١٠٪ فى (١٩٦٥ ـ ١٩٧٠)/ الكثافة السكانية ٦٧ كم مربع حسب المدن .

الدخل : النفط والغاز .

الزراعة : تشكل نسبة ٧,٥٧٪ من مساحة البلاد .

الأسماك : أربع شركات تعمل فى نطاق صيد الأسماك .

الصناعة : المنطقة الصناعية الرئيسية جنوب مدينة الكويت .. والمؤسسات الرئيسية شركة الكويت للأسمدة الكيماوية وشركة الكويت لصناعة الأنابيب المعدنية .

المرفأ الرئيسى : الشويخ .

المرفأ النفطى : ميناء الأحمدى .

العيد الوطنى : ٢٥ شباط (فبراير) .

اسهامات دولة الكويت

وهى على النحو التالى على التوالى : (قيمة القرض بالدينار الكويتى)

المشروع	قيمة القرض
١ ـ سكك حديد السودان ٦٢/٣/١٥	٧,٠٠٠,٠٠٠ .
٢ ـ سكر خشم القربة ٦٥/٧/١٥	١,٦٧٣,٣٥٦ .
٣ ـ التنمية الزراعية ٦٧/٨/١٤	٤,٢١٣,٣٥٤
٤ ـ مشاريع تنمية الماشية ٧١/٧/٢٧	٢٩,٨١٦ .
٥ ـ مخازن الذرة ٧٢/٢/٢	١٦.٦٧٦ .
٦ ـ ميكنة تجفيف المحصولات ٧٢/٣/١٤	١,٤٩١,٠١٩
٧ ـ مشروع الرهد الزراعى مرحلة (١) ٧٣/٤/١٧	٣,٣٠٠,٠٠٠ .
٨ ـ مصنع سكر شمال غرب سنار ٧٣/٧/٢١	٤,٥٠٠,٠٠٠ .
٩ ـ مشروع الرهد الزراعى مرحلة(٢) ٧٥/٦/٣٠	١٠,٤٧٨,٤٤٨ .
١٠ ـ البنك الصناعى السودانى ٧٥/٦/٣٠	١,٥٠٠,٠٠٠ .
١١ ـ مساعدات فنية ٧٦/٨/١٦	٩٠٠,٠٠٠ .
١٢ ـ طريق سنار الدمازين ٧٧/٦/٥	٤,١٨٦,٧٣٤ .
١٣ ـ اعادة تأهيل سكك حديد السودان ٧٨/٧/٤	٥,٠٠٠,٠٠٠ .
١٤ ـ مشروع سكر كنانة ٧٩/٥/١	٦,٠٠٠,٠٠٠ .
١٥ ـ طريق الرهد ٨٠/١/١٦	٧٢١,٥٣١ .
١٦ ـ دراسة فى النقل والمواصلات ٨٥/١٢/٢٥	٢٧٦,٣٧٥ .
١٧ ـ اكمال طريق سنار الدمازين ٨٦/١/٦	١٠,٥٠٠,٠٠٠ .
١٨ ـ كهرباء العاصمة القومية ٨٦/٦/٢	١٠,٠٠٠,٠٠٠ .
١٩ ـ إصلاح وصيانة الرى ٨٦/٦/٢	٣,٨٠٠,٠٠٠
٢٠ ـ الطرق الفرعية بمشروع الرهد ٨٧/٦/٢٧	١١,٠٠٠,٠٠٠ .
المجموع الكلى للقروض	٨٦,٥٩٧,٢٩٩ مليون دينار كويتى .

وكذلك تساهم الكويت فى الصندوق العربى والمصرف العربى للتنمية الإقتصادية فى أفريقيا والهيئة العربية للاستثمار والإنماء الزراعى وشركات كويتية أخرى تساهم بفعالية فى دفع عجلة التنمية بالسودان ، إضافة إلى مكتب دولة الكويت فى جوبا . والإسهامات من الجمعيات الخيرية والتطوعية الكويتية

فى كافة أقاليم السودان . هذه العلاقة تشير إلى كبر حجم المشروعات الواقعة داخل الإقليم الأوسط . (انتهى مقال الجريدة) .

عمادة السلك وزيارات بعض الأقاليم السودانية

فى عام ١٩٨٨ تسلمت عمادة السلك الدبلوماسى من السفير الايطالى الذى انتهت فترة عمله بالخرطوم . وكنت قد ترأست المجموعة العربية منذ العام الماضى خلفاً للسفير العراقى الذى نقل إلى الكويت .

وبعد أن تسلمت عمادة السلك كثفت من اتصالاتى بوزارة الخارجية ووزارة السياحة لتحقيق أكبر قدر من النشاط الدبلوماسى بحيث يستطيع رؤساء البعثات الدبلوماسية الإطلاع على مشروعات التنمية والمناطق السياحية فى السودان مما يفيد السودان ، وفى الوقت نفسه يعرف السفراء عنه الكثير . وينقلون لدولهم مشاهداتهم . ووضعت برنامجاً بالتنسيق مع وزارة الخارجية ووزارة السياحة لزيارة كافة الأقاليم السودانية على أن يتحمل السفراء نفقات السفر فى حين توفر لهم الحكومات الإقليمية وسائل المواصلات الداخلية والإقامة .

وكانت الزيارة الأولى إلى منطقة الدندر بالإقليم الأوسط .. فقد تصادف أن التقيت بالدكتور منصور يوسف العجب عضو الجمعية التأسيسية عن منطقة الدندر التى تقع فى الإقليم الأوسط ، وهى منطقة غابات سياحية وتشبه إلى حد كبير غابات كينيا ، ياتيها الأجانب ويقضون بها عدة أيام للسياحة حيث يشاهدون فيها حيوانات الغابة ويلتقطون الأفلام العادية وأفلام الفيديو كما شاءوا أما الصيد فلا .

رحب السيد منصور يوسف العجب بالرغبة التى أبديتها وقرر أن تكون أولى زياراتنا للدندر التى هو نائب عنها ووالده كان ناظراً ، وبعد أن توفاه الله خلفه شقيقه الحاج محمد منصور العجب فى النظارة والناظر هو بمثابة حاكم المنطقة ورئيس قبيلتها ، وإليه يحتكم المواطنون فى خلافاتهم والسعى إليه لحل مشاكلهم ، فهو الأب الروحى لأهل المنطقة . وتتعدد النظارات فى السودان وتكثر حيث يوجد بكل إقليم محافظات ، وبكل محافظة ، عدد من النظار ، والناظر لا يعين من الدولة وإنما يتوارث هذا المنصب عن أسرته . وما على الحكومة إلا أن تقر نظارته وتعتمدها .

تحدد الموعد لزيارة الدندر فاتصلت بزملائى السفراء ، ووافق عدد منهم ، وبعضهم مع زوجاتهم ، كان بينهم سفراء ايطاليا والمغرب والمجر وممثل منظمة

الفاو للأغذية والزراعة والسفير التركى والقطرى ومدير بيت الزكاة الكويتى فى الخرطوم السيد عثمان الحيدر ، والسيد محجوب البرير وكيل وزارة السياحة السودانية .

توجهنا بالسيارات ورافقنا الدكتور منصور يوسف العجب . وعلى بعد خمسة كيلو مترات من المدينة استقبلنا استقبالاً شعبياً حافلاً حيث تجمهر أبناء المدينة وهم يعتلون سيارات اللوارى التى أتوا بها .. وعلى بعد ٢ كيلو مترا من المدينة اصطفت على جانبى الطريق الجمال المزينة بهوادجها وألوانها المزخرفة الزاهية . وعند مدخل المدينة كان يستقبلنا ناظر المنطقة الحاج محمد منصور العجب والمسئولون الحكوميون وكبار الضباط وجمع غفير من المواطنين .

توجهنا إلى الإستراحة التى سنقيم فيها ، وعند مدخل الشارع الذى توجد به الإستراحة نُحر أمامنا جمل تعبيراً عن كرم الضيافة وحرارة الإستقبال . وقد أبدى زوجات السفراء المرافقات لأزواجهن هلعا وهن يشاهدن نحر الجمل ، بينما راح السفراء يلتقطون الصور التذكارية ، كما حضر حاكم الإقليم السيد عثمان عبد اللطيف الذى خلف الحاكم السابق فاروق إسماعيل سعيد بعد التعديل الذى أجراه السيد الصادق المهدى رئيس الوزراء فى حكومته . وشاركنا وجبة الغداء والمهرجان الذى أقيم لنا بعد الظهر .

وبعد أن تناولنا غداءنا ، وفى نحو الساعة الرابعة توجهنا إلى ميدان المدينة حيث جموع مواطنى « الدندر » بجمالهم وطبولهم ، وبعضهم صعد على الأشجار والبعض الآخر اعتلى اللوارى ، وجمهور يزيد على عشرة آلاف مواطن ، بينما إذاعة وتليفزيون الإقليم الأوسط تشارك فى الحضور وتسجل هذه الزيارة ، وقد زُينت الجمال بأحلى الهوادج وفى داخلها جلسن حسان البنات .

رحب الدكتور منصور العجب بالسفراء فى كلمة ألقاها أمامهم فى ذلك الجمع ، وتحدثت بدورى نيابة عن السفراء وشكرت حاكم وناظر ومواطنى الإقليم ، وفى الاحتفال أعلن ناظر المنطقة فى كلمته أنه أهدانى قطعة أرض قرب منزله ، كما تحدث حاكم الإقليم وأعرب عن ترحيبه وترحيب أبناء الإقليم الأوسط بهذه الزيارة وتمنى تكرارها .

وفى اليوم التالى توجهنا إلى حظيرة « الدندر » حيث نصبت لنا الخيام لنقيم فيها ، وفى الطريق إلى الإستراحة شاهدنا الحيوانات المختلفة والغزلان . وكان الجو غائما ورذاذ خفيف من المطر يتساقط . أضفى جوا من البهجة .

وفى هذه الزيارة حضر إلينا مدير عام مصلحة الصيد الفريق الريح ونائبه اللواء محجوب وقضينا اليوم كله فى الغابة . وفى اليوم التالى عدنا إلى مدينة الدندر حيث كررنا الشكر للناظر والمسئولين وواصلنا العودة إلى الخرطوم .

زيارة الإقليم الشرقى

فى إطار البرنامج المكثف الذى أعددته للسفراء بالتعاون مع وزارتى الخارجية والسياحة لزيارة الأقاليم السودانية والمناطق السياحية تم ترتيب زيارة للإقليم الشرقى مع حاكم الإقليم ، وهو صديق لى «عميد معاش طيار محمد عثمان كرار ، وتم ترتيب هذه الزيارة بالتنسيق مع وزارة الخارجية ، كنا مجموعة من السفراء العرب اتفقنا أن تتم الزيارة على دفعتين .

وفى اليوم المحدد للسفر إلى مدينة بورسودان التى فيها ميناء السودان الرسمى على البحر الأحمر والتى تعد أكبر مدن الإقليم ، كان موعدنا فى المطار العسكرى حيث كان حاكم الإقليم الشرقى فى انتظارنا بمقر القيادة العامة للقوات المسلحة ، ورافقنا فى هذه الزيارة السفير أحمد محمد نور مدير الإدارة العربية بوزارة الخارجية .

ركبنا طائرة عامودية « هيلوكوبتر » يقودها حاكم الإقليم محمد عثمان كرار ومعه طيار آخر هو العقيد طيار فيصل مدنى(★) ، وطيار مساعد برتبة مقدم .

وبعد ساعتين نزلت الطائرة فى منطقة (الفاو) الزراعية وهى أول مناطق الإقليم الشرقى ، وفيها مشروعات زراعية ضخمة ساهم صندوق التنمية الكويتى فى تمويل بعضها ، وهناك استقبلنا المسئولون وطلاب المدارس بترحاب حار .

أمضينا بعض الوقت فى (الفاو) ثم توجهنا بالطائرة إلى مدينة « القضارف » إحدى مدن الإقليم ، واستقبلنا استقبالاً جماهيرياً حارا . يتقدم المستقبلين نواب وأعيان المنطقة والتقينا بأعضاء غرفة التجارة الذين شرحوا لنا مشروعات الانتاج فى الإقليم ، ثم زرنا معسكرات اللاجئين ، وخاصة المعسكر الذى كان يهود « الفلاشا » يتم تجميعهم فيه لترحيلهم ليلًا إلى مطار الخرطوم لتقلهم منه طائرات خاصة إلى إسرائيل أو دول أخرى .

(★) العقيد طيار فيصل مدنى هو الآن عضو مجلس قيادة ثورة الإنقاذ برئاسة الفريق عمر البشير والعميد معاش محمد عثمان كرار أعدم مع ٢٨ ضابط فى اخر رمضان ـ ابريل ١٩٩٠ فى محاولتهم القيام بانقلاب لاسقاط نظام الفريق البشير .

ومن « القضارف » زرنا منطقة (همشكوريب) وهى منطقة تعليمية فى الصحراء ، أعدت وخصصت لتلاوة وتحفيظ القرآن الكريم وتسمى (الخلاوى) ـ جمع خلوة ـ ويعتمد الطلاب على أنفسهم بالزراعة ، وهم طلاب وطالبات ، والفصول عبارة عن عشش مبنية من القش والطين فى شكل بيوت متناثرة . ويشرف على هذه الخلاوى شاب يدعى الشيخ على سليمان ورثها عن والده .

وفى الإقليم الشرقى زرنا المناطق الزراعية حيث يشتهر الإقليم بزراعة « الجريب فروت » وكافة ثمار الموالح ، كما زرنا ميناء سواكن الجديد ومدينة سواكن الأثرية وطفنا بالمدارس والمستشفيات وسوق المدينة ، وكانت إذاعة وتليفزيون الإقليم الشرقى تغطى هذه الزيارة .

وبعد أن استكملنا جولاتنا عدنا إلى مدينة بورسودان ثم طفقنا عائدين إلى الخرطوم جوا .

فى إطار هذا البرنامج السياحى ، نظم وزير الاعلام فى الخرطوم رحلة نيلية دعا فيها السفراء ، كما أقام وزير السياحة أمين فلَينْ حفل عشاء حضره البطل العالمى محمد على كلاى ، الذى كان يزور الخرطوم ودعا السفراء وعائلاتهم لحضور هذا الحفل الذى أقامه بالفندق الكبير ، تخلله عرض فنى قدم رقصات فولكلورية تمثل فنون الأقاليم السودانية . قدمتها فرقة الفنون الشعبية ، وهى فرقة حكومية .

وزارة السـلام

فى إحدى زياراتى للسيد محمد عثمان الميرغنى ، زعيم الحزب الاتحادى الديمقراطى وراعى الختمية فى منزله عام ١٩٨٨ ، أدخلت فى غرفة يستقبل فيها زواره ودخل عليّ بعد قليل حيث كان فى اجتماع مع بعض أعضاء حزبه فى غرفة أخرى ، وكان يبدو عليه الإنفعال فاستأذنته مستفسراً عن سبب انفعاله .. فقال وهو يهز يده :

ـ تصور ياعبدالله .. مسئول فى الحزب يقترح أن « تلغى وزارة السلام »(★) .

(★)وزارة انشأها السيد الصادق المهدى فى حكومته الأولى عام ١٩٨٦ بغرض السعى لإحلال السلام فى جنوب السودان .

إبتسمت ولم أرد .. نظر الى مندهشا لابتسامتى وقال :
ـ وأنت مالك كمان ؟ .. ليه تبتسم ؟ ..
قلت :
ـ هل تريد رأيى صراحة أم مجاملة ؟ ..
قال :
ـ قله صراحة .
قلت :
انى مع رأى هذا الشخص .
نظر إلى منفعلا ومستغربا جدا . وقال :
ـ أنت كمان ياعبدالله ضد السلام ؟ ..
قلت : لا ..
قال : إذن لماذا تؤيد الغاء وزارة السلام ؟ ..

قلت : لأنها لن تحقق لكم السلام فهى وزارة فيها وزير ووكيل ووكلاء مساعدون وموظفون ومبنى وسيارات وخدمات ، فكيف تتوقع من هؤلاء أن يحققوا لكم السلام ، فلو حققوه فلن يصبح لهم حاجة ، وسوف تستغنى الحكومة عن خدماتهم وتقيلهم وعليه فهم سوف يخسرون موارد رزقهم ، ولهذا لن يسعون للسلام ، بدليل إن هذه الوزارة منذ أن أنشئت مع تشكيل الحكومة عام ١٩٨٦ لم تقدم برنامج عمل واحد أو خطة محددة لوضع نهاية للحرب الدائرة فى الجنوب . وبالتالى فانى أتفق مع رأى هذا الذى اقترح إلغاء هذه الوزارة .

فيضان السودان عام ١٩٨٨

كنت فى أجازة خارج السودان وعدت فى اليوم الثالث من أغسطس ١٩٨٨ لألحق إبنى بمدرسته التى تبدأ الدراسة بها بعد أسبوع واحد ، وفى صباح اليوم الرابع عندما استيقظت فوجئت بأن الساحة التى تقع فى مواجهة السفارة قد تحولت إلى بحيرة ، وتحولت الشوارع إلى أنهار وتوقفت السيارات نتيجة ارتفاع المياه . وعندما نزلت أبلغنى الحراس أنه منذ منتصف الليل هطلت أمطار غزيرة لم يسبق أن شاهدوها من قبل ، وأنهم سمعوا أن منطقة أمدرمان انهارت فيها منازل كثيرة ، وأن جزيرة « توتى » تكاد تغرقها مياه النيل الذى فاض وتدفق إلى المناطق المجاورة وملأ الشوارع ودخل البيوت .

(★) جزيرة توتى تقع فى النيل الأزرق ، على بعد خمسمائة متر من شارع النيل بالخرطوم .

وبعد اتصالات أجريتها من مكتبى تبين أن السودان قد تعرض لفيضان وسيول ، وليست مجرد أمطار غزيرة قد هطلت ، وإنما فيضان سبب كارثة قومية وحتى شمال السودان تعرض لهذا الفيضان .

وقررت أن أقطع أجازتى ، واتصلت بحكومتى وكانت هناك صعوبة فى الإتصال بسبب تعطل خطوط الاتصالات نتيجة تدفق المياه فى الكابلات وخطوط الهاتف ، وتكاد تكون الخرطوم منعزلة عن العالم الخارجى .

وكان اتصالى مع حكومتى عن طريق جهاز التلكس الذى لم يكن قد توقف وأبلغتها بما حل بالسودان الشقيق ، فأبلغونى بعد ساعات أن أتوقع وصول الطائرات العسكرية الكويتية على شكل جسر جوى يومياً لنقل ما يحتاجه السودان من خيام وأطعمة ومواد اغاثة . وطلبوا منى أن اتصل بالحكومة السودانية لأستفسر منها عن احتياجاتها العاجلة وأولويات المطالب ، وأبلغونى أن لجانا كويتية ستصل مع هذه الطائرات لتطلع بنفسها وتقدر حجم المساعدات الواجب تقديمها للمواطنين السودانيين ، وأنهم سيرسلون لى وحدة اتصال متنقلة أستطيع بواسطتها الإتصال بالكويت فى أى وقت لأطلعهم على حاجة السودان أولاً بأول .

وفى خلال يومين تحول مبنى السفارة بعد وصول الجهاز ومعه اثنان من الموظفين إلى غرفة عمليات دائمة العمل ، وبدأ تدفق المعونات عبر الجسر الجوى إلى مطار الخرطوم حيث كانت تصل نحو ثلاث طائرات عسكرية يومياً . وحضرت لجان حكومية وشعبية معظمها من الجمعيات الخيرية الكويتية وقابلت المسئولين ، ونقلتهم الحكومة السودانية على طائرات عمودية ليطلعوا على حجم الفيضان من الجو . وكانت منطقة أمدرمان أكثر المناطق تضرراً حيث تحولت إلى شبه بحيرة كبيرة ، وكان التنقل بين الشوارع فى بعض الأحياء يتم بواسطة قوارب صغيرة . صنعت من الصفيح .

وكانت بنغلاديش تواجه نفس الكارثة ، فقد تعرضت لفيضان مماثل وكانت الحكومة الكويتية تقوم بنقل المساعدات إليها فأضطر الطيران العسكرى الكويتى إلى أن يوزع جهوده فى نقل المساعدات بين العاصمتين « دكا » فى بنغلاديش و « الخرطوم » فى السودان ، وكانت هذه المساعدات فى معظمها تتألف من خيام وبطاطين وأطعمة وأدوية .

وقد وصل الضرر إلى حد أن الأفران التى تصنع الخبز فى الخرطوم قد توقفت عن العمل فطلب منى وزير الدفاع الفريق أول عبدالماجد حامد خليل أن

أساعد فى تقديم وجبات لأفراد القوات المسلحة الذين يعملون بالمطار ويقومون بنقل المعونات التى تصل من كافة الدول ، وبالفعل حضرت طائرتان عسكريتان تحملان وجبات مُعدَّةً كالتى تقدم لركاب الطائرات المدنية وسلمت للقيادة فى مطار الخرطوم .

وكان الفنان السودانى الفاضل سعيد يعرض مسرحية من تأليفى اسمها « جارة السوء » فى الأيام التى سبقت الفيضان على المسرح القومى فى أم درمان .

وكان يعرض تلك المسرحية مساء اليوم الثالث من أغسطس ١٩٨٨ عندما فوجىء الجمهور بهطول الأمطار فحاول أن يتدارى الجمهور عن المطر ، وتوقف العرض المسرحى . إلا أن المطر لم يتوقف وازداد هطوله حتى أصبح كالسيل العرم .

ودخلت المياه المسرح ، وارتفعت حتى وصلت إلى منتصف أجسام الجمهور الواقف فى حيرة وأوشكت أن تصل إلى عداد الكهرباء ، كما قال الفنان « الفاضل سعيد » ولكن الله لطف .. فلو كانت وصلت لكان كل هذا الجمهور الذى يزيد عن ألف شخص قد صعقته الكهرباء من خلال تسرب المياه إليه .

الفيضان والجمعية التأسيسية

كانت المعونات تتدفق إلى مطار الخرطوم وضباط وجنود القوات المسلحة يسعون جادين لتوصيلها إلى المحتاجين بينما أعضاء الجبهة الاسلامية منشغلون فى مناقشة تطبيق قوانين الشريعة الاسلامية فى الجمعية التأسيسية ، وكنت أقول لمن ألتقى به من المسئولين : يبدو أنكم لا تعانون محنة ، وليس لديكم مشردون ومرضى وجوعى من هذا الفيضان الذى حل ببلدكم ، فالدول تبعث بطائراتها لتغيث مواطنيكم المتضررين ، ونوابكم يناقشون فى الجمعية التأسيسية مشروع تطبيق قوانين الشريعة الإسلامية » .

وعلى أثر ذلك ، تلقيت دعوة من أحد أعضاء المكتب السياسى للجبهة الإسلامية القومية السيد مهدى ابراهيم رئيس الإدارة السياسية فى الجبهة الإسلامية وعضو الجمعية التأسيسية ، فتوجهت إلى مقرها فى الموعد المحدد ، وهناك وجدت ستة أشخاص من قادة المكتب السياسى للجبهة ، وكلهم أعرفهم وكان بينهم من وجه لى الدعوة ، واعتقدت أنهم متواجدون فى هذا الوقت صدفة ، إلا أنه بعد أن أغلق السيد مهدى باب الغرفة عرفت أنهم جاءوا خصيصا للحديث

معى ، وسألنى أحدهم عن رأيى فيما يناقشونه فى الجمعية التأسيسية حول قوانين الشريعة الاسلامية ؟

فقلت لمحدثى :

ـ هل دعوتنى لألتقى بكم جميعاً أم أن هذا اللقاء مجرد صدفة .. فقال لى إنه لقاء مرتب وإنهم متفقون عليه .

فقلت لهم :

ـ قبل أن أجيب على سؤالكم أود أن اطرح عليكم سؤالين : الأول هو « هل تشككون فى إسلامى .. قالوا لا .. والسؤال الثانى .. انه إذا كان هناك عرس عند أسرة ، وتوفى شخص عند الجيران هل تقيم الأسرة الأولى الفرح أم تؤجله .. أم يذهبون كلهم ليواسوا هذه الأسرة أم يتفرغوا للعرس ، وبمعنى آخر إذا مرض عند أحدكم شخص وكان على موعد مهم فهل يذهب إلى موعده أم يأخذ مريضه إلى المستشفى ؟

قالوا : فى المثال الأول نؤجل العرس ونقف مع الأسرة المفجوعة .. وفى المثال الثانى نذهب بالمريض إلى المستشفى .

قلت : إذن هناك أولويات ، وأنتم تركتم الأولويات وتركتم المواطن السودانى يواجه محنة الفيضان بنفسه وانصرفتم عنه بمناقشة مواضيع هى ليست فى أولوياته ، فالدين باق والمواطن المسلم هو مسلم .. ولا تنسوا أن هناك أكثر من خمسين سفارة فى الخرطوم تنظر إليكم وتستمع إلى ما تقولون وتقرأ ما يكتب فى صحفكم ، فكلامكم هذا يدفع السفراء إلى الاتصال بدولهم ليوقفوا الدعم عن السودان .. بدليل انشغال نوابه بأشياء أخرى ، وهذا يعنى أن السودان لا يعانى من محنة ولاينقصه طعام أو دواء لمواطنيه الذين شردهم وأضر بهم هذا الفيضان .

قالوا :

ـ إنا دعوناك لتكون عوناً لنا عند السفراء العرب وتقنعهم بصحة موقفنا بصفتك رئيس المجموعة العربية .

قلت :

ـ لا أمانع إن اقنعتمونى أنا أولاً ..

قالوا :

نحن نعمل على التعجيل بتطبيق شرع الله لأنه هو الذى سيحفظ السودان من كل شىء ويدرأ عنه الأخطار .

قلت : لا اعتراض على شرع الله . وإنما الإعتراض على التوقيت في ظل الظروف الراهنة التى يعيشها مواطنوكم .

عودة إلى مشكلة الجنوب

فى عام ١٩٨٨ احتلت قوات جون قرنق مدينتى الكرمك وقيسان فى الإقليم الأوسط .

وفى لقاء مع الدكتور خالد فرح رئيس تحرير جريدة « السياسة » السودانية ، وهو من المقربين للسيد الصادق المهدى دار الحديث حول التمرد فى الجنوب واحتلال هاتين المدينتين فشرحت له ما قمت به من محاولة أيام الرئيس نميرى . فقال لى لماذا لا تواصل ما قمت به ؟ . قلت : لن أتمكن إلا إذا كلفت من قبل السيد الصادق المهدى رئيس الوزراء وموافقة حكومتى ، قال : غدا أبلغك .

وفى اليوم التالى أبلغنى أنه تحدد لى الساعة الثانية عشرة من ذلك اليوم للقاء السيد الصادق . فذهبت إليه وأنا أحمل معى مقترحات مكتوبة حول البرنامج الذى أنوى القيام به فى حالة تكليفى وهو برنامج اقترحه صديق لى من أبناء الجنوب كتبه باللغة الانجليزية .

وكانت هذه المقترحات تقوم على النقاط التالية :

١ ـ العمل بموجب بيان « كوكا دام »(★) الذى تم بين بعض الأحزاب السودانية وقادة الحركة الشعبية فى أثيوبيا .

٢ ـ أى مقترحات أو إضافات فنية تستجد .

٣ ـ تشكيل لجنة من الحكومة والحركة والأحزاب السياسية تجتمع دوريا للإعداد والتحضير للمؤتمر الدستورى .

٤ ـ إمكانية وقف اطلاق النار .

طلب منى أن يقوم بدراستها ثم يبلغنى برأيه فيما بعد ، فشكرته وانصرفت .

ولم يتصل بى السيد الصادق لانشغال حكومته فى الفيضان ، والخلافات التى بدأت تظهر على السطح إعلامياً بين حزبه والحزب الاتحادى والانشغال فى

(★) مدينة فى أثيوبيا ، جرت فيها مفاوضات فى عام ١٩٨٥ خلال فترة الحكم الانتقالى بين عدد من الأحزاب السودانية والحركة الشعبية لتحرير السودان ، ولم يشترك فى هذه الأحزاب الحزب الاتحادى الديمقراطى والجبهة الاسلامية . وقد أسفرت هذه المفاوضات عن سبعة نقاط أساسية سميت ببيان كوكادام واعتبرت مبادىء أساسية لأى مفاوضات قادمة ، وتبنى السيد الصادق المهدى بعد انتخابه رئيسا للحكومة عام ١٩٨٦ هذا البيان وتحفظ على بعض النقاط الواردة فيه . واعتبرت الأحزاب التى لم تشترك فى مفاوضات كوكادام غير مسئولة عن هذا البيان .

إخراج قوات قرنق من مدينتي الكرمك وقيسان ويضاف إلى هذا أنى سافرت فى منتصف ديسمبر عام ١٩٨٨ لأكون بالقرب من والدى الذى كان مريضاً بالمستشفى ، وقد توفاه الله فى الثالث من شهر يناير ١٩٨٩م .. رحمه الله .

خلافات بين الحزبين

بعد أن شكل السيد الصادق المهدى حكومته فى أعقاب الإنتخابات عام ١٩٨٦ ، أسفرت الإتصالات على المستويين الحزبى والحكومى مع الحركة الشعبية لتحرير السودان التى يرأسها العقيد جون قرنق ، وذلك بإرسال وفود إلى أديس أبابا استكمالا للإتصالات التى كانت الأحزاب قد قامت بها قبل تشكيل الحكومة . وأسفرت كما أشرنا إلى مشروع بيان كوكادام .. ورغم أن الحزب الإتحادى الديمقراطى لم يشترك فى مفاوضات كوكا دام إلا أنه بدأ بعد ذلك بإجراء اتصالات مع حركة جون قرنق ، وكان السيد / محمد عثمان الميرغنى يبعث بوفود تلتقى بجون قرنق للتوفيق فى مسودة هذا الاتفاق حتى يتحقق السلام والأمن والإستقرار . وقد اعتمد السيد الميرغنى فى هذه الإتصالات على الفريق يوسف أحمد يوسف الذى ورد إسمه فى تقريرى الثانى الذى قدمته للرئيس نميرى وقد قطع مشوارا كبيرا فى تقريب وجهات النظر حتى أن زعيم الحزب الإتحادى - فيما بعد - عين الفريق يوسف وزير دولة فى الحكومة ، وبعدها أخذت هذه المبادرة منحى بأن سميت « مبادرة الحزب الإتحادى » ، وتحفظ السيد الصادق عليها باعتبار أن حزبه وحكومته هى التى سبقت الحزب الإتحادى فى الإتصال بجون قرنق باعتباره رئيس الحكومة ، وأنه يتحفظ على التعديل الذى أجراه الحزب الإتحادى الديمقراطى مع استمرار الإتصال بجون قرنق ، للوصول إلى اتفاق يرضى الجميع .

وراحت الصحف تكثر من الحديث حول هذا الموضوع ، وكما أسلفت تحاول أن تعمق الجفوة والخلاف بين الحزبين ، الأمة والاتحادى ، وهما حزبا الائتلاف فى الحكم ليتم الصدام بينهما ، ونجحت الصحف فى أن يتشدد الحزب الاتحادى فى موقفه ويتمسك بمبادرته .

وكانت صحف الجبهة الإسلامية تغذى هذا الخلاف ، وهما جريدة « الراية » و « ألوان » و « حلمنتيش » والأخيرة متخصصة فى الرسوم الكاريكاتيرية ، مما دفع بالسيد محمد عثمان الميرغنى تحت هذا الضغط

الإعلامى أن ينسحب بحزبه من الحكومة فاستقال كل الوزراء الاتحاديين من الحكومة ، فقام السيد الصادق المهدى ووزراؤه مع حزب الجبهة الإسلامية القومية بأعباء الحكومة بعد الفراغ الذى أحدثه الاتحاديون بخروجهم من الوزارة .

وساطة بين حزبى الأمة والإتحادى

عندما عدت إلى الخرطوم يوم ١٥ يناير ١٩٨٩ ، ظللت ثلاثة أيام استقبل جموع من السودانيين من مسئولين وغيرهم الذين وفدوا إلى دارى لتعزيتى فى وفاة والدى وفى اليوم الثالث كان معى صديقان هما الفريق معاش يوسف أحمد يوسف وأحمد سعد عمر وهو من الحزب الإتحادى ، وكان يشغل منصب وزير دولة قبل أن ينسحب الحزب من الحكومة . وكنا نتحدث فى هذا الخلاف بين الحزبين ، وعن خروج الحزب الإتحادى من الحكومة ، وكنت صريحاً معهما ، فقد قلت انى أرى ضابطاً قادماً ، وهذا ليس تنبؤا منى أو شطارة وانما اعتمد فى هذا على التاريخ السياسى للسودان ، ذلك أن نظام الحكم فيه منذ إعلان الاستقلال فى الأول من يناير ١٩٥٦ يقوم على مؤسستين فقط هما هذان الحزبين ، الأمة والإتحادى .. أو الجيش ، فعندما اختلفا عام ١٩٥٨ وكان رئيس الوزراء فى ذلك الوقت عبد الله خليل سلم السلطة إلى الفريق ابراهيم عبود .. أى إلى القوات المسلحة ، وعندما اختلفا عام ١٩٦٩ وقع انقلاب عسكرى قاده العقيد جعفر محمد نميرى من الجيش . ونحن الآن فى مطلع عام ١٩٨٩ وقد اختلف الحزبان .. إذن الضابط قادم .

أكد الصديقان يوسف وأحمد سعد وجهة نظرى هذه ، وقالا : بما أنك على دراية بهذا الموضوع وأنت تعتبر الآن مواطنا سودانيا لإنك معنا منذ عام ١٩٧٤ ولك علاقة طيبة مع السيدين الصادق والميرغنى ، فلماذا لاتقوم بمبادرة شخصية علك تستطيع التوفيق بينهما ، فما ترددت واتصلت هاتفياً بالسيد محمد عثمان الميرغنى فى منزله وطالبت منه موعدا فحدد لى مساء نفس اليوم لألتقى به ، وذهبت إليه ، وقلت انى معكم الآن كأخ وصديق وانى أود أن أبدى رأيا فان وافقتمونى عليه سوف أتحرك من خلاله . وكنت واضحا معه . وقلت إن خروجكم من الحكومة يعنى أن هناك خلافا كالذى وقع بينكم مع حزب الأمة عام ١٩٦٩ فتدخل الجيش وأخذ منكم الحكم ، وأنتما الآن قد اختلفتما ، إذن فإن ضابطا قادم اليكم ، ولا أظن أنكم ـ أيا منكما ـ يرغب فى التفريط فى الحكم إلى المؤسسة العسكرية .

وكان بدوره صريحا معى . وقال : ياعبدالله .. سبب خروجنا فقط هو المبادرة ، فقد تأخر السيد الصادق فى الموافقة عليها ، فنحن وحزبنا لانسعى إلى إجهاض مبادرة السلام ، وأنه لاخلاف شخصى بينه وبين الصادق ، وقال أنه يحترمه .. ولايوجد خلاف جوهرى بين الحزبين فى أى شىء ماعدا مايتعلق بهذه المبادرة ، وهذا هو سبب خروج حزبه من الحكومة .

قلت : هل تأذن لى بأن أجرى اتصالا بينك وبين السيد الصادق المهدى لعلى أوفق فى تقريب وجهات النظر بينكما طالما أن خلافكما فقط حول هذه المبادرة .

قال : إنى أبارك قيامك بهذا .

وبموعد لاحق التقيت بالسيد الصادق المهدى فى مكتبه وقلت له إنى معكم هنا لابصفتى سفير دولة الكويت وإنما بصفتى الشخصية «عبدالله السريع» أو «عبدالله جوبا»(★) لاككويتى فحسب ، ولكن أيضا كسودانى بحكم إقامتى الطويلة بينكم .. وأرجو أن أبلغكم أنى التقيت بالسيد محمد عثمان الميرغنى ، وتحدثنا حول انسحاب حزبه من الحكومة ، وأكد أنه لاخلاف بينكما ولافى كل مايتطلع إليه الحزبان لخدمة هذا الشعب ، وأن الخلاف منحصر فقط فى موضوع المبادرة وانى استأذنته فى الإتصال بكم لأقوم بدور بينكما لتقريب وجهتى النظر . فبارك الميرغنى وانى معكم الآن استأذنكم إن كنتم لا تمانعون فى سماع رايى حول الوضع بينكما كحزبين .

وكررت له أن ضابطا قادم إذا استمر هذا الخلاف . قال مبتسما :

ـ ياعبدالله .. قل ماتشاء بحرية تامة ، ونؤكد لك إننا بنفس القدر نبادل السيد محمد عثمان الميرغنى مشاعره .. فليس بيننا خلاف شخصى ولافى التوجه الحزبى .. ولاحتى حول المبادرة إلا بقدر بسيط وأنه تسرع فى خروج حزبه من الحكومة .

قلت :

ـ وهل تأذن لى أن أقوم بدور بينكما .. طالما هذا هو رأى كل منكما فى الآخر .

قال : نعم .

(★) منحت هذا اللقب فى احتفال رسمى من السيد أبيل ألير رئيس المجلس التنفيذ العالى للإقليم الجنوبى قبل التقسيم عام ١٩٧٦ ، بمناسبة تسلمه لمشروع مدرستين ومركز صحى ، هدية من الشعب الكويتى إلى الشعب فى الإقليم الجنوبى ، أشرفت على بنائهما .

فاستأذنته شاكراً له ثقته وذهبت إلى السيد محمد عثمان الميرغنى وقلت له ما سمعته من السيد الصادق المهدى ، وسألته إن كان يوافق على تشكيل لجنة من الحزبين تجتمع لتناقش هذه الخلافات البسيطة لمعالجتها لتعود المياه إلى مجاريها بين الحزبين فوافق على الفور .

ذهبت إلى السيد الصادق المهدى وقدمت له اقتراحى فلم يتردد بل كتب أسماء مسئولين معه فى حزبه ، وقال هذه أسماء أعضائنا فى اللجنة وهم : الدكتور حمّاد بقّادى (عضو المكتب السياسى لحزب الأمة) والدكتور بشير عمر وزير المالية والبروفسير الشيخ محجوب وزير التربية .. فذهبت إلى السيد الميوغنى حاملا معى أسماء لجنة حزب الأمة ، وهو أيضا فى اليوم التالى زوّدنى بأسماء اللجنة من الحزب الإتحادى وهم الدكتور مأمون سناده (وزير الخارجية قبل الانسحاب من الحكومة) ، والدكتور حسين أبوصالح (وزير الصحة السابق) ، والأستاذ عثمان عمر الشريف (وزير العدل السابق) .

تركت لأعضاء اللجنتين أن يلتقوا لقاءات جانبية كى يحددوا مكان اللقاء الرسمى ، وسألنى بعضهم ان كنت أود حضور اجتماعاتهم ، فشكرته قائلا : ان دورى ينتهى عندما تجتمعون متمنيا لكم التوفيق .

فى هذه الأثناء لم أقطع اتصالاتى ، فقد قمت بجولات عديدة واتصلت بأكبر عدد فى الحزبين بما فيهم رئيس وأعضاء مجلس رأس الدولة . والقادة السياسيين البارزين مثل السيد الشريف زين العابدين الهندى أمين عام الحزب الاتحادى الذى قال لى عندما دخل مكتبى : إنها أول مرة يزور فيها مكتب سفير ، وبعد أن استمع لى قال إنه سيغير من لهجته فى الكلمة التى سيلقيها غدا فى الجمعية التأسيسية باسم الحزب الاتحادى . وفعلا فى كلمته فى اليوم التالى كان عاطفيا ، وراح يُذَكِّر بأن زعيمى الحزبين الأمة والاتحادى هما اللذان رفعا علم استقلال السودان عام ١٩٥٦م ، حتى أن الصادق عندما قام ليرد كان التأثر واضحاً عليه ، وقد اغرورقت عيناه بالدموع .

وقد سئل بعد الجلسة من البعض لماذا كان متأثرا إلى هذا الحد ، فقال ان حديث الشريف زين العابدين لم يعجبه فى حين أنا أراه عكس ذلك ، إلا أنه لايريد أن يفصح .

وقال السيد سيد أحمد الحسين نائب أمين عام الحزب الإتحادى الديمقراطى ، نائب رئيس الوزراء وزير خارجية فى حكومة السيد الصادق

السابقة ، أنه لو تمكنت هذه اللجنة من تحقيق الوفاق بين الحزبين فانك ستدخل تاريخ السودان .. ياعبدالله ..

التقيت أيضا بأكبر عدد من رؤساء تحرير الصحف وزرتهم فى مكاتبهم ورجوتهم أن يُهَدِّئوا الشارع فى كتابتهم ويركزوا فى السعى للتوفيق بين الحزبين بدلا من أن يشعلوها فتنة . وقد استجاب لى أكثرهم مشكورين .

كما التقيت أيضا برئيس الجمعية التأسيسية السيد/ محمد يوسف محمد وهو من حزب الجبهة الإسلامية وأبلغته بتحركى . وعندما عاد الدكتور حسن عبدالله الترابى الى الخرطوم قادما من جولة له فى أوروبا ذهبت إليه فى منزله وأبلغته بصفته أمينا عاما للجبهة الاسلامية بما قمت به من تحرك بين السيدين الميرغنى والمهدى فقال لى ليتك أطلعت الإخوان فى المكتب السياسى للجبهة ليكونوا على علم .

كما التقيت بالمرأة السودانية واجتمعت بالسيدة/ خديجة حسين ، حرم اللواء فضل الله برمه (كان أحد أعضاء المجلس العسكرى الإنتقالى السابق) بصفتها رئيسة جمعية أمهات السودان القومية للسلام وقلت لها : ان للمرأة دورا فى التوفيق بين السياسيين، لا أن تقف متفرجة ، فتحمست واستجابت مشكورة وجمعت عددا من السيدات من شمال وجنوب السودان فى منزلها ، ودعتنى للاجتماع بهن بحضور زوجها .. وكلهن أبدين تحمسا ، ووعدن بأن تقوم كل منهن فى مجال عملها بكل ماتستطيع وعلى ضوء ما أجرينه من اتصالات بعثت لى بالرسالة التالى نصها :

سعادة الأخ الدكتور/ عبدالله السريع

سفير دولة الكويت الشقيقة

تحية وسلاما ،

بهذا رأى المكتب التنفيذى لجمعية أمهات السودان القومية للسلام إحاطتكم علما بأننا وحسب توجيهاتكم الرشيدة قد قمنا بالإتصال بالفعاليات والأحزاب السياسية المختلفة بدءا من رئيس مجلس الوزراء والقائد العام للقوات المسلحة ورئيس مجلس الكنائس بالسودان ، وقد وجدنا فى جميع من تم اتصالنا بهم التجاوب التام معنا ، وقد زودنا بعضهم باقتراحات فى غاية الأهمية والفائدة . نحن أيضا بصدد الإتصال بباقى الفعاليات والهيئات والأحزاب .

أردنا بهذا أن نثبت لكم هذا الفضل وسنتابع اتصالنا بكم واخطاركم بما يجد من أحداث .

مع فائق الشكر والتقدير

خديجة حسين دفع الله

٦ مارس ١٩٨٩ م رئيسة جمعية أمهات السودان القومية للسلام

أثناء ذلك كتبت إحدى صحف الجبهة أن سفيرا عربيا يتدخل فى الشئون الداخلية للسودان ، وفى الجمعية التأسيسية قالها صراحة السيد أحمد عبدالرحمن أحد قادة الجبهة ـ وهو صديق لى ـ ان السفير الكويتى يتدخل فى شئوننا الداخلية .. فلم أسأله فى لقاءاتى معه فيما بعد لماذا قال ذلك لأننى أحترم فيه رأيه ، وعلق سفير عربى عندما سمع كلام عضو الجمعية من الجبهة الإسلامية متسائلا : فى مجال التنمية يسألون أين الأشقاء ، وان سعى شقيق للتوفيق بينهم اعتبروه تدخلا فى شئونهم . فى حين كتبت صحيفة « الشَمَاسة » فى عددها رقم ٢١٦ بتاريخ ١٩٨٩/١/٢٦ م بعنوان (سفير عربى) تقول : تؤكد تحريات الشَّماسه السياسية أن سفير دولة عربية خليجية شقيقة عرف بعلاقاته الإجتماعية الواسعة فى السودان شمالا وجنوبا ، بدأ فى التحرك من أجل مسيرة السلام وأنه فى تحركه هذا يجد مباركة .

تحدد للجنة اجتماع وانعقدت فى قصر الضيافة فى مقر القيادة العامة للقوات المسلحة ، وبعد أن انتهى اجتماعهم حضر لى اثنان منهم وكانا مسرورين جدا لما توصلوا إليه ، وقالا أنهم قطعوا مشوارا طيبا فى التفاهم . وأنهم سوف يستكملون اجتماعهم هذا باجتماع آخر يعقد فى نفس المكان بعد غد ـ الاربعاء ـ إلا أن السيد الصادق المهدى فى اليوم التالى للاجتماع أعلن تشكيل حكومته مع الجبهة .

وبذا دخل الحزب الاتحادى الديمقراطى الى المعارضة .. ولم تنعقد اللجنة التى كانت تسعى للتوفيق بين الحزبين ، إذ لم يعد هناك داع لإن يجتمعوا بعد أن تشكلت الحكومة الجديدة .

ولم أحاول أن أتصل مرة أخرى بأحد إلا إننى كنت قد أبلغت حكومتى بكل الإتصالات التى قمت بها فلم تعترض طالما كان ذلك لخير السودان .

إقتحام سفارة دولة الإمارات

حدث قبل انقلاب البشير أن قام مواطن سودانى باقتحام سفارة دولة الإمارات بالخرطوم ، حاملا معه حقيبة «سمسونايت» صغيرة ويخفى بيده تحت قطعة قماش آلة تشبه المسدس أو السكين وطلب من كل من التقى بهم من موظفين وموظفات بالسفارة أن يتقدموه إلى مكتب السفير . وفى مكتب السفير قال ان الحقيبة بها متفجرات، تُفَجّرْ من الخارج بواسطة «ريموت كونترول» ، وطلب من السفير أن يتصل بحكومته فى أبوظبى دون أن يقول ماذا يريد، فهو لايريد الافصاح عنها إلا لسمو ولى عهد دولة الإمارات .. تعامل معه السفير «محمد سلطان السويدى» ببرود تام ولم يتهيب من هذا المشهد ، واتصل بحكومته ، واتصل أيضا بالخارجية السودانية فأسرعت بدورها الإتصال بالجهات المعنية فبادرت قوة خاصة من الجيش والأمن والشرطة بتطويق مبنى السفارة ، وكان على رأسهم اللواء طيار معاش الفاتح عبدون معتمد العاصمة محاولين التفاهم مع مقتحم السفارة الذى يهدد حياة السفير ومن معه فلم يوفق .

تقع سفارة دولة الإمارات في شارع تتواجد فيه سفارات دول أخرى ، فاتصل بى أحد الزملاء وأبلغنى أن سفارة دولة الإمارات قد تعرضت لعملية اقتحام من شخص مجهول ، فتوجهت على الفور إلى هناك ، ووجدت الشرطة من جنود وضباط وهم يمنعون المرور فى الشوارع التى تؤدى إلى السفارة .

وصلت إلى السفارة وصعدت إلى الطابق العلوى حيث مكتب السفير ، وهناك وجدت معتمد العاصمة وعدد من الضباط . وبسؤالى عن الموقف أبلغونى ان هذا الشخص الذى أقتحم السفارة لايريد التفاهم ويهدد بنسف السفارة ، وأن المعتمد أصدر تعليماته إلى البيوت المجاورة لإخلائها من سكانها تحسبا لأى حادث خشية أن يكون هذا المقتحم صادقا وقاموا بمسح كل الشوارع القريبة من السفارة ، فربما يوجد أحد يشتبه فيه يحمل جهاز «ريموت كونترول» ، وهم الآن بصدد عقد اجتماع يضعون فيه الخطة لاقتحام مكتب السفير مع الحرص ألا يصاب أحد بأذى .

وكان المقتحم حتى هذه اللحظة قد أخلى سبيل الموظفات والموظفين السودانيين وأبقى على السفير والقائم بالأعمال تحت التهديد .

وبالفعل تم وضع الخطة . واستعد عدد من أفراد القوة الخاصة لاقتحام مكتب السفير بانتظار توجيهات المعتمد الذى كان قد طلب منى ومن كبار

الضباط أن نتوجه معه إلى منزل مجاور أخلي من أهله ليضع معهم اللمسات الأخيرة للتنفيذ .

وبعد دخولنا المنزل المجاور بقليل ، إذا بالسيد حسن الخياط القائم بأعمال سفارة دولة الإمارات المحتجز مع السفير يدخل علينا . وقال أنه خرج من باب الحمام الملحق بمكتب السفير وأن السفير بخير وأعصابه هادئة ، ووصف شكل الخاطف وتقدير عمره وأنه شاب عادى وهادىء وغير منفعل . وقال أنه يشك أن هذا الشخص يحمل سلاحاً لكن من الصعب القطع بذلك ، ووصف أين يقع مكتب السفير من مدخل الغرفة .

خرج المعتمد ومعه كبار الضباط لتنفيذ الخطة وقد لحقت بهم .. صعد المعتمد والضباط ، وفى أقل من دقيقتين سمعنا ثلاث طلقات رصاص ، وصوت من الشباك يعلن إلقاء القبض على الرجل وأن أحداً لم يصب ، واتضح أنه لايحمل أى متفجرات أو أسلحة .

صعدت بسرعة ودخلت على السفير مهنئا ، وحمدت الله على سلامته ونزلت معه وكان هادئا وكأن شيئاً لم يحدث .

استمرت فترة الاحتجاز هذه نحو أربع ساعات ، وكان الاقتحام فى الساعة الأخيرة من الدوام ، ولأن زوجتى كانت بالكويت فقد اتفقت مع سفير العراق بأن تذهب زوجته وهى صديقة لزوجة سفير دولة الإمارات وتحضرها إلى منزله وتبلغها أن زوجها سوف يتأخر دون أن تطلعها على ماحدث ، وقد تم ذلك .

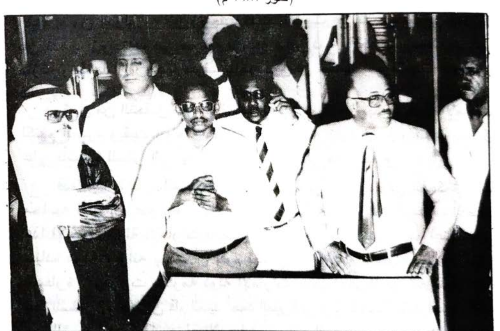
وتبين من التحقيق مع هذا الشاب أنه كان يعمل وزوجته فى دولة الإمارات لكنهم أبعدوه وبقيت زوجته هناك وادعى أن له حقوقاً مادية ولكنه لم يحصل على تأشيرة للسفر إلى أبو ظبى للحصول على هذه الحقوق .

قُدِّمَ هذا الشاب للمحاكمة بعد احتجازه بعدة أيام ، وفى المحكمة طلب محاميه الإفراج عنه بكفالة مالية فقبلت المحكمة ذلك وأفرجت عنه ، أغضب هذا الإجراء دولة الإمارات باعتبار أن ما قام به هذا الشخص هو اعتداء على سيادة دولة ، وأنه يمكن أن يقوم بعد أن أفرج عنه بمحاولة أخرى لاقتحام السفارة . وقررت حكومة دولة الإمارات سحب سفيرها فى الخرطوم ، ولم يعد السفير إلا بعد أن قام السيد أحمد الميرغنى بزيارة لدولة الإمارات ، وطلب من الشيخ زايد حاكم دولة الإمارات أن يأذن للسفير بالسفر معه على طائرته التى سيعود بها إلى الخرطوم فوافق سمو الشيخ زايد وعاد السفير مع الرئيس الميرغنى .



سمو الشيخ سعد العبدالله السالم الصباح ولى العهد رئيس مجلس الوزراء لدى توديعه للسيد الصادق المهدى رئيس وزراء السودان فى مطار الكويت .

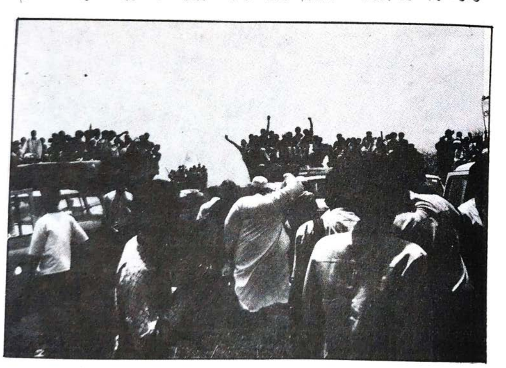
(تموز ١٩٨٧ م)



حاكم الإقليم الأوسط السيد فاروق يتوسط الصورة وعلى شماله مدير جامعة الجزيرة البروفسير ميرغنى حمور وعمداء الكليات وعلى يمينه استاذ من الجامعة يشرح لنا ويظهر إلى اليمين القائم بأعمال دولة قطر وخلف المؤلف يقف القائم بأعمال الجمهورية العربية اليمنية. ١٩٨٨م



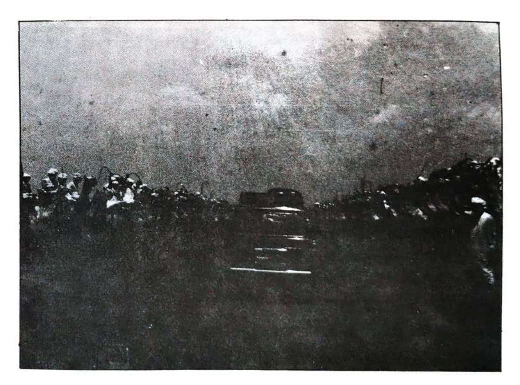
حاكم الإقليم الأوسط السيد فاروق إسماعيل وإلى يمينه يجلس أحد رجال الإقليم ويظهر فى الصورة المؤلف وحرمه وابنه وجمهور يشاهد جميعهم عرض مسرحية «عروس حسب الظروف» للمؤلف . ١٩٨٨ م



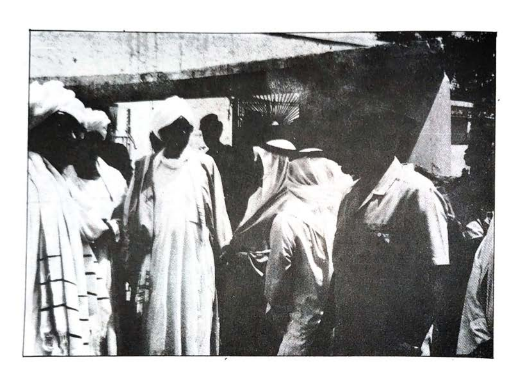
استقبالات مواطنى الدندر للسفراء على بعد خمس كيلو مترات من مدخل المدينة - ١٩٨٨ م



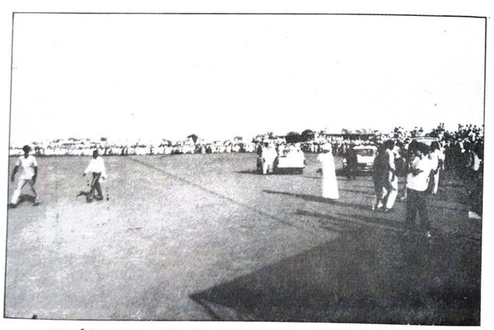
جانب من استقبال مواطنى الدندر خارج المدينة ١٩٨٨ م



الترحيب من على ظهور الجمال على امتداد كيلو مترا من مدخل مدينة الدندر ١٩٨٨ م



عند مدخل الإستراحة ، يتوسط الصورة السيد عثمان عبداللطيف حاكم الاقليم الأوسط وعلى يمنيه الحاج محمد منصور العجب ناظر منطقة، الدندر وفى مقدمة الصورة على اليمين السيد محجوب البربر وكيل وزارة السياحة .



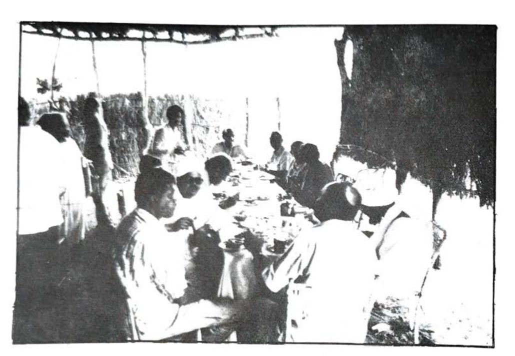
الساحة التى اعدت للاحتفال بزيارة السفراء للدندر وقد ضاقت بمواطنى المنطقة ١٩٨٨ م



بدأ الحفل باستعراض عدد كبير من الجمال التى قد زينت بهوادج جميلة وفى داخلها تجلس البنات وتقودها الرجال ١٩٨٨ م



فى السرادق المعد للاحتفال يجلس المؤلف بالملابس السودانية وإلى يمينه حاكم الاقليم وعلى يساره السفير المغربى يليه ممثل الفاو فالسيد حسن ابو هندى القائم بأعمال دولة قطر فالسيد عثمان الحيدر مدير بيت الزكاة فى الخرطوم وخلفهم عبارات الترحيب .



السفراء وعقيلاتهم يتناولون وجبة الافطار فى حضيرة الدندر ويظهر فى مقدمة الصورة على يمين المؤلف الدكتور منصور يوسف العجب عضو الجمعية التأسيسية منظم هذه الزيارة .



الفنان الفاضل سعيد (على اليمين) فى دور بث قِضَّيمْ والفنانة عرفه (الجاره) فى مشهد من مسرحية جارة السوء ١٩٨٨/٨/١ م

الفصل السادس

نشاط
الجمعيات الخيرية الكويتية

الفصل السادس

نشاط الجمعيات الخيرية الكويتية

بلغ حجم المشاريع السودانية التى مولها الصندوق الكويتى خلال الفترة من عام : ١٩٦٢ حتى ١٩٨٠ م مبلغ ١٩٥/٣٣٣ مائة وخمسة وتسعون مليون وثلاثمائة وثلاثة وثلاثون ألف دولاراً .

وفى عامى ٨٥ و١٩٨٦ م مبلغ ٨١/٢٠٠ واحد وثمانون ميلون ومائتا الف دولاراً.

وفى عامى ٨٧ و١٩٨٨ مبلغ ٥٣/٦٥٠ ثلاثة وخمسون مليون وستمائة وخمسون ألف دولاراً .

وبذا يكون المجموع قد بلغ ٣٣٠/١٨٣ ثلاثمائة وثلاثون مليون ومائة وثلاثة وثمانون ألف دولاراً .

ومن هذه المشاريع سكة حديد السودان ، ومرحلة رى مشروع الرَهَدْ ومشروع اعادة صيانة السكة الحديد ومشروع سكر شمال غرب سنار ، ومشروع الرَهَدْ وسكر كنانة ، طريق سنار ـ الدمازين للمرور السريع ، طريق الرهد ، وكهربة العاصمة القومية وطرق فرعية قصيرة وغيرها .

ولم تقتصر المساعدات التى قدمتها الكويت للسودان علىٰ القروض وتمويل المشروعات ، وانما امتدت إلى اقامة مشروعات إجتماعية ومجالات أخرى ، وهو الدور الذى قامت به الجمعيات الخيرية الكويتية منذ عام ١٩٨٤ حيث أنشأت المدارس والمستشفيات وقدمت المساعدات والعون لمواجهة مشاكل الجفاف والتصحر ، وامتدت أنشطتها إلى كافة الأقاليم السودانية ، وأذكر من هذه الجمعيات مايلى :

أولا : لجنة مسلمى أفريقيا الكويتية وهذه اللجنة لها مكاتب منتشرة فى حوالى ٣٠ دولة أفريقية يشرف عليها مواطن كويتى هو الدكتور عبدالرحمن السميط وأكبر هذه المكاتب فى السودان، حيث كان يعمل به ٢٣٢ موظفاً سودانياً فى كل الاقاليم ، وقد انفقت هذه اللجنة عام ١٩٨٨ م فقط ١٦ مليون و ٤٤٥ ألف جنيه سودانى أى ما يعادل مليونين

من الدولارات تقريباً على مشروعات خيرية فى مختلف الأقاليم السودانية ، ومن أعمال هذه اللجنة كفالة ٤٥٠ يتيما ، وبناء أكثر من (٧٦) مسجداً وحفر (٦٤) بئراً ارتوازياً فى غرب السودان .

ثانيا : بيت الزكاة الكويتى (فرع الخرطوم) ، يرأسه السيد عثمان الحيدر ويقوم بمشروعات فى كافة الأقاليم السودانية منها تم انشاء أحد عشر مسجدا فى منطقة المناقل بإقليم الأوسط ، شارك المواطنون فى انشائها وكان التمويل الأكبر من بيت الزكاة .

ثالثا : صندوق إعانة المرضى .. وهو يتخصص فى بناء المستشفيات والمستوصفات وأنشأ مستشفى فى مدينة الأبيض عاصمة إقليم دارفور غرب السودان ، وآخر فى كسلا أحدى مدن الإقليم الشرقى ، ومشروعات أخرى .

رابعاً : جمعيات نسائية .. هناك أنشطة أخرى تقوم بها جمعيات خيرية نسائية ، على رأسها سيدات كويتيات فاضلات مثل السيدة غنيمة المرزوق والأستاذة لولوة القطامى وغيرهن ، وقد حضرن إلى السودان فى زيارات للأقاليم ، وأنشأن فى الإقليم الشرقى قرية كاملة باسم «قرية حنان» بها مدرسة وعيادة طبية ومساكن تتسع لإيواء أبناء الأريتريين الذين يسكنون فى هذه المنطقة بالإضافة إلى السودانيين ، وهذه القرية تبعد عن الطرق الممهدة بنحو ٣٠٠ كيلو مترا ، ورغم ذلك كانت السيدات الكويتيات يتحملن مشاق ووعورة الطرق للوصول إلى هذه القرية والإشراف على إنشائها . وتقع القرية على مساحة ١٥٠ فدانا تضم ٢٢ وحدة سكنية بتكلفة ٧ مليون ونصف مليون دولاراً ، وتستوعب ألف طفل تكفل لهم القرية الإيواء والدراسة والرعاية الصحية .

كذلك الهيئة الخيرية العالمية ، من اسمها نتبين أن لها وجوداً فى كافة الأقطار .

وهناك متطوعات كويتيات مثل الأستاذة عائشة اليحيى والأستاذة موضى الحجى والسيدة خولة المطوع كُنَّ يجمعن التبرعات من المواطنين الكويتيين ويحضرن إلى السودان أكثر من مرة فى السنة يقدمون الأطعمة والمواد الغذائية ، وتستمر اقامتهن فى السودان نحو أسبوع أو أسبوعين ، ويحدث أن يحضرن فى شهر رمضان ليشرفن بأنفسهن على طهى وتوزيع الأطعمة على الفقراء والمحتاجين ، مستعينات بطباخين وعمال سودانيين . وفى أيام الفيضان

كن يذهبن إلى المناطق المتضررة لتقديم المساعدة للمواطنين ويتحملن مشاق الطريق ويركبن اللوارى التى كانت تحمل المواد الغذائية والأطعمة ، وكانت زوجتى ترافقهن أحيانا فى بعض هذه الجولات .

كذلك قامت زوجتى وشقيقتيها بحفر بئر ماء فى منطقة الحزام الأخضر جنوب الخرطوم ، سبيل لوجه الله ، لوالديهن صالح ولطيفة بتكلفة بلغت حوالى عشرين ألف دولاراً .

وأيضا كان يقوم مواطنون كويتيون بأعمال خيرية من أموالهم الخاصة ، يقصدون بها الثواب من المولى تعالى ، وإن بعضهم ، نادر أن يحضر إلى السفارة وإن حضر فإنما للتحية فقط ، أما ماذا يعمل فهو سر بينه وبين خالقه ، وأذكر من هؤلاء المرحوم إبراهيم ناصر الهاجرى(*) فقد أنشأ كلية للقرآن الكريم قرب جامع النيلين ، كذلك قام بأعمال خيرية كثيرة فى السودان وغيرها من الأقطار ، إلا انه ماكان يفصح عنها ، واذكر أيضا المرحوم حمد الشابجى(**) ، كان يطوف الأقاليم السودانية لتقديم مايحتاجه الفقراء فى تلك المناطق ، ويسافر أحيانا إلى كينيا ودول أفريقية أخرى ، إما لتقديم المساعدة أو لجلب بضائع عينية ليوزعها فى السودان ، رغم أنه كان أميا لايقرأ ولا يكتب ، ومع هذا ماكانت تواجهه أية صعوبة فى مطارات أو مع مواطنى تلك الدول وعندما كنت أسأله كيف كان يتفاهم مع اولئك الأقوام ؟ .. كان يبتسم وهو يرفع حاجبيه إلى أعلى ويقول ... ربك كريم ، يسخر لمن يشاء ، وكثير من المواطنين والمواطنات يقومون بأعمال خيرية جليلة ، إلا أنى لاأتذكر أسماءهم .

وقد اهتمت الصحف السودانية بنشاط الجمعيات النسائية الخيرية الكويتية وكتبت صحيفة « الأيام » فى عددها رقم ١١٤٣١ الصادرة بتاريخ ٥ ديسمبر ١٩٨٤ ، تحت «جمعية تطوعية من الكويت تدعم معسكرى أبو زيد والمويلح» تقول :

(*) توفى فى أوائل عام ١٩٩٢ .
(**) توفى أما فى عام ٨٧ أو ١٩٨٨م .

جمعية تطوعية من الكويت
تدعم معسكرى أبوزيد والمويلح

★ حسن الرضى
★ عيد روس عبدالعزيز

«أصالة الشعوب تظهر دائما ساعة المحن وساعة الكرب .. والشعب الكويتى واحد من الشعوب الأصيلة والعريقة .. مافتىء ومنذ التاريخ القديم يحمل فى جوانحه الصدق وأوجه النقاء والحب اسهاما ودعما لعمل الخير » .

ماأعظم الشواهد التى تتحدث عن شعب الكويت ومدى الأخوة الوشيجة التى تربط بينه وشعب السودان .. شعب الكويت الذى أبت أريحيته كعهده دائما إلا أن يكون معنا وبيننا فى هذه الآونة التى نغالب فيها ظروفاً عارضة فرضتها عوامل الطبيعة بآثار الجفاف والهجرة والنزوح ..

وبالأمس التقت الأيام بأخوة قدموا من الكويت الشقيق بعد أن تركوا أسرهم وأطفالهم وأعمالهم .. جاءوا لنا بدعوة أملتها أصالتهم وعروبتهم فحلوا بيننا أهلا .. جاءوا فى صمت وفى اصرار طلبوا أن يكون مجيئهم سراً لأنه مدفوع لعمل الخير ، لكن وسط اصرارنا وإلحاحنا فتحوا لنا قلوبهم العامرة .. تحدثوا لنا وكان سعادة سفير دولة الكويت بالخرطوم الدكتور عبدالله السريع والسيدة حرمه قد كانا من بين الذين حضروا اللقاء وهم المهندسة الزراعية فاطمة حسن جوهر حياة رئيس العلاقات الخارجية بهيئة الزراعة بالكويت والسيدة خولة المِطوع ـ الأستاذ مهدى بهبهانى ـ والأستاذ عجيل العصفور من معهد الكويت للأبحاث العلمية .

تَحَدَّثَتْ فى البداية المهندسة فاطمة حسن قائلة : ماأن سمع مواطنوا الكويت بالجفاف الذى أخذ يحتوى أجزاءاً كبيرة من أفريقيا حتى هبوا وحدات وجماعات ..هيئات .. ومؤسسات ليدعموا هذه الشعوب حتى تظل صامدة أمام أزماتها لحين إيجاد الحلول .

وبحكم تفهمى للظروف المتعلقة بالجفاف ومعرفتى لطبيعة المشكلة تدارست ومن معى من الإخوة والأخوات الكثير من الجوانب وقد رأينا أنه لابد

من تقديم شيء من المجهود تجاه أخوتنا فى السودان الشقيق .. ونحن هناك ندرك المشكلة ونحس بها فشرعنا فى جمع المساهمات الفردية من أسرنا ومن المقربين الينا فقط .. احساسا منا بهذا الواجب بل هذه المسئولية التى تفرضها علينا واجبات الإخاء ..

وقد أثمرت جهودنا كأفراد من عامة الشعب الكويتى الذى يكن لشعب السودان الشقيق كل تقدير .

ثم واصلت المهندسة حديثها قائلة .. وصلنا بحمد الله يوم الخميس الماضى حيث وجدنا حرم سعادة السفير قد سبقتنا بتقديم الكثير باسم المرأة الكويتية ، كانت تؤدى هذا الواجب فى صمت ودون أن تشعر أحدا بذلك . كما سبقتنا إلى زيارة مواقع النازحين وقدمت مساهمتها .

وأضافت المهندسة فاطمة ـ قمنا بزيارات استطلاعية لمعسكرى أبو زيد والمويلح بهدف التعرف على احتياجات هذه الأسر لنبدأ فى الزيارات العملية وقد قمنا بزيارة فى يوم الأحد إلى معسكر أبو زيد حيث بدأنا فى عملية التوزيع ويوم الأثنين إلى منطقة المويلح حيث تم التوزيع أيضا ـ وماقدمناه لهؤلاء الإخوة وهذه الأسر عبارة عن ١٠٠ طن عيش و٧,٥ طن لبن «أكياس» عبوة لتر و ٦ آلاف كيلو فراخ و ٤ آلاف لتر زيت ، كما قدمنا لهم بطاطين وقد راعينا أن يتم شراء الزيت واللبن والدواجن والعيش محليا .

كما تحدث بعض الإخوة فأضافوا شكرهم للهيئة العربية للإستثمار والإنماء الزراعى على مساعداتهم وتسهيل مهمتهم خاصة الألبان ـ الدواجن والزيوت . وجميل شكرهم للدكتور عبدالله السريع سفير دولة الكويت بالخرطوم على رعايته الكريمة التى لازمتهم خلال إقامتهم منذ فجر الوصول .

★ وفى ختام اللقاء تحدث سعادة سفير دولة الكويت بالخرطوم الدكتور عبدالله السريع مبدياً تقديره وشكره باسم السفارة لهؤلاء الإخوة على هذا المجهود مؤكدا أن الشعب الكويتى سيظل دائما يقف بالصدارة فى أداء الواجب خاصة تجاه الشعب السودانى متمنياً من الله عز وجل أن يجنب الشعب السودانى كل مكروه وأن يمكن المواطن من أن

يعيش حياة كريمة وأن يشارك فى مجال التنمية وخدمة الوطن ..

★ كما أضاف شكره لأجهزة الإعلام المرئى والمقروء.. ولأسرتى جريدة المساء بالتليفزيون وجريدة الأيام على تغطية خبر هذه الزيارة .

يأتى هذا المجهود الشخصى إضافة للجهود والمساهمة الرسمية من حكومة دولة الكويت الشقيق .



هذه الصورة تجمع ثلاث مواطنات كويتيات متطوعات ، يعملن فى مجال الإغاثة تصادف وجودهن فى الخرطوم خلال احتفالات السفارة بالعيد الوطنى لدولة الكويت وهن من اليمين الاستاذة عائشة اليحيى والاستاذة موضى الحجى والاستاذة لولوه القطامى ويظهر معهن فى الصورة من اليمين السيد عبدالله بدرى مدير مكتب لجنة مسلمى أفريقيا الكويتية فى الخرطوم والفنان أحمد المصطفى ثم الفنان سيد خليفة فالفنان صلاح ابن البادية .

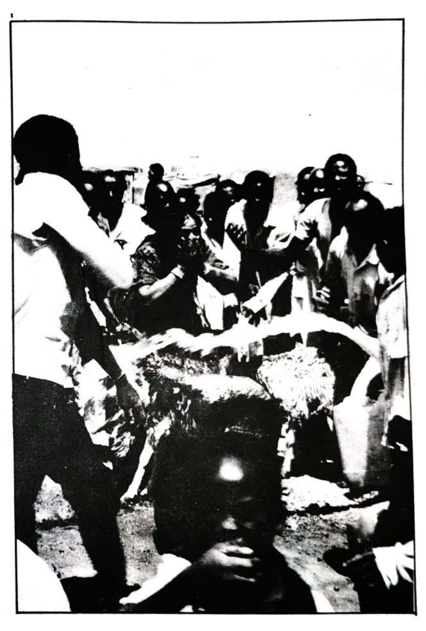
فبراير ١٩٨٩ م



الدكتور عبدالرحمن السميط مدير عام لجنة مسلمى أفريقيا الكويتية والمسئول عن كافة مكاتب اللجنة فى القارة الأفريقية ، لايكتفى على الاشراف من مكتبه بل ينزل بنفسه ليطعم الجياع ، بعد الحاح منى حتى وافق أن أنشر له هذه الصورة التى التقطت له فى إحدى الدول الأفريقية .



السيدة خوله المطوع تحتضن أطفالا فى مركز أبو زيد للنازحين من الجفاف والتصحر ومعها زوجتى تحمل طفلا رضيعا ، تطلب منه أن يرفع رأسه لينظر إلى الكاميرا . ١٩٨٧ م .



قرينتى ترتشف ماء تدفق لتوه من بئر ارتوازية حفرتها على نفقتها هى وشقيقتيها فى منطقة الحزام الاخضر جنوب العاصمة الخرطوم ، سبيل لوجه الله ترحما لوالديهن ١٩٨٩ م

الباب الثالث

إنقلاب يونيو ١٩٨٩م

الفصل السابع

ظروف وأحداث الإنقلاب

(الفصــل الســابع

ظروف وأحداث إنقلاب يونيو ١٩٨٩م

الأيام الأخيرة لحكومة الأحزاب :

بعد أن شكل السيد الصادق المهدى حكومته الأخيرة مع الجبهة الإسلامية القومية وخروج الحزب الإتحادى الديمقراطى من الإئتلاف وتزعم المعارضة فى الجمعية التأسيسية ، عمت الفوضى البلاد وازداد الوضع الاقتصادى سوءاً ، وصارت الصحف تكتب على هواها ، وساد شعور عام بأن الجيش سيتدخل ، وغذت صحف الجبهة الإسلامية هذا الشعور ، فكانت تدعو الجيش للتدخل لاستلام السلطة .

استمر الوضع على هذا النحو ، فتقدم قادة الجيش بمذكرة إلى رئيس الوزراء فى شهر فبراير ١٩٨٩ ، وجاء بهذه المذكرة أن الجيش يحترم الأحزاب ، ولا يريد أن يتدخل فى شئونها ، ولكنه يطالب بضرورة تصحيح الأوضاع السياسية ، ووضع حد للفوضى التى تسود البلاد حفاظاً على الديمقراطية التى يحترمونها ، وإلا فانه سيضطر للتدخل . وحددت المذكرة فترة زمنية للحكومة مدتها أسبوع لإجراء إصلاحات داخلية ووقف أعمال الفوضى .

وقد اعتبرت الحكومة هذه المذكرة تدخلا فى الشئون السياسية ، وأنه لا يجوز للجيش مخاطبة الحكومة ، فعمله عسكرى فقط .

وفيما يلى بعض ما جاء فى المذكرة المقدمة إلى السيد رئيس مجلس الوزراء ورئيس مجلس الدفاع الوطنى :

★ انطلاقاً من مسئوليتنا الوطنية والقومية والتاريخية فى هذه المرحلة الدقيقة التي تمر بها البلاد واعتباراً للظروف الأمنية الخطيرة التى يشهدها الوطن في بعض أجزائه ، وبعد قراءة ودراسة متأنية وعميقة للوضع الراهن واستشرافاً لآفاق المستقبل بكل ما ينطوى عليه من احتمالات قد تؤدى إلى إنقلاب يقود إلى تهديد وحدة تراب البلاد وتفتيت الأمة السودانية ومسارها الديمقراطى الذى

ارتضاه الشعب وضمنه فى مواثيقه ودستوره كخيار لا بديل له ، وبناء على منطوق المادة (١٥) من دستور السودان الإنتقالى لسنة ١٩٨٥ م التى تقرأ :

« قوات الشعب المسلحة جزء لا يتجزأ من الشعب مهمتها حماية البلاد وسلامة أراضيها وأمنها وحماية أهداف ومكتسبات ثورة رجب الشعبية » .

كما جاء فيها :

★ اننا جميعا قيادة وقاعدة منتشرون فى كل بقاع السودان يجب أن نؤكد بوضوح لا لبس فيه أننا مع خيار الشعب السودانى الأصيل فى الحفاظ على الديمقراطية كما أكدنا ذلك فى السادس من أبريل واننا نرفض كل أنواع الديكتاتورية وسنظل أبدا أوفياء لواجبنا المقدس فى حفظ وصون وحدة وسيادة الوطن .

★ ان تماسك ووحدة الجبهة الداخلية يتطلب تطبيق توجه قومى بعيدا عن المزايدات السياسية والتناحر والتآمر وهذا يتطلب فى المقام الأول توسيع قاعدة المشاركة فى الحكم للخروج من هذا المنعطف الصعب .

وجاء فى ختام المذكرة :

★ وفى الختام ليس هناك أكثر من التأكيد مرة أخرى أننا جميعا أمام مسئولية تاريخية ستسألنا عنها أجيال السودان القادمة وهى ان نحافظ على أمن ووحدة وتماسك القوات المسلحة، لا نقبل مطلقاً المزايدة باسمها وألا نعرضها أبدا للتضحية والخسائر نتيجة لقصور الامكانيات ولأسباب موضوعية أخرى لا يمكن أبدا أن نسأل عنها القوات المسلحة .

وعليه .. ومع تأكيد الولاء لله وللأرض وللشعب ، نرفع لكم هذه المذكرة النابعة من إجماع القوات المسلحة لاتخاذ القرارات اللازمة فى ظرف أسبوع من اليوم .

كما أصدر الجيش بياناً رسمياً يؤكد فيه ما جاء فى المذكرة الأولى فيما يلى نصه :

بيـان رسـمى للجيش

القيادة العامة لقوات الشعب المسلحة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

« واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا »

(صدق الله العظيم)

بيــان رســمى

القيادة العامة لقوات الشعب المسلحة

أولا : سبق أن أوضحت القوات المسلحة فى مذكرتها وقوفهـا مع الديمقراطية وخيار الشعب السودانى وأنها تعمل وفق منطوق المادة (١٥) من دستور السودان الإنتقالى لعام ١٩٨٥ م .

ثانياً : أن القوات المسلحة تحت قيادة القائد الأعلى للقوات المسلحة لا تفوض مطلقاً مسئولياتها وصلاحياتها المنصوص عنها فى المادة (١٥) من الدستور لأى سلطة سياسية أو أمنية أخرى .

ثالثاً : تؤكد القوات المسلحة إصرارها على ضرورة تنفيذ كل ما جاء بمذكرتها بتاريخ ١٩٨٩/٢/٢٠ م المعنونة للسيد القائد الأعلى للقوات المسلحة وللسيد رئيس مجلس الدفاع الوطنى .

ثالثاً : أن القوات المسلحة بكل قياداتها وتشكيلاتها المقاتلة ترفض التلميح بوجود تقصير أو عدم انضباط عسكرى وتؤكد أن الدعم العسكرى الفورى والمستمر هو الحل لاعادة التوازن الإستراتيجى العسكرى .

(بسم الله الرحمن الرحيم)

« واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب »

(صدق الله العظيم)

القيادة العامة للقوات المسلحة

أجــازتى الســنوية :

استمرت الأوضاع الداخلية فى السودان مضطربة طوال الشهور الأولى من عام ١٩٨٩ م ، وكنت فى شهر يونيو أخطط للقيام بأجازة أسافر خلالها إلى دول أوروبا مع صديق سودانى هو الدكتور حسن إسماعيل مدير الشركة السودانية الكويتية للدواجن ، واتفقنا أن تبدأ الرحلة من المانيا الغربية لشراء سيارة نتبادل قيادتها ، ونزور بها بعض دول أوروبا الشرقية ثم نتوجه إلى تركيا ، ومن تركيا نسافر إلى الخرطوم جواً ، ونشحن السيارة من الميناء التركى إلى ميناء بورسودان .

وبالفعل ، مُنحتُ اجازتى التى بدأت فى ١٥ يونيو ١٩٨٩ ، ووصلت فرانكفورت على أن يلحق بى صديقى الدكتور حسن . وتوجهت إلى شركة سيارات المرسيدس واشتريت سيارة من طراز ١٩٠ ديزل ، على أن نتسلمها فى ٣٠ يونيو لأننى طلبت اضافة بعض الأشياء إليها .

وصل الدكتور حسن وانتظرنا حتى نتسلم السيارة لنغادر المانيا فى اليوم الأول من يوليو ، مبتدئين جولتنا فى دول أوروبا الشرقية التى لم أزرها من قبل .

ولكن فى صباح يوم الجمعة ٣٠ يونيو وهو اليوم المحدد لتسلم السيارة اتصل بى السيد سعود النبهانى سفير سلطنة عمان فى ألمانيا ، وكان سفيرا لبلاده فى الخرطوم قبل ذلك ، وتربطنا معا صداقة وزمالة ، وكان يعلم اننى موجود فى بون ، أبلغنى أن انقلابا وقع فى الخرطوم .

على الفور أيقظت الدكتور حسن الذى ينام فى غرفة أخرى وخرجنا من الفندق نسأل عن الأخبار فلم يتضح لنا شىء ، لكن الإذاعات بدأت تنقل أخبار الإنقلاب الذى وقع فى السودان ، ولم نعرف قادته ، وكنا نظن أن أصحاب المذكرة فى الجيش هم الذين قادوا الإنقلاب وتسلموا السلطة ، لأن قادة الإنقلاب لم يعلنوا أسماءهم فى أجهزة الإعلام إلا بعد الساعة الثانية ظهرا ، وعرف العالم كله أن العميد عمر حسن أحمد البشير هو قائد الإنقلاب من خلال البيان الذى أذاعه ، ثم رقّى نفسه إلى رتبة فريق .

اتصلت بوزارة الخارجية الكويتية وأبلغتها أنى سأقطع أجازتى وأعود إلى السودان على أول رحلة بعد أن يفتح مطار الخرطوم لأتابع تطورات الأحداث التى استجدت فى العاصمة السودانية . وعلمت من شركة « لوفتهانزا » الألمانية أن أول رحلة ستقوم بها إلى الخرطوم يوم ٤ يوليو ، أى بعد خمسة أيام من الإنقلاب ، فحجزنا عليها أنا والدكتور حسن وأبلغت الشركة التى اشتريت منها السيارة أن تقوم بشحنها إلى السودان .



قـادة الإنقـلاب :

بعد وصولى الخرطوم فى اليوم الخامس من الإنقلاب علمت أن هذا الإنقلاب قد تم بسرعة وبهدوء تامين وأن جميع السياسيين والحزبيين فى الحكومة السابقة قد أودعوا السجن ما عدا السيد أحمد الميرغنى رئيس مجلس رأس الدولة الذى كان حينذاك خارج السودان ، والسيد الصادق المهدى رئيس الوزراء السابق

والسيد مبارك الفاضل وزير داخليته ، وأن المواطن السودانى استقبل هذا الإنقلاب بهدوء واللامبالاة لأنه كان يتوقعه ، ولن يعلن قادة الإنقلاب حظر تجول فى اليوم الأول من الانقلاب فكان المواطنون يمارسون حياتهم العادية فى العمل وفى الأسواق ، أما حظر التجول فقد أعلن ليلا بحيث يبدأ من الساعة العاشرة حتى الساعة السادسة صباحا ، لذا فإن الفنانين اضطروا إلى إقامة حفلات الأفراح بعد صلاة المغرب ولتنتهى خلال ساعتين حتى يتمكن المدعوون من العودة إلى منازلهم قبل بدء حظر التجول ، على عكس العادة ، حيث كانت الأفراح قبل حظر التجول تستمر أكثرها حتى مطلع الفجر .

أما قادة الإنقلاب وعلى رأسهم العميد عمر حسن أحمد البشير الذى رقّى نفسه منذ اليوم الأول للإنقلاب إلى درجة فريق فقد شكلوا مجلسا أطلقوا عليه اسم « مجلس قيادة الثورة للإنقاذ الوطنى » .. ولم أكن أعرف قائد الإنقلاب ولا زملاءه من قبل باستثناء العقيد طيار فيصل مدنى الذى تعرفت عليه خلال زيارتى للإقليم الشرقى ، حيث كان معنا بالطائرة العمودية التى أقلتنا من مطار الخرطوم إلى بورسودان . كما أعرف الضباط الجنوبيين الثلاثة الذين تم اختيارهم كأعضاء فى مجلس قيادة الثورة لأسباب اقليمية ، وهم العميد « بيوبيوكوان »★ ، من اقليم أعالى النيل ، والعميد « دومنيك كاسيانو » من إقليم الإستوائية ، والعقيد « مارتن ملوال » من إقليم بحر الغزال .. وكنت قد التقيت بهم فى جوبا ، وكانوا يزوروننى فى مكتبى بالسفارة . وقد انضم إلى هذا المجلس اللواء الزبير محمد صالح بعد أن أفرج عنه من السجن بعد اعتقاله مع ضباط آخرين ، فى محاولة انقلاب ، قبل انقلاب البشير باسبوعين وعين نائبا لرئيس مجلس قيادة الثورة .

توجهت إلى الفريق عمر البشير رئيس مجلس قيادة الثورة قائد الإنقلاب للتعرف عليه وتقديم التحية له . وعندما التقيت به فى مكتبه قال لى انه يعرفنى . وذكر لى حكاية لقائه بى .. وهى أننى فى إحدى المرات كنت أرتدى الزى السودانى ، وأنا فى سيارتى فى طريقى لتقديم العزاء فى وفاة أحد السودانيين . وحرصت على رفع العلم الكويتى على السيارة حتى يبدو العزاء رسميا وليس فقط بصفتى الشخصية ، فرآنى العميد البشير الذى كان يجلس مع المعزين فدهش لهذا الذى يرتدى الزى السودانى ويركب سيارة السفارة الكويتية وعليها علم الكويت ، فقيل له انه السفير الكويتى ، ومن هنا عرفنى وذكرنى بهذه المناسبة .

(★) توفى عام ١٩٩٠ .

وقلت للفريق عمر البشير اننى سئلت نفس السؤال فى حديث للتليفزيون السودانى كيف أرفع العلم الكويتى على السيارة وألبس الملابس السودانية ، فكانت إجابتى هى أن السفير الكويتى لا ينتمى إلى دولة أجنبية ، وشىء طبيعى أن يرتدى الزى السودانى لأنه زى عربى مشابه للزى الكويتى وأنا أعتز به ، فسفراؤنا والسفراء العرب فى أوروبا بما فيهم الكويتى والسودانى يلبسون الزى الغربى « البدلة » ويرفعون أعلام بلادهم .

اعتقــال السيد الصادق

فى الأيام الأولى للإنقلاب كان قادة الإنقلاب ورجال الأمن يبحثون عن السيد الصادق المهدى بعد أن تم اعتقال عدد كبير من قادة الأحزاب السياسية القدامى ، ولم يبق إلا الصادق المهدى ومبارك الفاضل المهدى وزير الداخلية .

ونما إلى علم الإنقلابيين أن السيد الصادق ومبارك الفاضل كانا موجودين فى حفل عرس ساعة وقوع الانقلاب ، وبالفعل كان مبارك فى حفل عرس ولكن السيد الصادق كان فى بيته ، وأبلغ هاتفيا أن انقلاباً قد وقع ، فعندما حضر رجال الأمن التابعون للإنقلاب ، وطلبوا مقابلته أحس بهم ، وأنهم إنما أتوا للقبض عليه ، فخرج من الباب الخلفى واستطاع أن ينتقل من منزل إلى منزل إلى أن استقر به المطاف فى أحد المنازل بمنطقة الامتداد وسط الخرطوم قرب المطار . وهناك ألقى القبض عليه بعد ثلاثة أيام من الإنقلاب ونقل إلى سجن كوبر وهو سجن كبير فى منطقة « الخرطوم بحرى » وبه مقر لاعتقال السياسيين ، وكان قد سبقه إليه فى اليوم الأول للإنقلاب السيد محمد عثمان الميرغنى زعيم الحزب الاتحادى الديمقراطى ، والدكتور حسن عبدالله الترابى أمين عام الجبهة الإسلامية القومية ، وكل السياسيين والحزبيين ، وانضم إليهم السيد الصادق المهدى الذى بدأ يتفرغ للكتابة فى السجن ، وكانوا يقيمون الصلاة جماعة ثم أفرج عنهم بعد عدة أشهر . ونقل الصادق إلى منزل أحد أصهاره حيث تم تحديد اقامته ، وسمح بعد ذلك للسيد محمد عثمان الميرغنى والدكتور حسن الترابى بحرية الحركة والتنقل ، إلا أن الميرغنى سافر بعد ذلك للعلاج فى لندن .

أما السيد مبارك الفاضل الذى كان فى حفل العرس فقد وصل رجال الأمن إلى مكان الفرح ولكنهم رفضوا اقتحام المنزل حتى لا يروعوا أهل البيت ويفسدوا عليهم أنسهم ، وهذه أخلاق سودانية يجب الاشادة بها ، وظلوا منتظرين فى الخارج ، فشعر السيد مبارك الفاضل الذى كان يشغل منصب وزير الداخلية

فى حكومة الصادق المهدى ، أن هناك حركة غير عادية خارج المنزل وأن هناك حالة فى العاصمة تشبه الإنقلاب ، وكان الوقت هو منتصف الليل فخرج من باب آخر إلى الشارع ولم يشاهده رجال الأمن ، واستقل سيارة اختفت به ولم يتمكن رجال الأمن من إلقاء القبض عليه ، واستمر البحث عنه لكنه استطاع أن يهرب إلى غرب السودان ، ويعبر الحدود إلى ليبيا ، ومنها إلى لندن .

ومبارك الفاضل هو حفيد المهدى تسلم أول منصب سياسى له فى حكومة الصادق المهدى وتقلد عددا من الوزارات منها وزارة الصناعة ووزارة الداخلية ووزارة التجارة والاقتصاد ، وهو أحد الذين كانوا متحمسين لفض الإئتلاف مع الحزب الإتحادى الديمقراطى والتعاون مع الجبهة الاسلامية ، يؤيده فى ذلك آخرون من أعضاء المكتب السياسى لحزب الأمة هم الدكتور عمر نور الدايم وزير المالية والبروفيسور الشيخ محجوب وزير التربية والتعليم والاستاذ عبد الله محمد أحمد وزير الإعلام ونصر الدين الهادى من أعضاء المكتب السياسى لحزب الأمة .



أنشـــطة اللجـــان :

بدأت الحكومة الجديدة منذ الأسبوع الأول للإنقلاب تأخذ موقعها وتمارس عملها ، وبدأت الدول الأخرى تتعامل معها كنظام جديد ، واعتبر ذلك عملا من الشئون الداخلية للسودان . وكنا نحن كسفراء نتابع الأحداث ونبحث فى شخصيات الإنقلابيين لنتعرف على هويتهم السياسية ، واتضح لنا فيما بعد أن معظمهم ينتمون إلى الجبهة الاسلامية . واتضح أيضا أن اعتقال الدكتور الترابى كان نوعا من التغطية على هوية الانقلاب ، بأنه لا ينتمى للجبهة الإسلامية . وظل أعضاء مجلس قيادة الثورة الجدد يدلون بتصريحات للصحف فى الداخل والخارج بأنه لا علاقة لهم بالجبهة الإسلامية كحزب ، ولكن رجال هذا الحزب الإسلاميين هم الذين وقفوا وأعلنوا تأييدهم للثورة بعكس قادة الأحزاب الأخرى الذين أعلنوا معارضتهم ، وبالتالى لا سبيل أمام مجلس قيادة الثورة إلا التعاون مع هؤلاء الإسلاميين بأشخاصهم وليس لكونهم حزبيين .

وكانت صحف الجبهة مثل « الراية » و « ألوان » تبشر بوقوع مثل هذا الإنقلاب ، فقد نشرت صحيفة « ألوان » يوم ٢٥ يونيو ١٩٨٩م صورة لرئيس

الحزب الاتحادى الديمقراطى السيد محمد عثمان الميرغنى ، وكتبت تحتها « إن يوم ٣٠ يونيو ليس ببعيد » ، وهو اليوم الذى حدث فيه الإنقلاب فعلا(★) .

بدأ مجلس قيادة الثورة فى ممارسة عمله فشكل لجاناً وزعت على بعض أعضاء المجلس ، مثل لجنة السلام لمؤتمر الحوار الوطنى ، واللجنة السياسية ، واللجنة الاقتصادية ، ولجنة للإعلام وعين الأعضاء الآخرون فى مناصب مشرفين سياسيين على الأقاليم ، ونشطت هذه اللجان فى أعمالها ، وعقدت لجنة السلام التى ترأسها العقيد محمد الأمين خليفة عضو مجلس قيادة الثورة مؤتمراً للحوار الوطنى من أجل السلام ، ودعا إلى هذه الإجتماعات كل الفئات السودانية الشمالية والجنوبية ، مسلمين ومسيحيين ، ضمت حوالى ٣٠٠ شخصاً خصصت لبحث مشكلة الجنوب ووضع برنامج لتحقيق السلام .

كما عقدت اللجنة الاقتصادية واللجنة السياسية مؤتمرات متواصلة بقاعة الصداقة التى تتعدد فيها القاعات الكبيرة والصغيرة ، (وبها مقر لرئيس الدولة به جناح خاص يتسع له ولكبار مساعديه وللوزراء ، ويلتقى المسئولون فى هذا الجناح قبل بدء الاجتماعات) .

نشطت هذه اللجان فى عقد الاجتماعات والمؤتمرات ولم يكن قد مضى على الإنقلاب أكثر من ثلاثة شهور ، وكنا نحن السفراء نُدعى لحضور هذه الإجتماعات التى تعددت وكثرت إلى حد أننا لم نكن نستطيع تلبيتها كلها ، وطلبنا من وزارة الخارجية أن تنسق معنا فى ترتيب هذه الدعوات بحيث لا نحضر إلا الإجتماعات الهامة التى يحضرها رئيس مجلس قيادة الثورة أو من ينوب عنه ، وبعد أن استتب لقادة الإنقلاب الأمر قَبِلَ أن يتعاون معها الدكتور حسين أبو صالح من الحزب الإتحادى الديمقراطى الذى عين وزيراً للاشغال العامة وكان وزيرا فى حكومة السيد الصادق المهدى ، والأستاذ عبد الله محمد أحمد من حزب الأمة وزيراً فى عهد السيد الصادق ، والسيد عثمان عبد القادر عبد اللطيف من حزب الأمة كان حاكما للإقليم الأوسط فى عهد السيد الصادق المهدى عين فى منصب مستشار فى اللجنة السياسية بدرجة وزير وهى اللجنة التى يرأسها العميد عثمان أحمد حسن أحد أعضاء مجلس قيادة الثورة .

★ ★ ★

(★) علمت فيما بعد أن العميد عمر البشير اجتمع يوم الخميس السابق للإنقلاب مع السيد على عثمان محمد طه زعيم المعارضة ، نائب الأمين العام للجبهة الاسلامية فى مكتبه بالجمعية التأسيسية لمدة أكثر من ساعتين ونصف ، وبعد الاجتماع استدعى السيد على عثمان سائقه وطلب منه ان يتوجه لينقل أسرته إلى منزل آخر يقع بعيداً عن الخرطوم وأن يبلغ الأسرة بعدم العودة إلى ان يحضر هو لهم بنفسه .

مساعدات عربيــة :

تدفقت المساعدات والمعونات من الدول العربية على السودان بعد وقوع الانقلاب ، وقامت الطائرات العسكرية فى هذه الدول بنقل مواد كان السودان فى حاجة إليها مثل المواد الغذائية ، واستمرت هذه المساعدات تتدفق على السودان لمدة أشهر ، وتوقفت بعد أن شعرت كل دولة شقيقة وصديقة أنها قدمت ما عليها ، خاصة أن الحكومة السودانية لم تطلب المزيد . وكان السودان فى حاجة إلى هذا النوع من المعونات خاصة بعد الجفاف الذى تعرضت له بعض المناطق السودانية فى أواخر أيام حكومة الصادق المهدى ، وأن هذا الدعم قُدِّم بناء على طلب مجلس قيادة الثورة . ولكن لما توقفت الدول عن تقديم المزيد من العون . فَسَّرَ السياسيون السودانيون ذلك بأن العالم قدْ عرف أن قادة الإنقلاب من الجبهة الإسلامية فأوقفوا الدعم عنهم .

وفى هذه الأثناء زارنى أحد السياسيين البارزين فى الجبهة الإسلامية وهو صديق ألتقى به دائماً ، وكان يحرص على تلبية دعواتى وهو السيد على عثمان محمد طه وكان زعيم المعارضة فى الجمعية التأسيسية فى حكومة السيد الصادق قبل أن ينسحب الحزب الإتحادى من الحكم ، وسألنى فى زيارته هذه : لماذا توقفت الدول العربية عن تقديم الدعم للحكومة الحالية وهى حكومة شابة ونشطة ، وقال لو افترضنا أن الجبهة الإسلامية تقف خلف هؤلاء الضباط. لماذا لا تعطى الجبهة الفرصة ، فربما تكون أحسن وأفضل من كل الحكومات السابقة .

قلت له هل أجيبك بصفتى أخ وصديق أم بصفتى الرسمية كسفير ؟ قال : بصفتك الأخ والصديق لأنه يهمنى أن أعرف رأيك الشخصى .

قلت : ان الجبهة الإسلامية حزب سياسى قائم على الدين ، وشعار هذا الحزب هو اسقاط كافة الأنظمة الحاكمة وقيام الدولة الإسلامية ، وبالتالى هب أنك أتيت بشتلة شجرة (نيم)(★) صغيرة وغرستها تحت جدار بيتك وأنت تعلم أنها بعد أن تنمو وتكبر سوف تهدم هذا الحائط .. أكنت تغرسها ؟!

قال :

ـ أكتفى بهذا .. فهمت قصدك .

★ ★ ★

(★) شجرة النيم من أكثر الأشجار انتشاراً فى السودان وتعيش سنين طويلة ، وتمتد جذورها إلى مواقع المياه تحت الأرض ، ويصل قطر ساقها نحو مترين أو أكثر .

إعـدام شـــاب :

أثرت الحرب فى الجنوب بين جماعة « جون قرنق » والقوات الحكومية منذ عام ١٩٨٣ على الأوضاع الإقتصادية فى السودان ، وانعكس على قيمة العملة السودانية فى العاصمة . كان سعر الجنيه السودانى قبل معارك الجنوب يقترب من سعر الدولار ، لكنه بعد ذلك بدأ يتراجع . وأجريت عليه تخفيضات فيما يسمى « سعر الصرف » وعندما خرج الرئيس السابق جعفر نميرى من السلطة على أثر الإنتفاضة الشعبية فى مارس ـ أبريل ١٩٨٥ م كان سعر الدولار قد وصل إلى خمسة جنيهات فى السوق السوداء بينما كان سعره الرسمى جنيهين ونصف جنيه تقريباً . وظل التدهور مستمراً حتى وصل سعر الدولار إلى أربعين جنيهاً عندما تسلم ضباط الجيش السلطة فى انقلاب يونية ١٩٨٩م .

وكان تدهور الجنيه السودانى انعكاساً مباشراً لتدهور الأوضاع الإقتصادية وازدياد حجم التضخم . وكانت الحكومات السابقة تمنع الإتجار فى النقد وكانت أجهزة الأمن تطارد الذين يتاجرون فى العملات الأجنبية والمتخذين من الوقوف فى الشوارع مقراً لهم ، وأكثرهم يعمل لحساب تجار كبار وكان من يقبض عليه يسجن ، وبعد أن يطلق سراحه يعود من جديد لامتهان هذا العمل غير المشروع ، بينما يقوم كبار التجار بتهريب ما جمعوه من دولارات إلى الخارج .

ولقد أقضّت هذه المشكلة مضاجع الحكومات المتعاقبة على السودان . وكنوع من الإجراء الوقائى لمعالجة المشكلة أصدر السيد الصادق المهدى فى فترة حكمه قراراً بفتح محلات للصرافة والسماح ببيع وتداول العملات الأجنبية .

وبعد قيام ثورة الإنقاذ ، أصدرت اللجنة الإقتصادية قراراً بإغلاق هذه المحلات ومنع الإتجار بالعملات الأجنبية ، واتخذت إجراءات تقضى بأن كل من يلقى القبض عليه متلبسا بالإتجار أو تهريب العملة يحكم عليه بعقوبات تصل إلى الإعدام .

وبعد هذه القرارات ، بلغ سلطات الأمن أن هناك منزلا فيه نقد أجنبى فقامت بمداهمته وتفتيشه ، فعثرت على خزانة حديدية بداخلها حوالى مائة ألف دولاراً وبعض العملات الأخرى . وأبلغهم الشاب الذى يسكن هذا البيت مع أسرته ويدعى « مجدى محجوب محمد أحمد » ، أن هذه الخزانة بما فيها موروثة عن والده المتوفى ، وهى تخص الأسرة كلها ، إلا أن رجال الأمن اقتادوه إلى التحقيق واعتبروا ذلك من جرائم المال التى ينطبق عليها عقوبة الإعدام ، وفشل

محاميه فى أن يخفف عنه الحكم بدعاوى قانونية تثبت أن هذا الشاب لم يقبض عليه وهو يتاجر بها أو يحاول تهريبها إلى الخارج ، لكن كان لدى المحكمة اقتناع أنه كان يتاجر فى العملة من منزله .

كان الحكم بالإعدام على هذا الشاب صدمة للرأى العام السودانى ، فالحكم قاس إلى أقصى حد . وكان يمكن اعتقاله ومصادرة هذه الأموال والمنزل وحتى الحكم عليه بالسجن المؤبد خير من إزهاق روحه بإعدامه ..! فقد كان ذلك أمرا أثار الرعب لدى المواطنين إلى حد أن بعض السفراء الأجانب تدخلوا لدى الحكومة مطالبين بتخفيف الحكم .. ولم يشفع لهم .

وفى اليوم الذى تحدد فيه تنفيذ حكم الإعدام ليلا فى الشاب ، أى بعد ساعات حظر التجول التى تبدأ اعتباراً من الساعة الحادية عشرة مساء ، جاء فى عصر ذلك اليوم صديقان سودانيان ليسا من أقارب الشاب هما السيدان الدكتور بشير البكرى(★) ، ومأمون أحمد مكى عبده(★ ★) ، ورجوانى لما لدى من علاقات طيبة مع الفريق عمر البشير وأعضاء مجلس قيادة الثورة أن أبذل مسعاى لعلى أوفق فى تخفيف الحكم ، وأن أسرته مستعدة لدفع أى مبلغ كتعويض غير المبلغ الذى تمت مصادرته . فلم أتأخر ، وهما معى .. رفعت سماعة الهاتف واتصلت مباشرة بالقصر الجمهورى فرد على موظف فى القصر وأبلغته أنى سفير الكويت وأرغب فى مقابلة الفريق البشير ، لقاءاً شخصياً ، الآن إن أمكن أو فى أى وقت خلال هذا المساء . فقال إنه لا يعرف أين الفريق الان ، وأنه سوف يتصل بى بعد أن يجرى اتصالاته ويعلم ان كان الفريق سيقابلنى . وبعد قليل اتصل بى الموظف ، ولا يزال الصديقان معى ، ليتأكد أننى الذى سبق أن اتصلت به ولم يفدنى بشىء . ولما تأخر الرد بدأت أجرى اتصالات أخرى مع القيادة بحثا عن الفريق البشير ، وكان الرد أنهم لا يعلمون مكان تواجده .

وبعد ساعة من المحاولات المتكررة فى الاتصال ، أبلغنى موظف القصر أننى إذا كنت مستعجلا فعلىّ الاتصال بوزارة الخارجية لتحدد لى موعدا . قال لى ذلك وأنا أعلم أن وزارة الخارجية هى القناة الرسمية التى يمكن لى من خلالها لقاء أى مسئول .. لكن لقائى هذا شخصى ولا يدخل فى الإطار الرسمى لأتصل بوزارة الخارجية . وإنى أعتبر هذا الرَّد ، ردا جميلا مؤدبا من ذلك الشخص ،

(★) سفير سابق ، وأحد السياسيين السودانيين المستقلين البارزين .
(★ ★) رجل أعمال ، وكان والده محافظا لغرب السودان فى عهد الإحتلال البريطانى .

بعد صلاة المغرب توجهت إلى منزل اللواء الزبير محمد صالح نائب الفريق البشير وهو يسكن في حي مدنى ، فقيل لى انه فى القيادة العامة ، ثم طفت على منازل بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة فلم أجد أحدا ، وذهبت إلى مقر القيادة العامة وانتظرت خارج المقر ، وعاد الضابط ليبلغنى أنه لا الفريق البشير ولا اللواء الزبير موجود بالقيادة .

كان يرافقنى فى هذه الجولات أحد الأخوة السودانيين وهو مأمون أحمد مكى عبده ، فقال انه يعرف منزل أحد هؤلاء الضباط وربما يكون موجودا فيه ، فاقترحت عليه أن يذهب هو إليه وأتوجه أنا إلى منزلى فإن وجده يسأله ان كان يوافق على لقائى فربما يكون مشغولا ، وتوجه كل منا كما اتفقنا . وبعد فترة قصيرة وأنا بالمنزل اتصل بى قائلا إن عضو مجلس قيادة الثورة ينتظرك فى الساعة العاشرة مساء .

تنفست الصعداء .. أخيرا وجدت بارقة أمل ربما تنقذ حياة هذا الشاب . فتوجهت إلى منزل عضو مجلس قيادة الثورة ، وكان هو العقيد طيار فيصل مدنى ووجدت معه اللواء طيار معاش الفاتح عبدون(★) الذى كان يشغل فى فترة حكومة الأحزاب السابقة منصب معتمد العاصمة . تحدثت مع العقيد فيصل عن الشاب المحكوم عليه بالإعدام ورجوته أن يتصل الآن بالفريق عمر البشير أو نائبه لتخفيف الحكم ، وأن أسرة الشاب مستعدة لدفع أى مبلغ ، كما أنى مستعد أن اذهب إلى الفريق البشير إذا رغب فى مقابلتى من أجل انقاذ هذا الشاب الذى يوشك حبل المشنقة أن يلتف حول عنقه .

وعدنى العقيد فيصل مدنى خيرا ، وقال لى أنه سيتوجه فى تلك اللحظة للفريق البشير ، وانه سيتصل بى ليبلغنى نتيجة مسعاه ، فقال اللواء الفاتح عبدون أنه سيذهب معه .

عدت إلى منزلى وجلست بجوار الهاتف أنتظر خبرا ربما يعيد لهذا الشاب الأمل فى الحياة .

وفى الساعة الثانية عشرة وخمس دقائق بعد منتصف الليل رن جرس الهاتف ، وإذا بالمتحدث هو الطيار فيصل مدنى الذى قال لى : « يا عبد الله .. لا بأس .. فلكل أجل كتاب » .

(★) من أقطاب الجبهة الاسلامية .

شعرت بأسى .. شكرته .. وأكدت قوله « لكل أجل كتاب » .. ووضعت السماعة » .

بعد هذا الشاب .. أعدم اثنان آخران بنفس التهمة أحدهما مساعد طيار مدنى اسمه جرجس .

محاولة انقلاب :

كان من عادتى فى شهر رمضان أن أقيم خمس حفلات كبيرة للافطار خلال الشهر تتخللها مآدب صغيرة ، أخصص الأولى منها لكبار المسئولين والوزراء والشخصيات البارزة والثانية للسفراء العرب والمسلمين ، والثالثة لرجال الصحافة والإعلام والفن والرابعة لرجال الدين ، والخامسة لعدد من الأصدقاء .

وقد تعودت فى فترة حكم الصادق المهدى أن أترك له تحديد موعد الدعوة والمدعوين ، أما الدعوات الأخرى فقد حددت لها كل يوم خميس . وبعد أن تولى الفريق عمر البشير السلطة لم أغير هذه العادة ووجهت له الدعوة وتركته يختار من يريد ليشاركه فى حفل الافطار وتركت له تحديد الموعد ، فوافق مشكورا على قبول الدعوة وحدد لها يوم ٢٨ رمضان وأسماء الذين سيشاركونه وأن يكون اللقاء عائليا .

كان يوم ٢٨ رمضان يوافق يوم الاثنين الأسبوع الأول أو الثانى فى شهر ابريل ١٩٩٠م ، وفى فجر هذا اليوم وقعت محاولة انقلاب تمكنت السلطة من احباطها قبل الساعة الثامنة صباحا وتم القبض على كل عناصرها ، وكان عددهم ثمانية وعشرون ما بين عسكريين ومدنيين وضباط متقاعدين . كانت الأعصاب فى ذلك اليوم متوترة والكل يسأل عن أسماء هؤلاء الإنقلابيين . وما هو مصيرهم . واتصلت فى الساعة العاشرة صباحا بالقصر الجمهورى لأعرف إن كان الفريق البشير سيلبى دعوتى كما هو محدد سلفا أم لا ، فقالوا لى سنتصل بك لنخبرك . وفى الساعة الثانية عشرة اتصل بى مكتب الفريق البشير وأبلغنى المتحدث أن الرئيس سيحضر فى موعده .

وفى الساعة السادسة قبل موعد الإفطار بقليل حضر الفريق عمر وهو يقود سيارته (التويوتا البيضاء) بنفسه ، ومعه والدته وزوجته وخلفه سيارة أمن بها اثنان من رجال الأمن ومرافقه العسكرى برتبة مقدم ، والعقيد طيار عبد الرحيم حسين ، أمين عام مجلس قيادة الثورة الذى كان يقود سيارته بنفسه .

على الإفطار كان الرجل يتحدث بهدوء عن المحاولة الإنقلابية وأنهم تمكنوا من إحباطها ، وأن العناصر التى قامت بالمحاولة سيجرى محاكمتها ، وذكر لى بعض الأسماء وكان من بينهم « محمد عثمان كرار » حاكم الإقليم الشرقى السابق ، وقال الفريق البشير أن « كرار » قد احتل برج المراقبة بالمطار ، إلا أنه تم إلقاء القبض عليه ومعه طيار آخر ، فلم أحاول مضايقته بكثرة الأسئلة لأنه ضيف فى بيتى وليس من الشيم العربية أن أفسد عليه حق الضيافة أو إحراجه واكتفيت بالإستماع إليه .

وعلمت فى اليوم التالى أن حكم الإعدام قد نفذ فى جميع الانقلابيين فى منطقة وادى سيدنا العسكرية ، شمال العاصمة ، وجرى إعدامهم ليلا بعد ساعات حظر التجول .

وقيل أن أصغر رتبتين فى المجلس العسكرى هما اللذان أشرفا على تنفيذ حكم الإعدام ومعهما ضابط آخر ليس عضواً بالمجلس العسكرى برتبة مقدم ، وأن الذى أطلق النار ضابط أمن برتبة نقيب ، وقد تم التنفيذ بعد محاكمة ميدانية فى نفس الموقع لكل ضابط على حدة إلا أن المداولة كانت تستغرق أقل من خمس دقائق تصدر بعدها المحكمة حكمها . ويذكر أن المحكمة برأت أربعة أو خمسة ضباط من الإشتراك فى محاولة الإنقلاب ، ربما هم أساساً فى جهاز الاستخبارات العسكرية فى حين أعدم اثنان معهم كانا مسجونين قبل محاولة الإنقلاب هذه بأسبوع .

حزنت على العميد طيار محمد عثمان كرار فقد كان صديقا ودودا لى ، وكان يزورنى كثيرا فى منزلى ومكتبى عندما كان حاكما للإقليم الشرقى ، وعلمت أن قائد هذه المحاولة الانقلابية هو اللواء طيار معاش خالد الزين ، ويقال انه ينتمى إلى حزب البعث العراقى ، وإن إذاعة بغداد قد نعته بعد إعدامه ووصفته بالرفيق الشهيد .

★ ★ ★

الصحافة بعد انقلاب يونيو :

ألغت حكومة الفريق البشير امتيازات الصحف السابقة ، واحتفظت بصحيفة « القوات المسلحة » التى تطبع فى المطبعة العسكرية ، وأصدرت جريدتين حكوميتين ، الأولى باسم « الإنقاذ الوطنى » والأخرى باسم « السودان الحديث » . وتم تعيين رؤساء مجالس إدارة للجريدتين ، كل منهما بدرجة وزير

دولة ، وأسندت رئاسة جريدة « الانقاذ » للأستاذ محيى الدين تيتاوى (رئيس المكتب الإعلامى بالجبهة الاسلامية) ، وكان يرأس جريدة « الأسبوع » فى فترة حكومة الأحزاب . وأسندت رئاسة الجريدة الأخرى للاستاذ محمد سعيد معروف وهو صحفى مستقل وغير حزبى .

★ ★ ★

المجلس الأربعينى :

يذكر أن هناك مجلساً غير معلن يسمى المجلس الأربعينى تشكل بعد ثورة الإنقاذ، ويضم أربعين شخصية معظمهم من السياسيين وقليل منهم من العسكريين وكلهم من عناصر الجبهة الإسلامية . ويذكر أن هذا المجلس هو الذى يحكم السودان عملياً ، حيث يجتمع بعد ساعات حظر التجول ليلا ويضع الخطط والإستراتيجيات الواجب اتباعها يومياً .

ويقال أن الذى يرأس هذا المجلس هو ضابط برتبة عقيد يحتل موقعا سياسيا هاماً .

★ ★ ★



آخر زميلين كانا معى فى السفارة قبل مغادرتى لها نهائيا المستشار محمد صالح إبراهيم الناصر والسيد وليد يعقوب الماجد ، يستقبلان المهنئين فى حفل العيد الوطنى الكويتى فبراير ١٩٩٠ م



مع الفريق عمر حسن أحمد البشير رئيس المجلس العسكري لثورة الإنقاذ الوطني في منزلي في حفل إفطار رمضان الذي أقمته على شرفه . أبريل ١٩٩٠م

الباب الرابع

السودان ..
والغزو العراقى للكويت

الفصل الثامن

الأيام الأولى للغزو

الفصــل الثــامن
الأيــام الأولى للغزو

في عام ١٩٨٩ اتفقت مع زوجتي أن نؤدى معا فريضة الحج ، وحددنا موعد السفر قبل يومين من بدء المناسك .. وسافرت هي إلى الكويت للإعداد لهذه الزيارة المقدسة ، وكان من المتفق عليه أن تعود إلى الخرطوم ثم نسافر معا إلى الحج ، لكن الأقدار شاءت أن تجرى الأمور على غير ذلك .. فعندما وصلت زوجتي إلي الكويت شعرت بآلام دخلت على أثرها مستشفى (الصباح) ونصحها الأطباء بإجراء عملية جراحية .. ولم أكن أعلم بذلك إلا عندما اتصلت بي يوم ٢٥ مايو ١٩٨٩ ، فبادرتها بالسؤال عن موعد وصولها خاصة وأنني حجزت المقاعد إلى جدة ، واتصلت بأقاربنا هناك(★) وأبلغتهم أننا سوف نحج معهم هذا العام فقالت لي : لا تتعجل لأنني الآن في المستشفى واني خائفة .

استأذنت حكومتي لمنحي إجازة للإطمئنان على صحة زوجتي ووصلت الكويت .. وتوجهت على الفور الى المستشفى ، وهناك علمت أن زوجتي تحتاج الى إجراء عملية جراحية وهي مترددة وقلقة ، وترغب في إجرائها بالخارج ،، وبالفعل قمت بالإتصال بألمانيا ، وحجزت لها في أحد المستشفيات هناك وسافرت معها ، وكان الشيخ صباح الأحمد نائب رئيس الوزراء وزير الخارجية كريما معي حيث وجه أن تتحمل الحكومة نفقات العلاج والسفر .

أدخلت زوجتي المستشفى يوم ١٩ يونيو ، وبعد إجراء بعض الفحوص الطبية أجريت لها عملية ، تمت بنجاح بفضل الله .

وفي يوم ١٥ يوليو ، أي بعد نحو شهر ، قررت العودة إلى الكويت لآخذ ابني « نواف » البالغ من العمر أحد عشر عاما للسفر إلي الخرطوم ، وإلحاقه بالمدرسة التي من المقرر أن تبدأ في السابع من أغسطس على أن أعود في الخامس من أغسطس إلى ألمانيا لألحق بزوجتي ، وطلبت من ابني الأكبر « صالح » أن يتوجه إلى ألمانيا ليكون بجوار والدته .

(★) عائلة « المربع » عائلة كبيرة يعيش ثلثها في الكويت ، وثلثاها في المملكة العربية السعودية موزعين في كافة المدن السعودية في شرق وغرب ووسط المملكة .

وهكذا سافرت أنا وابنى الأصغر إلى الخرطوم يوم الأحد ٢٩ يوليو ليكون مستعدا للمدرسة ، واتفقد أنا احوال السفارة حتى موعد السفر .

وفى يوم الأربعاء الأول من أغسطس زارنى بعض الزملاء من السفراء فى مكتبى للتحية ، وكان من بينهم السيد طارق يحيى سفير العراق فى الخرطوم . وفى هذا الوقت كان العراق قد فجر موقفا مفاجئا فى مذكرته للجامعة العربية ، ولا أعتقد أن أى مواطن كويتى كان يظن أن مذكرة كهذه ستخرج من بغداد ، وتتهم فيها الكويت ودولة الإمارات بشكل أو بآخر بسرقة البترول ، والتسبب فى تخفيض أسعار النفط . وعندما زارنى السفير العراقى كان يقول وسط هذا الجو الإعلامى الساخن .

ـ يا عبد الله .. نحن أهل وأشقاء .. ولا تتوقع أن يحدث أى شيء للكويت .. فما قدمته الكويت للعراق لا يمكن أن يتجاهله أى عراقى .

شعرت أنه صادق فيما يقول لأن القرارات السياسية التى يخطط لها صدام حسين لا يطلع عليها أى سفير أو مسئول . وكان السفير العراقى مجاملا لى ، وكأنه يعتذر لى سلفا عما سيفعله رئيسه ويخفف القلق الذى بدأ يشعر به كل كويتى .

وكنت أسائل نفسى : لماذا يفعل صدام حسين كل ذلك ، ويتخذ هذا الموقف ؟ .. وقلت انه ربما يمهد لاحتلال جزيرتى « وربه » و « بوبيان » الواقعتين فى أقصى شمال الكويت على الحدود العراقية والإستيلاء على حقل (الرميلة) الذى أشار اليه فى مذكرته الى الجامعة العربية .. ليساوم عليهم ابتزازا للمال لتحسين وضع بلاده المادى المتردى .

اليوم الأول للغزو :

لكن الطامة الكبرى جرت بغير توقع فى اليوم التالى حيث جاءنا النبأ فى صباح يوم الخميس الثانى من أغسطس أن العراق قد غزا الكويت ، وأن قواته قد شارفت على مداخل العاصمة .

كان النبأ كالصاعقة .. الى حد أن أحدا لم يكن يصدق .

اتصلت بالكويت .. وكانت الإتصالات الهاتفية فى اليوم الأول مع الكويت لم تنقطع ، وتأكد لى النبأ .. قال لى من اتصلت بهم أن القوات العراقية دخلت البلاد فعلا ، وهى الآن على مشارف وزارة الدفاع التى تبعد ثمانية كيلو مترات عن العاصمة ، وأن هناك إنزالا جويا .. وكنا نستمع فى اليوم الأول للغزو إلى اذاعة

الكويت وهى تصف هول الموقف الذى يشاهدونه ويتعرضون له ، والقوات الغازية تتقدم مقتحمة الشوارع والمنازل والدواوين الحكومية .

أدركت فداحة الخطر ، وفى ذلك اليوم حضر عندى مواطنان كويتيان وهما فى دهشة بالغة ، أحدهما هو السيد موسى أبو طالب العضو المنتدب للشركات الكويتية المستثمرة فى السودان ، وسألانى هل ما يقال عن الغزو العراقى صحيح ؟ فأكدت لهما - للأسف - ذلك ، وطلبت منهما أن يتركا الفندق ويأتيا للاقامة معى ، فالظروف غير معروفة وقد تطول فترة الغزو والإقامة بالفندق مكلفة ماديا ، فى نفس الوقت اتصلت بوزارة الخارجية الكويتية بواسطة (التلكس) وأفدتها بأننى قد قطعت إجازتى لأتابع من موقعى هنا تطورات الأحداث معهم ، وحتى هذه اللحظة كنت أتوقع أن هذه القوات تهدف إلى إثارة الذعر والبلبلة لدى الكويتيين ، وترويع الآمنين فى منازلهم ، ثم تنسحب فى اليوم التالى أو الذى يليه .

وكانت القوات العراقية فى اليوم الأول قد احتلت كل الكويت وقوبلت بمقاومة من أفراد القوات المسلحة الكويتية من الجنود والضباط الذين كانوا فى ثكناتهم وأظهروا مقاومة باسلة إلا أن الأعداد الضخمة من القوات العراقية التى دخلت ، كانت اكبر بكثير من قدراتهم إضافة الى أنهم فوجئوا ولم يكونوا مستعدين لمثل هذه المواجهة ، فقد بلغ عدد القوات العراقية التى دخلت الكويت نحو مائة وخمسين الف جندى وضابط ، ومعها ثلاثة آلاف وخمسمائة دبابة .

كان اليوم الأول للغزو هو يوم خميس ، واختيار هذا اليوم لم يأت عفويا فالكويت ، ضباطا ومدنيين يعملون فى هذا اليوم نصف دوام فقط ، ويأتى الموظفون الى مكاتبهم متأخرين .. هذا بالاضافة الى أنه خلال الشهرين السابع والثامن من كل عام يكون كثير من الكويتيين فى إجازات بالخارج بما فيهم بعض كبار المسئولين والضباط .. فاختيار فجر الخميس الثانى من أغسطس للغزو كان اختيارا مخططا ومدروسا من قبل العراقيين .

اليـوم الثانى :

وفى يوم الجمعة الثالث من أغسطس ، كان يمكننا التقاط بعض الإتصالات الهاتفية مع الكويت التى كانت تنقل لنا تطورات أكثر إيلاما وإزعاجا .. وكانوا يصفون لنا وحشية الغزاة وتسلطهم وقيامهم بقتل الأبرياء وانتهاك حرمات البيوت وسرقة المحلات التجارية .. وكنت أنا وزميلى المستشار بالسفارة السيد محمد

صالح ابراهيم الناصر نتبادل النظرات ، وكلانا يستشعر فى داخلهِ كابوسا ثقيلا يخيم على صدره .. وكان معنا السيد موسى أبو طالب أما زميله الآخر فقد سافر إلى جدة فى هذا اليوم .

اليوم الثـــالث :

وفى يوم السبت الرابع من أغسطس ، الثالث من أيام الغزو سافر موسى أبو طالب وبقيت أنا وزميلى المستشار بالسفارة حين دخل علينا المشير معاش عبدالرحمن محمد سوار الذهب كبير أمناء منظمة الدعوة الاسلامية ومعه السيد مبارك قسم الله مدير المنظمة ، والدكتور الأمين عثمان المدير التنفيذى للمنظمة ، وتحدث معى المشير سوار الذهب حديثا أخويا واستنكر الغزو العراقى للكويت ، وأراد أن يعرف منى حقيقة الوضع فى الداخل ، وما يتعلق بسمو الأمير ، فقلت له ان الحكومة الكويتية وأميرها باقية وتمارس شرعيتها ، وهى موجودة الآن فى المملكة العربية السعودية ، ولكن الوضع داخل الكويت غاية فى السوء .

وسألنى السيد مبارك قسم الله عن السيد محمد الحمضان وزير الأوقاف الذى تربطه به علاقة صداقة ، وكنت فى ذلك الوقت لا أفكر فى أشخاص ، ولكن أفكر فى الكويت التى احتلت والشعب الذى يُشَرَّدْ .. فقلت له :

ـ لا أستطيع أن أجيبك الآن .. لأن المهم الآن هو الكويت .. إن زوجتى أجريت لها عملية جراحية فى المانيا ، ولم أسأل أو أحاول أن أتصل بها .. لأن الكويت الآن هى الأهم .

كذلك زارنى بعض السفراء العرب والأجانب وكان بينهم الأردنى واليمنى ، وكانا متعاطفين معى فى أول الأمر ، وبعد أن اتضحت مواقف حكوماتهم أخذوا موقفاً مؤيداً لحكوماتهم ، وما قطعا صلتهم بى .

وقد استفسر السفراء عما حدث ، وكان من بينهم السيد أبو رجائى سفير دولة فلسطين الذى فاجأنى بما سمعته منه ، وكنت أعتقد أنه جاء لمواساتى .. فقد قال أنه يكبر فى قوميتى وعروبتى ، وأن علىّ أن أرضَ بما حدث ، لأن الأمة العربية كلها فيما بعد سوف تتوحد ، وأن الوحدة ربما قد تكون بدأت الآن من الكويت .

وبدا لى كما لو أنه يدعونى أن أعلن وأوافق على الغزو العراقى لبلدى .. فقلت له وأنا أحاول أن أتماسك :

ـ يا أخ أبو رجائى .. لم أكن أتوقع منك ذلك .. لا أعرف كيف تصور ذلك وتقول ما تقول .. وسألت نفسى : أهو مكلف من قبل السفارة العراقية فى الخرطوم ؟ ، وهل يرى أن ما حدث موقفا قوميا !! .. أى قومية وأى عروبة هذه التى يتحدث عنها ؟ .. وهل تتحقق الوحدة العربية بقوة السلاح ؟ وهل تتحقق بأن يدخل بيتك مغتصب ويسرقك ، ويقول لك اننى جئت من أجل العروبة والوحدة ؟ . لقد جاء صدام غازيا وسارقا ومحتلا بالقوة وأن قواته تقتل وتشرد المواطنين والمقيمين على السواء .. فأى عروبة وقومية هذه ؟

ان قومية وعروبة الشعب الكويتى لا تحتاج إلى برهان ، فأيادى الكويت البيضاء ممدودة بدون من ولا أذى فى دول عربية وغير عربية ، فالصندوق الكويتى للتنمية الذى رصدت له الحكومة ثلاثة آلاف مليون دولاراً لتقديم القروض فى مجال التنمية لدول شقيقة وصديقة ، لا يحتاج إلى برهان ، وكذلك الجمعيات الخيرية الكويتية التى تجمع التبرعات من الحكومة ومن المواطنين لتقديم العون والمساعدات لدول آسيوية وأفريقية طواعية وبدون أى دعاية أو أضواء .

وعلى سبيل المثال فان ما أنفقته الهيئة العامة للجنوب والخليج العربى فى اليمن الشمالى ، فى مجال التعليم والصحة هبة من الشعب الكويتى ، منذ أن تأسس مكتب الكويت فى صنعاء عام ١٩٦٣ وحتى عام ١٩٩٠ بلغ حوالى ٣٣٠ مليون دولاراً وبلغ مجموع ما قدم المكتب فى اليمن الجنوبى فى عدن قبل الوحدة اليمنية منذ عام ١٩٧٠ وحتى عام ١٩٩٠ نحو ١٣٦ مليون دولاراً ، وقدم مكتب الكويت فى جوبا بجنوب السودان منذ عام ١٩٧٣ حتى ١٩٨٦(★) نحو ٩ ملايين دولاراً .

وتتعاقد الهيئة مع مدرسين وأطباء من مصر للعمل فى اليمنين قبل الوحدة ، وترى قومية الكويت أيضا فى الضريبة على تذاكر السينما بزيادة ٢٥ بالمائة لصالح الثورة الجزائرية قبل استقلال الجزائر وبعد الإستقلال بعدة سنوات ، وتراها فى منظمة « فتح » التى يرأسها السيد ياسر عرفات حيث انبثقت وتكونت فى الستينات فى مبنى بلدية الكويت التى كان يعمل فيها السيد عرفات مهندساً ، وكل زملائه فى منظمة فتح كانوا مهندسين فيها ، وأن فهد الأحمد الصباح وهو

(★) توقف العمل فى المكتب عام ١٩٨٧ بسبب الحرب فى الجنوب التى بدأت عام ١٩٨٣ لعدم تمكنه من جلب مواد البناء التى كان يستوردها من كينيا .

ضابط فى الجيش الكويتى برتبة ملازم أول فى الستينات ، استقال من وظيفته وانضم الى طلائع منظمة فتح فى الأراضى المحتلة ليقاتل معها ، وفى إحدى الغارات التى شارك فيها على موقع للقوات الإسرائيلية أصابته رصاصة اخترقت فخذه الأيمن أطلعنى على أثرها ، وهكذا لم يشأ له الله أن يستشهد على أيد يهودية ، وشاء له أن يستشهد على تراب وطنه بأيد عربية عراقية فى الثانى من أغسطس ، اليوم الأول للغزو .

هذه قومية وعروبة أهل الكويت أميرا وحكومة وشعبا لا نمن بها على أحد ، ولكننا نقول أن ما أصاب كويتنا لا يمت إلى القومية أو العروبة بصلة .

لم يوفق (أبو رجائى) فى زيارته ، وتألمت لما سمعته منه ، والغريب أن الذى سمعته من أبو رجائى فى الخرطوم تعرض له مواطن كويتى آخر ، هو الأديب عبد الرازق البصير ، فقد استمعت اليه بعد التحرير فى مقابلة تليفزيونية أجراها معه تليفزيون الكويت ، يروى أن العراقيين فى الكويت أثناء الإحتلال قالوا له نفس ما قاله لى (أبو رجائى) .. إذن هو عمل وإعلام موجه منذ اللحظة الأولى لفرض أمر قد وقع ، وأن على الكويتيين قبوله .

فى هذا اليوم حضر الى مكتبى الفريق معاش عبد العظيم صديق ، الذى كان قد التحق خبيرا بوزارة الدفاع الكويتية .. وقال لى فى حماس واضح أن مكانه ليس هنا فى الخرطوم ، وإنما يجب أن يكون فى هذا الوقت بالذات مع الجنود الكويتيين الذين خرجوا إلى الأراضى السعودية ، أو مع المقاومة الشعبية بالكويت .. وأمام هذا الحماس الصادق ، الذى كان بعيدا عن المجاملة ، اتصلت بالزميل سفير المملكة العربية السعودية لمنحه تأشيرة دخول الى المملكة ، وسافر بالفعل على نفقته ولكنه عاد الى الخرطوم بعد بضعة أيام لأنه لم يتمكن من الاتصال بالمسئولين الكويتيين الذين وصلوا توا الى الطائف ، ولم ينتظموا فى مكاتب تمكنهم من أن يستقبلوا أحدا واستمر فى الخرطوم على اتصال وحضور دائم الى السفارة .

وفى هذا اليوم جاءنى الأستاذ عبد الله محمد أحمد وزير التربية والتعليم وأبدى تعاطفه مع الكويت ، كما زارنى ثلاثة من أعضاء مجلس قيادة الثورة الذين يمثلون الأقاليم الجنوبية وجنوبيون آخرون من الحكومة وخارجها وشماليون من خارج الحكومة والسيد عثمان عبد القادر عبد اللطيف حاكم الاقليم الأوسط السابق ، مستشار فى اللجنة السياسية ، كل هؤلاء وغيرهم أعلنوا رفضهم للغزو العراقى للكويت .

اليـوم الرابـع

في اليوم الرابع اتصلت بي زوجتي من المستشفى الذى تتعالج فيه في ألمانيا بعد محاولة مضنية دامت يومين لصعوبة فتح الخط الدولى للخرطوم ، وما أن سَمِعَتْ صوتى حتى انفجرت فى البكاء وأخالها تكاد تخرج لى من سماعة الهاتف ، ليس بكاؤها على نفسها بل على ما أصاب بلدها ، وسألتنى ان كنت بخير وهل أنا قادم إليها .. وهل هناك أخبار من الكويت ، فأبلغتها أنه لا تتوفر أنباء حتى الآن .. وأن ابننا «نواف» سوف أبعث به إلى عمته فى الرياض ، وأن عليها أن تطمئن فأنا بخير إلا أنى فى مثل هذا الظرف لا أستطيع أن أسافر إليها وأترك واجباً أهم هو الكويت .

كانت الإتصالات قد انقطعت تماماً مع الكويت فى اليوم الرابع ، وكنت أنا وزميلى في السفارة نشعر بقلق تجاه اخواننا فى الداخل ونحن لا نعلم مصيرهم ، وبدأت الأخبار تصلنا عن طريق وكالات الأنباء ووسائل الإعلام العربية والأجنبية وهى تنقل سلوكيات قوات صدام غير الإنسانية وغير الأخلاقية التى يمارسونها فى الكويت ضد المواطنين العزل هناك ، وعرفنا أن القوات الكويتية انتظمت منذ الساعات الأولى للتصدى لهذا الغزو الغاشم على شكل مقاومة شعبية شارك فيها المواطنون .

ولكن فى هذا الوقت الذى اضطربت فيه نفوسنا وامتلأت صدورنا بالمرارة والقلق كانت الصحف السودانية تنشر الأحداث وتصورها كأنها انقلاب قد وقع فى الكويت ، وكنت أشعر فى عناوين الصحف وبين السطور بالشماتة ، ولم أكن مصدقاً ..هل أنا فعلاً فى السودان الذى كان فى طليعة الدول العربية الذى أرسل بقواته العسكرية عام ١٩٦١ لتقف مع أهل الكويت ضد أطماع عبد الكريم قاسم .. اليوم يتغير ويؤيد الغزو العراقى للكويت ؟!! .. هل هذا هو السودان الذى أعرفه ؟! .. إنى لا أكاد أصدق .. فالكويت هي هي لم تتغير ، كيف يقفون معها عام ١٩٦١ ، ويتنكرون لها عام ١٩٩٠م !!.

إنه موقف أشعر معه بدوار فى رأسى فهذا هو الاعلام السودانى يصور الموقف على أنه أمر واقـع ، فى حين المسـئولين ومجلس قيـادة الثورة لم يصدر عنهم شيء . لم تكن فكرة الإنقلاب هذه يقبلها العقل أو تنطلى على أحد ، فأين أسماء قادة الانقلاب وبياناتهم .. إن البيانات التى أسمعها تقرأ وتذاع وتكتب فى أجهزة الإعلام السودانية تأتى من العراق ، أما الكويت فقد توقف إرسالها الإذاعى ، ونسمع من إذاعات أجنبية هول الموقف فى الكويت ، ونزوح

الكويتيين فى هذه الأيام العصيبة من شهر أغسطس التى تصل درجة الحرارة فى الصحراء وعلى الرمال إلى أكثر من ٥٠ درجة مئوية ، ومع هذا قاد المواطنون سياراتهم فى طرق رملية غير صالحة لمرور السيارات ، إلا أنهم يشعرون أن وعورة هذه الطرق أرحم لهم من بطش قوات الاحتلال لأن الطرق المسفلتة قد أغلقتها القوات الغازية مما جعل كثيراً من هذه السيارات تنغرز عجلاتها فى الرمال فيضطر أصحابها من رجال ونساء وأطفال إلى تركها والسير على الأقدام أو التراص مع آخرين فى سياراتهم .

كيف يكون هذا انقلابا ؟ إنه إحتلال وغزو رهيب .. أما حكاية الإنقلاب هذه فهى خدعة لجأ إليها صدام حسين لامتصاص غضب الرأى العام العربى والعالمى ، وراح يبحث عن مواطن كويتى يقبل أن يكون قائداً وهمياً لثورة زعمها فلم يجد أحداً ورفض الجميع ، وبعض شخصيات المعارضة خرجت من الكويت . وأخيراً جاء صدام بضباط صغار أكبرهم برتبة ملازم ، وقالوا عنهم أنهم قادة الإنقلاب ، وكانوا قد أسروهم فى اليوم الأول للغزو ونقلوهم إلى العراق ، وفرضوا عليهم أن يعلنوا أنهم قادة الإنقلاب ، وألبسوهم الزى الكويتى (الدشداشة والغترة والعقال والبشت) ، وظهروا فى التليفزيون العراقى وهم يقابلون صدام . وكانت الخدعة مكشوفة ، إذ كيف يقوم ضباط بانقلاب فى الكويت ، وفى اليوم الثالث يكونون كلهم فى بغداد يقدمون الشكر للرئيس العراقى على مساعدته لهم ، ثم كيف يبدو هؤلاء بزيهم المدنى وصدام بزيه العسكرى ، والغريب أن أعضاء هذه الحكومة الكويتية المزعومة التى سميت باسم حكومة الكويت الحرة لم ينطقوا بكلمة واحدة سوى الإبتسام للكاميرا وذلك حسب التعليمات التى وجهت لهم ، وإذاعة وتليفزيون بغداد يذيعان البيانات الوهمية باسمهم(★) ، وإذاعة وتليفزيون السودان يرددانها كما هى .

أكذوبة حاكها العراق ليغطى بها أسباب غزوه للكويت ، لكن الإعلام فى الخرطوم قبلها وتعامل معها وأخذها مأخذ الجد ، وردد اسم حكومة الكويت الحرة .. أعلن صدام حسين اكذوبة أخرى بأن قواته ستنسحب يوم الأحد الخامس من أغسطس بعد أن يرسل غداً السبت مائة ألف من القوات الشعبية لتساعد الحكومة الحرة فى استتباب الأمن ، وما أن انتهى نهار يوم السبت حتى كان أفراد

(★) هذه الحكومة المزعومة عادت بعد تحرير الكويت وسلمت نفسها للسلطات الكويتية باستثناء علاء حسين الذى ظل باقياً فى العراق ، وتجرى محاكمته غيابياً أمام محكمة أمن الدولة . وقد اعترف أحدهم أمام المحكمة انهم قبل ثلاث ساعات فقط ابلغوا بأنهم سيقابلون صدام حسين ، نشرت هذه المعلومة جريدة صوت الكويت فى يونيو ١٩٩٢ .

هذه القوات الشعبية قد انتشرت فى كافة أنحاء الكويت ، وفى يوم الأحد .. بدل أن تنسحب القوات العراقية شمالاً إلى بلدها ، اتجهت جنوباً إلى الحدود مع المملكة العربية السعودية ، ومع هذا سارعت وسائل الإعلام السودانية تصور أن العراق سحب قواته لأن الأمن قد استتب لحكومة الكويت الحرة .

يالها من جريمة ارتكبها العراق ، فإذا كان انقلابا قد وقع والشعب يؤيده ، أين هذا الشعب ؟ ، ولماذا يرسل العراق بمائة ألف من القوات الشعبية لحماية ذلك النظام الجديد ؟! ، انه استخفاف بالجماهير !!!

وساعة بعد ساعة كانت أهداف العراق تتضح فى الأيام الأولى من الغزو فهو يريد احتلال الكويت احتلالاً كاملاً ، ففى يوم الأحد صدر بيان من إعلام بغداد يقول أن ما يسمى بحكومة الكويت الحرة قررت توحيد صرف العملتين العراقية والكويتية (بينما الدينار الكويتى يساوى أكثر من عشرة دنانير عراقية) . ثم صدر بيان آخر يعلن أن الحكومة المزعومة قد تقدمت بمذكرة إلى الرئيس العراقى يطالبونه بوحدة فورية بين البلدين ، وكان ذلك بالطبع قراراً عراقيا منفرداً ، لأنه لايوجد فى الواقع حكومة كويتية .. فأعلن مباشرة ضم الكويت للعراق وليس قيام وحدة بينهما . وبعدها أعلن أن الكويت محافظة عراقية تحمل الرقم (١٩) وسماها محافظة « كاظمة » ، وقال ان الفرع قد عاد إلى أصله وأنه لاعودة لشىء اسمه الكويت . وباشر أعوانه المنتشرون فى الكويت فى ذلك الوقت تغيير أسماء الشوارع والمستشفيات ، وعين صدام حسين أعضاء الحكومة الوهمية فى وظيفة مستشارين له بالقصر الجمهورى فى بغداد .

كل هذه الخدع تمت فى أيام قليلة من الغزو ، والإعلام السودانى يذيعها كأنها حقائق فى حين كان الدكتور عبدالرحمن العوضى وزير الدولة لشئون مجلس الوزراء الكويتى الذى كان متواجداً بالقاهرة فى مهمة منذ أيام قد أعلن فى اليوم الثانى للغزو أن حضرة صاحب السمو أمير البلاد وسمو ولى العهد والحكومة الكويتية بخير وأمان ، وموجودون بالمملكة العربية السعودية يمارسون مهامهم من مدينة الطائف .

وفى هذا الصدد أذكر أن صدام حسين عندما علم أن صاحب السمو أمير الكويت وولى العهد وكبار المسئولين فى الأسرة الحاكمة والحكومة الكويتية قد غادروا الكويت منذ الساعات الأولى من الغزو استعداداً لقيادة المواجهة المضادة من قبل الشرعية الكويتية ، قام بإعدام الضباط آمر القوات الخاصة المكلفة بدخول الكويت والقبض على صاحب السمو الأمير وسمو ولى العهد ، وكان برتبة

مقدم ، كما حضر صدام فى الساعة التاسعة من صباح يوم الخميس الثانى من أغسطس ، اليوم الأول للغزو بطائرة عامودية (هيلكوبتر) إلى الحدود العراقية الكويتية ليشهد إعدام مائة وعشرون ضابطاً عراقياً من مختلف الرتب لرفضهم المشاركة فى غزو الكويت .(*)

تحرك على كافة الجبهات

أدركت أن مسئوليتنا كسفراء فى الخارج أن نتصدى للإعلام المضاد المنطلق من بغداد ، وأن أقوم بدور الحكومة كاملًا ، وأن على كل سفير أن يتصرف فى حجم حكومة ، وهذا ما قام به فعلا سفراء الكويت فى الخارج ، وكان عَلَيَّ أن اتحرك على كافة الجبهات لأؤكد شرعية حكومة صاحب السمو وأجابه هذا الإعلام السودانى المضاد ، ففى يوم الأحد الخامس من أغسطس ، وهو اليوم الرابع من الغزو وزعت البيان التالى على وزارة الخارجية السودانية وكافة البعثات الدبلوماسية والمنظمات الدولية المعتمدة فى الخرطوم والصحف ووسائل الإعلام المحلية ومراسلى الإعلام الخارجى :

بسم الله الرحمن الرحيم

سفارة دولة الكويت

الخرطـوم

الرقـم :

التاريخ : ١٩٩٠/٨/٥

« عاجـل جـداً »

بيــان

صادر عن سفارة دولة الكويت فى الخرطوم

تندد سفارة دولة الكويت فى الخرطوم بما يسمى بالحكومة الكويتية الجديدة التى شكلها النظام العراقى المعتدى ، وتؤكد بأن الشعب الكويتى لا يمكن أن يعير هذه الحكومة المزعومة أى اهتمام لأنها إفراز مرفوض من إفرازات غزو النظام العراقى الآثم على الكويت والذى شجبه واستنكره العالم كله .

(★) المرجع « مجلة المجلة » فى عددها رقم (٥٧٠) ٩ ـ ١٥ يناير كانون الثانى ١٩٩١م مقابلة اجرتها المجلة مع « كريم عبد الله الجبورى » أحد أهم ضباط مجموعة صدام حسين حيث كان يطلق عليه « رجل المهمات السرية » .

وتؤكد السفارة ولاءها لحكومة حضرة صاحب السمو الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح أمير دولة الكويت والتى يرأسها سمو الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح ولى العهد رئيس مجلس الوزراء .

سفارة دولة الكويت

الخرطوم

كما أرسلت مذكرة إلى وزارة الخارجية السودانية ، فيما يلى نصها :

٥/١٠٧/١ ـ ١٢٤

١٩٩٠/٨/٧م

تهدى سفارة دولة الكويت فى الخرطوم أطيب تحياتها إلى وزارة خارجية جمهورية السودان الشقيقة ، وتتشرف بالإفادة أنه نتيجة للأحداث الأخيرة التى نتج عنها غزو لدولة الكويت من بلد مفروض أنه شقيق ، وبما أن الغزاة استولوا على كل المستندات الرسمية بما فيها جوازات السفر فإن السفارة ترجو أن تحيط الوزارة الموقرة علماً أنه قد يتم صرف جوازات سفر كويتية لمواطنين غير كويتيين للتخريب فى دول أخرى بغرض الإساءة للكويت وشعبها وخلق فتنة بين الشعب الكويتى والشعوب الشقيقة والصديقة .

عليه تتمنى السفارة من الوزارة الموقرة أن تخاطب الجهات المختصة كى ترصد تحرك كل من يدخل السودان بجواز سفر كويتى من كافة موانئه الجوية والبحرية والبرية للحيطة وتزويدنا بإسمه ورقم جواز سفره إن أمكن .

تنتهز سفارة دولة الكويت هذه المناسبة لتعرب لوزارة خارجية جمهورية السودان الشقيقة عن فائق تقديرها .

سفارة دولة الكويت

الخرطوم

إلى : وزارة خارجية جمهورية السودان الشقيقة ـ الخرطوم

كما قمت بتوزيع تعميمين على كافة البعثات الدبلوماسية ومكاتب الخطوط الجوية فى الخرطوم ، حيث أبلغت السفارات بعدم منح تأشيرة إلى دولهم لأى حامل جواز سفر كويتى إلا بعد حصوله على رسالة خطية رسمية من السفارة ، وذلك بعد أن سقطت جوازات السفر الكويتية كأحد الوثائق الرسمية بيد القوات العراقية ، خشية أن تمنح هذه الجوازات إلى مواطنين عراقيين للسفر للخارج بغرض التخريب على أنهم كويتيون وهذا من شأنه أن يسيء إلى المواطن الكويتى .

وكذلك طلبت من مكاتب الخطوط الجوية عدم حجز أى مقعد على طائراتهم لمن يحمل جواز سفر كويتى إلابعد حصوله على خطاب من السفارة حتى لا يستغل أى مخرب جواز السفر الكويتى .

وقد تعاون معى الجميع فى هذا الإجراء حتى أن مدير الخطوط الكويتية وهو مواطن كويتى ومعروف لدى كافة مكاتب الخطوط الجوية ما كانوا يحجزون له مقعداً على خطوطهم إلا بعد حصوله على خطاب من السفارة .

السفير العراقى بعد الغزو

فى اليوم الأول للغزو كانت البعثة التعليمية المصرية قد دعت إلى حفل عشاء بالهيلتون على شرف السفير المصرى محمد تقى الدين الشربينى بمناسبة نقله إلى القاهرة ، وكمدعو حضرت رغم مشاعرى وما اعانيه نفسياً بسبب الغزو العراقى للكويت تقديراً منى للمحتفى به لعمق الصداقة بيننا .

وعندما دخلت كان يجلس على طاولة واحدة ، سفراء الأردن والجزائر وفلسطين مع سفير العراق ، وعندما رآنى السيد أبو رجائى سفير فلسطين هب واقفاً لمصافحتى ويدعونى للجلوس معهم ، فاعتذرت حيث أنى قررت ألا أخاطب أو أجالس السفير العراقى بعد أن غزت بلاده الكويت .

وفى هذه المناسبة أيضاً ، وهى مناسبة نقل السفير المصرى ، أقامت وزارة الخارجية حفل توديع له ، ومن التقاليد المتبعة فى مثل هذه الحالات أن يحضر عميد السلك الدبلوماسى كافة هذه الحفلات وعادة إذا كان السفير المنقول أوروبياً تدعى له المجموعة الأوروبية ، وإذا كان عربياً تدعى له المجموعة العربية ، وهكذا .. فجلست على يمين السيد على سحلول وزير الخارجية بوصفى عميداً للسلك ، وعلى يساره جلس السيد تقى الدين الشربينى ، وفى أقصى يمين الطاولة جلس السفير العراقى ، وعادة بعد تناول الغداء يلقى وزير الخارجية أو من ينوب عنه كلمة يشكر فيها المحتفى به على حسن أدائه خلال فترة عمله ويتمنى له التوفيق فى عمله الجديد ، ويرد المحتفى به بكلمة يشكر فيها وزير الخارجية ويشيد فيها بتعاون الوزارة وكافة المسئولين ، إلا أنه قبل أن يلقى وزير الخارجية كلمته انسحب السفير العراقى ربما ظن إنى لن أكون مدعواً .

وبعد ذلك بدأ يجاهر بالقول فى جلساته بعدائه للكويت وحكام الكويت وحتى فى أحاديثه للصحف المحلية ، كان يردد .. « إن الذى يجلس هنــاك » ـ يقصدنى ـ أصبح عراقياً ، فلماذا لا يأتى ويعمل معى ؟

ما كنت اكترث لاستفزاز هذا السفير وتصريحاته ، لأنه ليس أكثر من بوق يردد ما يطلب منه وان كنت أشك أنه يعنى ما يقول ، لذا فإنى أشفق عليه أكثر من أن أعتب عليه .

إنما الذى كان يؤلمنى ويؤرقنى فى نومى وراحتى ، هو ما أقرأه وأسمعه وأشاهده فى الإعلام الرسمى السودانى .

فلو قيل لى قبل الغزو بيوم واحد أن السودان وإعلامه الرسمى سيقف ضد الكويت لو تعرض لسوء ، لراهنت بعمرى على أن هذا لن يحدث ، فما بالك إذا كان هذا الإعتداء سيأتى من العراق !! الذى كان قبل أشهر من الآن وفى شهر رمضان المحرم ، قام بمحاولة إنقلاب لإسقاط هذا النظام ، اعدم بسببه عدد من السودانيين !!! .

ان صدام فى محاولته لتغيير النظام فى الخرطوم ، هو ليضمن عند غزوه للكويت كما خطط له ولاءً عقائدياً لا إسلامياً لأنه لا يثق فى الإسلاميين حتى وان كانوا قد وعدوه بالوقوف معه .

سفراء مجلس التعاون لدول الخليج يكرمون السفير المصرى

ضمن الاحتفالات التى كان يقيمها المسئولون والمواطنون السودانيون خلال شهر أغسطس عام ١٩٩٠م على شرف السفير المصرى محمد تقى الدين الشربينى بمناسبة انتهاء فترة عمله فى السودان .

قررنا نحن رؤساء بعثات مجلس التعاون الخليجى .. السعودية والإمارات وعُمان وقطر والكويت .. أن نقيم حفل عشاء مشترك للزميل سفير مصر .

كان يمكن لكل منا أن يقيم حفل خاص فى منزله أو فى أى مكان آخر كما هى العادة بين الزملاء ، إلا أننا رغبنا أن يكون حفلاً رسمياً نشارك فيه جميعنا ليأخذ طابعه الرسمى وليكون أول سابقة من نوعها فى أوساط السلك الدبلوماسى فى الخرطوم ، ندعو له كبار المسئولين والإعلاميين وجميع رؤساء البعثات الدبلوماسية المعتمدة فى الخرطوم ، لنعبر فى ذلك عن مشاعرنا تجاه الزميل عن امتناننا لمصر وشعب مصر ولرئيسها السيد الرئيس محمد حسنى مبارك على موقفه الكريم من الغزو العراقى للكويت ، وتحية منا للقوات المسلحة المصرية

التى ذهب الآلاف من أبنائها بقرار من قائدها الأعلى الرئيس مبارك لتقف مع قوات الأشقاء ، والأصدقاء على خط المواجهة للمشاركة فى تحرير الكويت من الغزاة .

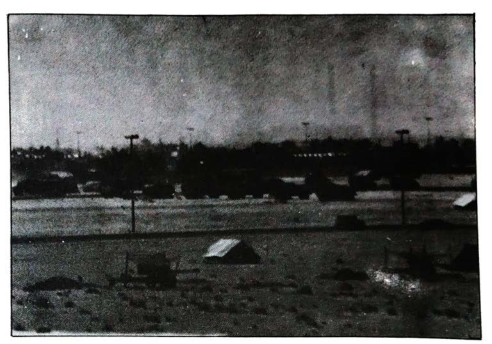
فأقمنا حفل عشاء كبير بفندق الهيلتون فى أواخر شهر أغسطس ١٩٩٠م ، حضره أكثر المدعويين من كبار المسئولين والشخصيات والإعلاميين ورؤساء البعثات والبعثتين الدبلوماسية والتعليمية المصريتين ، وباعتبارى أقدم الزملاء ارتجلتُ كلمة شكرت الذين لبوا دعوتنا والأمنيات الطيبة للزميل الشربينى والشكر لمصر .. مصر العرب .



المرأة الكويتية تخرج عن بكرة أبيها بعد ساعات من الغزو تطوف شوارع الكويت معلنة رفضها للغزو



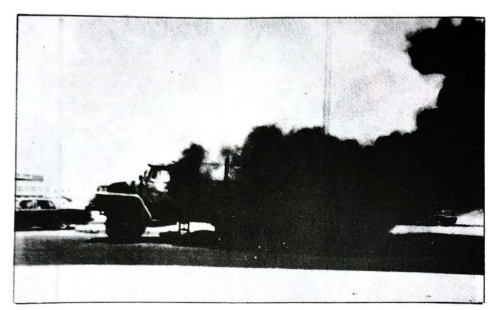
الملازم أول فهد الأحمد الجابر الصباح فى صورة نادرة التقطت له فى التاسع والعشرين من شهر مارس عام ١٩٦٨ هو وزميل له اسمه فيصل عبد المحسن ، استقال من الجيش وانخرط فى صفوف المقاتلين الفلسطينيين واصيب برصاصة فى الأرض المحتلة وشاء الله له ان يستشهد على تراب وطنه دفاعاً عنه بعد ساعات قليلة من الغزو العراقى الغاشم .



انتشار القوات العراقية الغازية على الأراضى الكويتية بعد أيام من الغزو .
أغسطس ١٩٩٠ م



يحرقون المبانى الحكومية بعد سرقتها لإخفاء معالم جريمتهم (جمعية كيفان التعاونية)
أغسطس ١٩٩٠ م



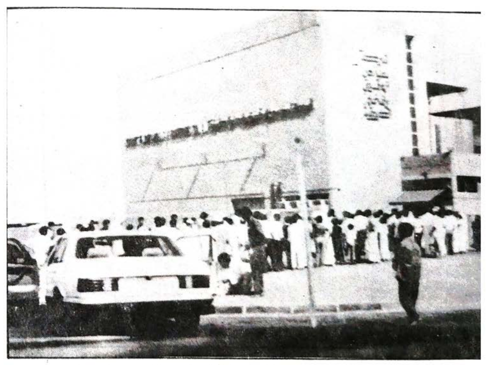
ناقلة جنود عراقية أُحرقتها المقاومة الكويتية اغسطس ١٩٩٠ م



آثار الغزو على وجوه الصغار ١٩٩٠ م



ووجه آخر فقد الإبتسامة بسبب الغزو وقد فقدها مع هؤلاء الأطفال كل أفراد الشعب الكويتى ١٩٩٠ م



هكذا كان يقف المواطنون والمقيمون على السواء أمام الأفران للحصول على رغيف

الفصل التاسع

السودان
والغزو العراقى

(الفصل التاسع)
السودان والغزو العراقى

الغزو العراقى والإعلام السودانى

تطورت الأحداث عقب الغزو العراقى المفاجىء للكويت على نحو لم يكن يتوقعه أحد ، ولم تعد الأزمة كويتية عراقية .. وفى خلال ثلاثة أيام اجتمع مجلس الأمن وشجب الغزو العراقى ، وطالب العراق بسحب قواته فورا من الكويت .

وبما أن صدام لم يسحب قواته من الكويت يوم الأحد ٥ أغسطس كما أعلن . بل قام بسحبها من مواقعها داخل الكويت ليعيد توزيعها على امتداد الحدود مع المملكة العربية السعودية ، مما يعنى أن صدام قرر فرض الأمر الواقع باحتلاله للكويت ، لذا لم يتباطأ خادم الحرمين الشريفين جلالة الملك فهد بن عبد العزيز عاهل المملكة العربية السعودية باتخاذ قراره الملكى فى خطوة شجاعة ، شجاعة مؤسس وموحد المملكة ، أسد الجزيرة المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود . وكشجاعة ابن الصحراء ، لا يرهبه عواء ذئب خلف الهضاب ، وذلك بقبول جلالته استضافة قوات من دول شقيقة وصديقة ، تتجمع فى شرق المملكة لإرغام صدام على سحب قواته من الكويت بالقوة إذا دعت الحاجة لذلك .

ولم تتأخر تلك الدول ، فبعثت بقواتها وسميت « بقوات الحلفاء » لتتواجد فى المنطقة الشرقية للمملكة العربية السعودية تضامناً مع دولة الكويت التى تعرضت لهذا الإعتداء الوحشى غير الإنسانى والذى لا يقره أى عرف أو قانون ، ولأن القضية واضحة وعادلة ، فلقد وقف العالم كله مع الكويت باستثناء بعض حكومات فى دول عربية .

فما أن أذيعت الأخبار أن المملكة العربية السعودية قبلت استضافة « قوات الحلفاء » على أراضيها حتى بدأت هذه الجماعات الموالية للعراق تحرض الجماهير ، وراحت أجهزة الإعلام السودانية تلهب الشارع السودانى وتصور له الأمر ، على أنه تدنيس للأراضى المقدسة .. فى حين أنهم يعلمون أن المناطق المقدسة تبعد نحو ١٥٠٠ كيلو متراً عن هذه القوات ، وإنما هم يريدون أن يثيروا

فى المواطن السودانى البسيط غيرته على دينه ويدعونه للخروج فى مظاهرة كبرى .

ونتيجة لذلك تجمع فى اليوم التالى نحو سبعة آلاف شخص معظمهم طلاب وطالبات مدارس أتوا بهم بالباصات ليتجمعوا فى مظاهرة حول السفارة الأمريكية ، وأحرقوا العلم الأمريكى ، وهتفوا ضد أمريكا وضد الرئيس « بوش » وخرج للمتظاهرين موظف صغير من السفارة الأمريكية ليتسلم منهم مذكرة احتجاج ، فتقدم له شاب هيأ نفسه لمواجهة كاميرات التليفزيون وهو يرتدى البدلة كاملة وربطة عنق ، وسلم المذكرة ، وبعدها رفع يده محييا الموظف الأمريكى بالطريقة العسكرية .

سارت المظاهرة فى شوارع الخرطوم حتى وصلت إلى السفارة العراقية ، وكان يستقبلهم هناك السفير العراقى والدكتور حسن فهمى جمعة ، وهو وزير عراقى سابق ، ويشغل منصب المدير العام للمنظمة العربية للزراعة التى تتخذ من الخرطوم مقرا لها ، أن منصبه يخضع للجامعة العربية وليس للحكومة العراقية ، إلا أنه وقف يستقبل المتظاهرين ويحييهم من شرفة السفارة العراقية وبجواره كان يقف السفير العراقى متحمساً لاحتلال الكويت ، وراح يدلى بتصريحات صحفية ، ويشير بأصبعيه علامة النصر ، وكأن العراق قد حرر فلسطين .

سارت المظاهرة بعد ذلك باتجاه السفارة السعودية ، وكنت أنا وزميلى فى السفارة الكويتية نتابع حركة المظاهرة التى كانت تسير فى شارع أفريقيا الذى تطل عليه السفارة الكويتية ، والمتظاهرون يرددون هتافات موجهة ضد أمريكا والسعودية ، وكان عددهم يتناقص منذ أن غادروا السفارة الأمريكية ، وعندما وصلت المظاهرة إلى السفارة العراقية كان عدد المتظاهرين قد وصل إلى النصف ، ثم بدأوا ينصرفون ويتفرقون فى الشوارع الفرعية . وعندما وصلوا بالقرب من السفارة السعودية كان عددهم قد وصل إلى نحو أربعمائة متظاهر .. ثم تفرقوا .

كانت هتافاتهم منفرة ، ولا أريد أن أكتب ما سمعته احتراماً منى لمشاعر المواطن السودانى ، وإنما فقط انقل هتافاً واحداً كانوا يرددونه ، وهو أخف الهتافات .. يقولون فيه .. « بالكيماويات يا صدام .. من الأهرام إلى الدمام » .

تابع التليفزيون السودانى هذه المظاهرة وصورها وأذاعها فى نشراته الإخبارية وكان هذا التليفزيون ينقل البيانات التى كان يذيعها التليفزيون العراقى

بصوت وصورة المذيع العراقى ، وكأن الإعلام السودانى قد توحد فى الإعلام العراقى ، ولم يعد له كيانه المستقل .

محافظة «كاظمة»

أعلن العراق ضم الكويت وسماها محافظة «كاظمة» وأعطاها الرقم (١٩) .

قبل هذا الإعلان كان التليفزيون السودانى بعد نشرة أخباره المسائية يذيع درجات الحرارة فى الدول العربية والعالمية ومنها دولة الكويت إلا أنه بعد إعلان العراق ضم الكويت حذف التليفزيون السودانى الكويت من خارطة الدول اعترافا منه بأن الكويت أصبحت جزءاً من العراق وبالتالى لا تحتاج أن يذاع عنها شىء بنشرة الأحوال الجوية .

وفى الوقت الذى كان فيه صاحب السمو الأمير وولى عهده يطوفان بالدول الكبرى فى شأن تحرير وطنهم ، كانت الصحف السودانية تصف أمير الكويت بالأمير المخلوع ، والحكومة الكويتية بالحكومة السابقة .

وفى هذا الجو الإعلامى المحموم والمعادى لبلدى تعمدت أن أخرج يوميا وأطوف بسيارتى فى شوارع الخرطوم رافعاً العلم مرتدياً زيى الوطنى لأؤكد للمواطنين السودانيين أننى هنا معهم سفيراً للكويت .

وكان من المقرر قبل الغزو أن يحضر السيد محمد ناصر الحمضان وزير الأوقاف الكويتى إلى الخرطوم ، ولكن بعد غموض موقف السودان ثم وضوحه بوقوفه إلى جانب العراق امتنع عن الحضور ، فأرسلت أكثر من برقية استعجل حضوره ، وشرحت أن حضوره كوزير كويتى إلى السودان هام جدا ليؤكد أننا على الساحة موجودين وأن الحكومة الكويتية موجودة ، فاستجابوا لطلبى وحضر الوزير ، وتصادف يوم وصوله مجىء مبعوث عراقى يحمل رسالة من رئيسه إلى الرئيس السودانى فخرج له أمين عام مجلس قيادة الثورة إلى المطار لاستقباله ، وظهر هذا فى التليفزيون ، أما الوزير الكويتى فلم يكن فى استقباله أحد رغم اننى أبلغت الحكومة السودانية عن وصوله ولم يخرج لاستقباله سوى صديقان له من منظمة الدعوة الإسلامية ، هما السيد مبارك قسم الله والدكتور الأمين عثمان ، وكان السيد الحمضان يبدو منفعلاً وهو ينزل من سلم الطائرة وفى قاعة كبار الزوار شرحت له حقيقة الوضع .

توجه معي إلى مقر السفارة وطلبت له موعداً مع الفريق البشير ، فتحدد الموعد في مساء نفس اليوم بمنزل الفريق .. وهذا معناه أنه لا يريد أن تكون المقابلة رسمية .. وحضر اللقاء العقيد طيار عبد الرحيم حسين أمين عام مجلس قيادة الثورة والسيد مبارك قسم الله مدير منظمة الدعوة الإسلامية ، وبعد قليل دخل علينا الدكتور الأمين عثمان المدير التنفيذي في منظمة الدعوة ، ودار الحديث بين الفريق البشير والسيد الحمضان ، وأوضح الفريق البشير أنه يؤيد عودة الكويت وانسحاب القوات العراقية ، وقال إن هذا ما أعلنه في مؤتمر القمة العربية بالقاهرة .. إلا أنه يرفض تواجد القوات الأجنبية في المنطقة ، وأنه يدعو إلى حل عربي .

تدخلت بدوري في الحديث وقلت للفريق البشير إنني أسمع منكم هذا الكلام لأول مرة لأن إعلامكم يقول غير هذا ، ويعلن أن الكويت أصبحت جزءاً من العراق ويعتبره حقاً عراقياً .

كان الفريق البشير مجاملاً وهادئاً ، يختار الكلمات بسلاسة ودبلوماسية رغم أنه عسكري . فقد حاول أن يرضي السيد الحمضان وأن يتجنب في الوقت نفسه إدانته للإعلام السوداني ، كما أن الإعلام السوداني لم يشر إلى هذه المقابلة ، لا في الصحف ولا في نشرات الأخبار عبر الإذاعة والتليفزيون .

غادر السيد الحمضان الخرطوم في اليوم التالي غاضباً على ما سمعه وقرأه في الاعلام السوداني عن الكويت ، وعدم الإشارة لزيارته .

وبعد سفره توجهت إلى السيد محمد خوجلي صالحين وزير الاعلام(★) ، وقلت له : يا أخي .. أرجو ألا تكون السودان المحافظة رقم (٢٠) لأن الكويت أعطيت الرقم (١٩) ، فإعلامكم أصبح عراقياً أكثر من الإعلام العراقي ، وتليفزيونكم يذيع البيانات العراقية الصادرة من بغداد بصوت وصورة المذيع العراقي .. أنا لا أريد أن أتدخل في سياستكم ، ولكن ليقم مذيع سوداني بقراءة هذا البيان الصادر من العراق خير من أن ينقله المذيع العراقي بنفسه ، فلم يحدث بأي دولة في العالم أن مذيعاً من دولة ما يذيع بيانات في دولة أخرى .

وقلت له أيضاً : ان وزيراً كويتياً يصل الخرطوم ويغادرها وإعلامكم يغفل

(★) بدأ حياته الإعلامية مذيعاً في راديو أم درمان ثم عمل وكيلاً للوزارة ، وعمل أيضاً مديراً لوكالة السودان للأنباء .

تواجده فى حين كاميرا التليفزيون تذهب إلى المطار لاستقبال مبعوث عراقى ويستقبله أمين عام مجلس قيادة الثورة الذى هو بدرجة أكبر من وزير ؟!!

لم يرد وزير الإعلام ورفع سماعة الهاتف واتصل بمدير التليفزيون وطلب منه ألا تذاع البيانات الصادرة من بغداد بصوت المذيع العراقى بل تكتب ويقرأها مذيع سودانى .

إنى أعلم أن هذا الوزير متعاطفاً مع الكويت ، فقد زارنى فى مكتبى بعد الغزو ليؤكد رفضه لهذا الغزو العراقى ، ولكنه مضطر كوزير فى الحكومة أن ينفذ سياسة حكومته ، لم تعد صورة المذيع العراقى تظهر على شاشة التليفزيون السودانى ، وبعدها كتبت الصحف السودانية أن الفريق البشير استقبل (مبعوث جابر) ولم يذكروا صفته كوزير ولا اسمه ولا جنسيته ، وحتى « جابر » هذا لم يحددوا هويته . وفى الكلمة التى ألقاها الفريق البشير بقاعة الصداقة بمناسبة زيارة الرئيس الليبى العقيد معمر القذافى فى أوائل أكتوبر عام ١٩٩٠ م ، وبحضور جميع رؤساء البعثات الدبلوماسية المعتمدة فى الخرطوم وجمع كبير من المدعوين ، أشار الفريق البشير إلى الذين استقبلهم فى الفترة الماضية ، وذكر من بينهم (مبعوث جابر) .. تماماً كما كتبته الصحف السودانية .

مؤتمرات شعبية كويتية

فى خلال أقل من شهر من الغزو بدأ الكويتيون فى الخارج ينظمون أنفسهم فى اجتماعات شعبية عما أصاب الشعب الكويتى فى الداخل ، ويفندون مزاعم صدام فى الكويت .. وعقد فى الشارقة بدولة الإمارات العربية المتحدة مؤتمر طلابى ، دعوا له وفوداً من كل الدول العربية للمشاركة فى ذلك الإجتماع ، فذهب وفد من السودان برئاسة دكتور مصطفى عثمان أمين عام مجلس الصداقة الشعبية العالمية ، وهو شاب ينتمى إلى الجبهة الاسلامية ، وتحدث نيابة عن الطلاب السودانيين . كان حديثه فى هذا المؤتمر الطلابى منصفاً ، وأكد حق الكويت وشعبه فى العودة .. وقد أشاد المؤتمرون بموقفه .

السفراء الكويتيون مع القيادة السياسية

فى شهر سبتمبر ، أى بعد أسابيع من الغزو العراقى للكويت دعا معالى نائب رئيس الوزراء وزير الخارجية الشيخ صباح الأحمد من مقر إقامته المؤقت بمدينة الطائف بالمملكة العربية السعودية السفراء الكويتيين المعتمدين فى

الخارج إلى اجتماع يعقد بمدينة جدة فى قصر المؤتمرات لبحث وتقييم الوضع الراهن على ضوء الغزو العراقى واحتلاله لدولة الكويت ، فسافرتُ إلى هناك والتقيت بكل زملائى السفراء ، وهذا هو أول لقاء من نوعه يلتقى فيه السفراء الكويتيون بقيادتهم السياسية حيث تشرفنا بمقابلة حضرة صاحب السمو الأمير الشيخ جابر الأحمد الصباح ، وسمو ولى العهد الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح بمقر إقامتهما المؤقت فى مدينة الطائف .

بعد الاجتماعات أدى بعضنا العمرة قبل عودة كل منا إلى مقر عمله ثم توجهت إلى الرياض حيث كانت زوجتى قد قدمت من ألمانيا بعد أن استكملت علاجها . وذهبت للإطمئنان عليها .

ابنى يستأذننى للإنخراط فى المقاومة

فى الرياض أعددت نفسى للسفر إلى الخرطوم ، فأبلغنى ابنى « أحمد » الطالب بالكلية العسكرية الكويتية أن مكانه ليس فى الرياض أو الخرطوم ، بل فى الكويت مع المقاومة التى انتظمت وبدأت تكبد القوات الغازية خسائر فى الأرواح ، وبمناسبة وجودى فى الرياض فانه يستأذننى للذهاب إلى منطقة « حفر الباطن » التى تقع على الحدود الكويتية السعودية وتتجمع فيها كل الوحدات العسكرية الكويتية ، ومن هناك يتدبر أمره للدخول إلى الكويت .

أثلج صدرى بقراره هذا ، وكانت أمه تسمع كلامه ، فلم تعترض ولم تعلق ، وكان واضحا على ملامحها أنها موافقة .

غادرنا الرياض إلى الخرطوم ، وتوجه إبني أحمد إلى « حفر الباطن » ليدخل إلى الكويت فوجد صعوبة فى الدخول لأن القوات العراقية كانت قد انتشرت وأحكمت قبضتها على طول الخط الحدودى مما لا يمكن أى مواطن كويتى من العودة إلى الداخل فعاد إلى الخرطوم ، وبمجرد أن أصدر مجلس الأمن قراره ، ووجه إنذارا إلى حاكم بغداد بسحب قواته من الكويت توجه فوراً إلى منطقة « حفر الباطن » بالمملكة العربية السعودية ، واستقام كطالب عسكرى فى القوات العسكرية الكويتية ، ودخل مع أول قوات كويتية فى اليوم الأول للتحرير .

عدت إلى الخرطوم ومعى زوجتى وابنى « نواف » ليواصل دراسته من البيت ، حيث كلفت مدرسين بالحضور إلى المنزل .

مؤتمر شعبى كويتى

كذلك دعا سمو ولى العهد رئيس مجلس الوزراء إلى عقد مؤتمر شعبى حضره عدد كبير من الكويتيين المقيمين فى دول عربية وغير عربية ينعقد فى شهر أكتوبر ، وحضر المؤتمر كل من وجهت له الدعوة بما فيهم أقطاب المعارضة الكويتية . وقد شرَّف حفل الإفتتاح حضرة صاحب السمو الأمير الذى ألقى فيهم كلمة حث المواطنين فيها على الصمود والتكاتف والتعاضد مع بعضهم والتصدى لكل الحملات المؤيدة للعراق .

وقد أقر المؤتمر قرارات فى ختام جلساته من بينها تشكيل وفود شعبية تقوم بجولات إلى مختلف الدول لشرح أبعاد الغزو العراقى ومايعانيه المواطن الكويتى فى الداخل من بطش الغزاة .

وتشكل وفد لزيارة عدد من الدول العربية من بينها السودان برئاسة الأستاذ أحمد السقاف (★) ، ومعه السادة سعود العصيمى وزير الدولة بوزارة الخارجية سابقاً والسيد محمد مساعد الصالح رئيس تحرير جريدة «الوطن» الكويتية . وعبدالباقى عبدالله النورى عضو مجلس أمة سابق ورئيس إدارة احدى الشركات ، ومبارك الدويلة عضو مجلس أمة سابق ورجل أعمال .

برقية البريد والبرق حول كاظمة

فى العاشر من أكتوبر عام ١٩٩٠ ، أى بعد الغزو بشهرين وزعت إدارة البريد والبرق فى الخرطوم برقية لمكاتب البريد فى كل أنحاء السودان جاء فيها أن الكويت أصبحت محافظة عراقية ، ويجب التعامل معها على هذا الأساس .

وقد وصلت صورة من هذه البرقية إلى يدى، فذهبت بها إلى وزير الخارجية متسائلا كيف تصدر مثل هذه البرقية ؟ ، فأكد لى الوزير أن هذه البرقية ليست قراراً حكومياً ، وربما صدرت كنوع من التسهيلات البريدية للمواطنين فى تبادل رسائلهم بين العراق والسودان .

(★) وكيل سابق لوزارة الإعلام ، وهو شاعر وأديب ، وآخر منصب له العضو المنتدب رئيس مجلس إدارة الهيئة العامة للجنوب والخليج العربى التى تقوم بتنفيذ مشاريع على شكل هبة من الشعب الكويتى فى بعض الدول العربية منها مكتب جنوب السودان وميزانيتها ترصدها الحكومة سنويا .

وقد حضر هذا اللقاء السفير عثمان نافع مدير الإدارة العربية بوزارة الخارجية .

لم أقتنع بما قاله الوزير وإن كان واضحا أنه يريد أن يجاملني وأن يكون كريماً معي برده هذا ، لذا ذهبت إلى العميد عثمان أحمد حسن عضو مجلس قيادة الثورة وقال أنه سيتأكد بنفسه من صحة صدور هذه البرقية ، وأبلغني بعدها بيومين أنه لا صحة لهذه البرقية ، وقد تكون خرجت خطأ من موظف صغير ..

وقد تم إلغاء هذه البرقية ببرقية أخرى .

أبلغت وزير الخارجية السيد على سحلول والسيد العميد عثمان أحمد حسن وكل من التقيت بهم من مسئولين وغيرهم(*) . أن هذه البرقية لو تسربت ونشرت في الخارج فلن أكون أنا المسئول عن تسريبها ، وقد التزمت بما قلت ، أما الآن فأنا في حلّ .. لأني أكتب وقائع تاريخية .

وفيما يلي نص البرقيتين :

٢ ١٤ الخرطوم ١٠ ١٠ ٩٠ س.ت ١٤٥

لمكاتب البريد

التكامل

أصبحت الكويت محافظة عراقية . نرجو العمل بموجب هذا النشر واخطار التواكيل التابعة لمنطقتكم .

وشكراً

كنتلز

برقية الالغاء

نشرة لمكاتب البرق

س.ت ١٤٥

(★) من هؤلاء الدكتور عبدالحميد صالح والسيد عز الدين السيد .

ألغى نشرتى س.ت ١٤٥ بتاريخ ١٩٩٠/١٠/١٠ وقف أعمال الكويت عن طريق العراق .

أخطروا المكاتب والتواكيل بمنطقتكم

وشكرا

١٩٩٠/١٠/١٧ كنتلز

بعد ارتياحى لإلغاء البرقية السابقة ، فوجئت ببيان يوزعه المدير التجارى لشركة الخطوط الجوية السودانية على مكاتب السياحة والسفر فى الخرطوم يفيد بأنه لامانع من صرف تذاكر إلى العراق بما فى ذلك محافظة الكاظمة .

فأجريت اتصالاتى ، وأبلغت مدير عام الخطوط الجوية السودانية وقلت له :

ـ ما الذى أقرأه تحت يدى ؟!

وقرأت له نص التعميم ..

فاستشاط الرجل غضباً لأنه لم يؤخذ رأيه فى هذا التعميم ، وحضر إلى مكتبى معتذراً ، وقال :

إن هذا التعميم هو تصرف غير مسئول .. ويعتذر عنه .

وفيما يلى نص التعميم الذى أصدره المدير التجارى لشركة الخطوط الجوية السودانية ، وألغاه شفاهة المدير العام للشركة :

بسم الله الرحمن الرحيم

شركة الخطوط الجوية السودانية
مكتب مدير شئون الوكلاء

النمرة : ش خ ج س /م م ش و /وكالات ٢٧ نوفمبر ١٩٩٠م

السيد / مدير وكالة

الموضوع : السفر إلى العراق

أرجو أن أفيدكم أنه قد تقرر قبول دخول السودانيين للعراق بما فى ذلك محافظة الكاظمة وفق الشروط الآتية :

١ ـ الركاب الذين لديهم دعوات رسمية من حكومة العراق .

٢ ـ الطلبة الذين لديهم مستندات تثبت انتظامهم بالدراسة بكليات أو معاهد عراقية .

٣ ـ الركاب الذين بحوزتهم شهادات إجازة سارية المفعول أو تصريح من السلطات العراقية بدخول العراق .

٤ ـ فيما عدا الفئات المذكورة أعلاه لايقبل أى راكب للسفر إلى العراق مرورا بعمان أو دمشق .

أرجو تنفيذ ماجاء بهذا المنشور ..

وشكرا ..

توقيع

عبدالحفيظ عبدالرازق

ع / مدير الإدارة التجارية

صورة للسيد / مدير الإدارة التجارية

صورة للسيد / مدير إدارة خدمات الركاب

صورة للسيد / مدير منطقة الخرطوم

الغزو كما يراه خطباء المساجد

أما أئمة المساجد والخطباء فقد انقسموا فى التعبير عن وجهة نظرهم تجاه الغزو العراقى للكويت . فالذين ينتمون إلى الجبهة الإسلامية ، كانوا لايذكرون اسم الكويت فى خطبهم ويركزون على التواجد الأجنبى وكيف أنه يدنس الأراضى المقدسة ، وظل هؤلاء الخطباء يرددون فى خطبهم الحديث عن رفضهم لتواجد القوات الأجنبية التى زعموا أنها تدنس الأراضى الإسلامية المقدسة ، وذلك بهدف شغل المواطن العادى عن قضية غزو الكويت لينشغل فى موضوع جانبى هو تدنيس الأراضى المقدسة وهم يعلمون أن المكان الذى تتواجد فيه تلك القوات هى أراضى عادية فى حين كان أئمة المساجد من أنصار السنة يجاهرون بموقفهم المؤيد للكويت الرافض للغزو العراقى ، وينشرون رأيهم صراحة فى جريدة الإستجابة التى يصدرونها وفى مقدمتهم الشيخ محمد الهدية والشيخ أحمد عبدالسلام ، وكذلك الدكتور الحبر نور الدائم ، فقد وقف من خلال خطبه فى صلاة أيام الجُمَعْ موقف أنصار السنة وهو ليس منهم .

وتصادف أن أحد هؤلاء الذين كانوا يدينون الغزو العراقى للكويت فى خطبة صلاة الجمعة بالمساجد أن اقترب منه شخص من أعضاء الجبهة الإسلامية وسأله : ماذا لو ضحينا بنصف مليون فى الكويت من أجل قيام الدولة

الإسلامية ؟ فقال له : ولكن الشعب الكويتى مسلم والدولة الإسلامية لاتقوم على التضحية بالمسلمين ، وفى الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم .. «المسلم على المسلم دمه وماله وعرضه حرام» . ثم لو سلمنا بسلامة رأيكم فى الجبهة فهل التضحية بالكويت وشعبها يعنى أن الدولة الإسلامية قد قامت ؟!.

إرهاب التلاميذ فى المدارس

لم يقتصر الموقف المؤيد للعراق على أجهزة الإعلام وحدها ، وإنما أمتد إلى المدارس . فقد سئلت طالبة بمدرسة فى الخرطوم ، هل .. الكويت محافظة عراقية أم سعودية أم سورية ، فأجابت الطالبة بأن الكويت كويتية وليست محافظة . فكانت النتيجة صفرا ، وذهب ولى أمر الفتاة إلى المدرسة وسأل : لماذا تعلمون البنات الكذب ؟! إنهن طالبات ؟! كيف تسمح لكم عقولكم بهذا ؟ ، ردت المُدَرِّسة بأن هذه هى التعليمات لديها وهى ملتزمة بها .

وطالبة أخرى بالإقليم الشرقى عمرها أقل من العاشرة ضربتها المدرسة لأنها قالت أنها تحفظ النشيد الوطنى الكويتى عندما سألت الطالبات من تحفظ نشيداً ، وقالت لتبرير ضربها لماذا لاتحفظ النشيد السودانى فقيل لها أن هذه التلميذة سافرت مع أهلها إلى الكويت وعادت معهم بعد الغزو العراقى . وهناك علموها النشيد الوطنى الكويتى .. علميها أنت النشيد السودانى ولاتضربيها .

ومسئول فى الحكومة السودانية .. مَرَ على مبنى مكتوب على واجهته اسم «الصَّبَاح» نسبة إلى أسرة آل الصباح حُكَّامَ الكويت ، فنظر إلى مرافقه وسأله : أما حان لهذه اللوحة أن تنزل ؟ .. فرد عليه الرجل أنه لايستطيع أن يخفى الحقيقة ، فهذا المبنى بنى بأموال كويتية .

السفارة العراقية تكرّم البشير

فى نوفمبر ١٩٩٠ دعت جمعية حماية البيئة فى الخرطوم إلى حفل أقامته لتكريم السيد الفريق عمر البشير باعتباره رجل البيئة لعام ١٩٩٠ . ودعيت كسفراء لحضور هذا الحفل فإذا بالرجل الثالث فى السفارة العراقية . هو المتحدث باعتباره المقرر لهذه الجمعية ، لذا تحدث نيابة عنها . وأشاد بموقف الفريق البشير من الغزو العراقى ، وشرح الأسباب التى على أساسها منحت الجمعية الفريق البشير لقب رجل البيئة لهذا العام ، وقال عنه أنه الرجل الرافض للوجود الإمبريالى الذى يتجمع فى السعودية لضرب العراق

لو كان المتحدث سودانيا لكان الأمر طبيعيا جدا .

فرض الحراسة على المنشآت الكويتية

فى الثامن عشر من شهر نوفمبر ١٩٩٠م أصدر قاضى المديرية قرارا يقضى بتعيين حارس قضائى لإدارة الشركة السودانية الكويتية للبناء والتشييد التى شيدت فى أوائل السبعينات ضمن شركات أخرى تم تأسيسها فى ذلك الوقت .

وبموجب هذا القرار تم فصل مديرها المعين بقرار مجلس الإدارة وكذلك اعتقل محاسب الشركة وهو فى مكتبه وتولى الحارس القضائى المعين مهام عمله .

وما أن علم الجانب الكويتى بقرار السودان ، حتى بادر بتكليف محاميه برفع دعوى قضائية ضد هذا القرار لعدم قانونيته . وحضر العضو المنتدب السيد موسى أبوطالب وبموعد مع السيد عبدالرحيم حمدى وزير المالية طلبتِ أن أحضر هذا اللقاء لأن بلدى محتل ، وعن قرب أردت أن أستكشف لماذا إتُخذَ هذا القرار .. وفى مكتب الوزير كانت المفاجأة .

حضر هذا اللقاء كل من وكيل وزارة المالية ووكيل النائب العام السيد على محمد عثمان يس . ولم يعلم الجانب السودانى أن الشركة الكويتية رفعت دعوى بواسطة محاميها فى الخرطوم لإلغاء قرار فرض الحراسة لعدم قانونيته من وجهة نظر الجانب الكويتى . وسأل السيد موسىَ أبو طالب السيد الوزير عن سبب قرار وزارة المالية السودانية بفرض الحراسة ولماذا لم يدع الجانب الكويتى إلى اجتماع إذا كانت هناك أخطاء أو مخالفات كما رأتها وزارة المالية وأنه كان عليها أن تدعو إلى اجتماع مجلس إدارة .. لا أن تتخذ قراراً من جانبها فقط . فقال وكيل النائب العام :

- ولكن أين هى الكويت لكى نبحث عن مندوبها ؟!.

هنا تدخلت وأجبته :

- إننى سفيرها هنا معكم فى الخرطوم ، وكان عليكم أن تتصلوا بى وأنا أدعو أى شخص تطلبونه للحضور إلى الخرطوم لأنى أعرف أين يقيمون .

فأشار إليه الوزير بيده قائلا : دع الحديث الآن عن الكويت . وتحدث موسى أبوطالب وقال أنه طلب من محامى الشركة أن يرفع دعوى قضائية لإبطال قرار فرض الحراسة القضائية على الشركة الكويتية وهنا كاد الوزير أن ينفجر غيظاً وبدأت ساقاه ترتعشان وقدماه تضربان على الأرض بحركة انفعالية غاضبة وهو يردد أنه لم يواجه عملا كهذا فى حياته ، وراح يؤكد أن هذا قرار سودانى والشركة الكويتية على أرض سودانية ، تخضع للقانون

السوداني الذى يعطى للحكومة السودانية إذا كانت تملك ١٠٪ من أسهم أى شركة أجنبية أن تتخذ ماتشاء لأنه حق السيادة الوطنية .. ووجه كلامه إلى وكيل النائب العام بأن يلقى القبض على مدير الشركة (السودانى) لأنه يقوم بعمل تحريضى ضد سياسة الحكومة ، متهما اياه أنه هو الذى حرض على رفع الدعوى ضد قرار النائب العام . فقال موسى أبوطالب أن المدير مجرد موظف ينفذ تعليمات مجلس الإدارة والجانب الكويتى هو المالك الأكبر ، وبصفته العضو المنتدب لهذه الشركة فإنه هو الذى أمر برفع الدعوى .

ومن جانبى حاولت أن أهدىء خاطر الوزير بالقول أننا هنا ليس بصدد رفع الحراسة أو إلغائها ، وإنما من الخير أن يعود كل شىء إلى وضعه حتى تستمر الثقة المتبادلة بين الجانبين الكويتى والسودانى كما كانت عليه .

هنا أبدى الوزير نوعاً من المرونة .. وقال أنه لولا أن الجانب الكويتى رفع دعوى فإنه كان ينوى فى لقائنا هذا أن يلغى ما اتخذ من قرارات حول الحراسة ويعيد الوضع كما كان ، بما فيه اعادة المدير الذى أقالوه بموجب قرار الحراسة وأنه مستعد لهذا إذا سحب الجانب الكويتى دعواه .

بعد ذلك استأذنا الوزير وغادرنا مكتبه .. ولاأعتقد أن الجانب الكويتى سحب دعواه .

وفيما يلى نص بعض المراسلات التى تبودلت بين وزارة المالية السودانية ومكتب النائب العام وقاضى المديرية حول الموضوع .

محكمة المديرية المدنية الخرطوم

النمرة/ اجراءات/ ٨١/ ١٩٩٠ م

التاريخ : ١٩٩٠/١١/١٨ م

السيد/ النائب العام ووزير العدل
لعناية المستشار عبدالناصر ونان

الموضوع : تعيين حارس قضائى لإدارة الشركة السودانية الكويتية للبناء والتشييد المحدودة .

بموجب قرار هذه المحكمة بتاريخ ١٩٩٠/١١/١٨ م فقد صدر الأمر بتعيين السيد / أحمد عمر عبدالرحمن نائب الوكيل لوزارة المالية حارسا قضائيا لإدارة الشركة السودانية الكويتية للبناء والتشييد المحدودة وذلك لاتخاذ الإجراءات اللازمة .

وشــكراً

توقيع
د. حيدر أحمد دفع الله
قاضى المديرية والمشرف على
محكمتى المديرية والجزئية

السيد وزير المالية والتخطيط الاقتصادى
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الموضوع : تعيين حارس قضائى لإدارة الشركة السودانية الكويتية للتشييد والبناء المحدودة

بالاشارة إلى خطابكم رقم و م ت/أ/م و/ سرى للغاية / والمؤرخ فى ١٩٩٠/١١/٦م وإيماءاً إلى خطابكم رقم د م ع/ مت/ ١٢٠ مجلد (٥) بتاريخ ١٩٩٠/١٠/١٨ م فى الخصوص أعلاه .

لقد جاء فى خطابكم سالف الذكر الخيار الذى توافقون عليه لإدارة الشركة أعلاه هو تعيين حارس قضائى وبالفعل فقد قمنا باتخاذ الإجراءات القانونية اللازمة أمام محكمة المديرية الموقرة بالخرطوم وتحصلنا على أمر قضائى بتعيين السيد / أحمد عمر عبدالرحمن ليكون الحارس القضائى للشركة ، وفى هذا الصدد نرجو ان يبادر السيد أحمد عمر ليتولى مهامه كحارس قضائى ، مخولة له جميع سلطات مجلس الإدارة الواردة فى لائحة الشركة وذلك تحت اشراف المحكمة بما لها من سلطات عليه وفق المواد ٤٦٤ ــ ٤٧٠ من قانون المعاملات المدنية لسنة ١٩٨٤ م ، ختاما نرفق لكم صورة من أمر المحكمة الخاص بتعيين السيد أحمد عمر عبدالرحمن وذلك للتكرم بإخطاره وتسليمه صورة من أمر التعيين .

وتفضلوا بقبول فائق التقدير

على محمد عثمان يسن
وكيل النائب العام

صورة إلى السيد/
قاضى المديرية ـ الخرطوم

لعناية الدكتور حيدر محمد دفع الله وكيل وزارة العدل وديوان النائب العام بالاشارة إلى قراره فى الإجراءات
رقم ٩٠/٨١

سعادة السيد/ رئيس وأعضاء محكمة الإستئناف

المقرين

السلام عليكم ورحمة الله

الموضوع : طلب إنهاء عمل الحارس القضائى لإدارة الشركة السودانية الكويتية للبناء والتشييد المحدودة

بكل احترام ونيابة عن حكومة السودان «وزارة المالية» التمس بان أتقدم بطلب إنهاء عمل الحارس القضائى المعين من قبل محكمة المديرية الموقرة بناء على طلبنا وذلك لما يلى بيانه من أسباب :

١ ـ سبق وأن تقدمنا بطلب لتعيين حارس قضائى لإدارة الشركة السودانية الكويتية للبناء والتشييد المحدودة وذلك للأسباب التى أوضحناها بعريضتنا المقدمة آنذاك .

٢ ـ استجابت محكمة المديرية مشكورة لطلبنا وتم تعيين السيد/ أحمد عمر عبدالرحمن حارسا قضائيا للشركة وذلك استنادا إلى المادة ٤٦٤ من قانون المعاملات المدنية لسنة ١٩٨٤ م .

٣ ـ الآن وحيث أن ملف هذه الدعوى أمام سيادتكم فإننا نتقدم بطلب إنهاء عمل الحارس القضائى للشركة وذلك لأن الأسباب التى استندنا إليها فى طلب التعيين قد زالت الآن لا سيما وأن الجانب الكويتى الشقيق قد عاود الحضور والمشاركة فى مجلس إدارة الشركة ومن ثم أصبح استمرار الحارس القضائى أمر لامبرر له البته ، عليه واعمالا لسلطاتكم تحت المادة ٢٠٥ من قانون الإجراءات المدنية لسنة ١٩٨٣ م مقروءة مع المادة ٤٧٠ من قانون المعاملات المدنية لسنة ١٩٨٤ م والتى تنص «تنتهى الحراسة باتمام العمل أو باتفاق ذوى الشأن أو بحكم القضاء وعلى الحارس عندئذ أن يبادر إلى رد مافى عهدته إلى مايتفق عليه ذوى الشأن أو تعينه المحكمة» .

بناء علي كل ماتقدم فاننا نكرر التماسنا بانهاء تعيين الحارس القضائي للشركة أعلاه .

وتفضلوا بقبول فائق التقدير والاحترام

لأغراض الرسوم نلتمس أن تسوى بالخصم على ميزانية النائب العام

المجلس :

مستشار / عبدالناصر وثان

ع/ وزارة المالية (حكومة السودان)

ع/ النائب العام لجمهورية السودان

صورة إلى :

السيد/ وزير المالية

البلدة/ مجلس إدارة الشركة السودانية الكويتية للبناء والتشييد

المحدودة ص.ب ٢٦٣٦ الخرطوم

بالاشارة إلى خطابه المؤرخ فى ٢١ مارس ١٩٩١ م

السفراء العرب والأجانب

كان موقف سفراء دول العالم مؤيدا للكويت باستثناء سفير دولة فلسطين الذى كان ينشط فى الحديث بالمؤتمرات والندوات ضد الوجود الأجنبى . وقد أبدى سفير اليمن فى الأسبوع الأول من الغزو عدم رضائه ، ثم أصبح يتبنى موقف حكومته مثله فى ذلك مثل سفير الأردن ، وكان يبرر موقف حكومته بقوله أن العراق كان دائما يقف إلى جانب الأردن ويستجيب لكل طلباته ، أما سفيرا الجزائر وتونس فلم يدليا بأى تصريح وحافظاً على علاقتهما معى .

كان السفراء الأفارقة مؤيدين تماماً للكويت ويشجبون بشدة موقف العراق ، وأعلنوا رفض حكوماتهم للغزو العراقى ، وزارنى سفراء زائير(*) ، وأثيوبيا ونيجيريا وكينيا وأوغندا ، وأكدوا لى موقف بلادهم الرافض للغزو ، كما زارنى جميع السفراء الغربيين ، وأكدوا لى وقوفهم مع الكويت ورفضهم للاحتلال العراقى .

(★) كانت العلاقات الدبلوماسية بين الكويت وزائير فى تلك الفترة مقطوعة وكانت ، هذه أول مرة يزورنى فيها سفير زائير ليؤكد موقف بلاده الرافض للغزو العراقى للكويت .

كانت توجه «لأبى رجائى» سفير فلسطين فى الخرطوم كثير من الدعوات للحديث عن أزمة الخليج فى الندوات والمؤتمرات التى تنظمها الجامعات واتحادات الطلاب فيها ، لأن أحاديثه وآراءه كانت ترضى المنظمين لهذه الندوات ، فهو يدافع عن العراق بحرارة ، وأصبح موقف «أبو رجائى» هذا موضع غمز بيننا نحن سفراء دول مجلس التعاون الخليجى الخمسة ، ذلك أننا موجودون فى الخرطوم وسفير فلسطين وحده يتحدث عن أزمة الخليج ويقيّمها ، هو لاشك عربى ويستطيع أى عربى أن يتحدث عن أى بلد شقيق آخر ، ولكن لن يتمكن من نقل الصورة بالعمق والوضوح كما ينقلها سفير البلد نفسه ، «فأبو رجائى» لايستطيع أن يتحدث عما يفعله جنود صدام فى الكويت ، لأنه ليست عنده المعلومات الكافية ، مثلى تماماً فأنا لا أستطيع أن أتحدث عن فلسطين بالعمق الذى يطرحه هو .

وجاءنى وفد من اتحاد طلاب جامعة القاهرة فرع الخرطوم ، وقالوا أن السفير أبو رجائى ألقى قبل بضعة أيام محاضرة عندهم شرح فيها أزمة الخليج وأبعادها ، ونحن كاتحاد نريد أن نسمع رأيك أيضا ، فقلت لهم اننى لا أمانع ولكن بشرط أن يكون هذا رسمياً وبعلم وزارة الخارجية السودانية ومعتمد العاصمة . وأن تكون الموافقة خطية ويدعى لها السفراء العرب لمن يرغب منهم الحضور .

وتم هذا بالفعل ، وتحدد مساء الخامس من يناير ١٩٩١ موعداً لهذه الندوة وحضرها بعض الزملاء منهم محمد المحاميد سفير سوريا ، والدكتور على اليحيى مدير المركز الإسلامى الأفريقى ، والقائم بأعمال كل من مصر واليمن والمغرب وقطر ، وزميلى المستشار محمد إبراهيم الناصر ، وجمع كبير من الطلاب والطالبات والأساتذة وجمهور من الحضور .

وفى كلمتى ، شرحت وفندت مزاعم العراق وادعاءاته حول أطماعه فى الكويت ، وتحدثت عن الممارسات غير الإنسانية التى يقوم بها زبانية صدام على الأراضى الكويتية ، ثم أجبت على أسئلتهم وكانت تأتى مكتوبة على ورقة وتعرض على منظم الندوة الذى يقرأها بصوت مسموع . لاحظت أن الاسئلة تكاد تكون موجهة من السفارة العراقية وليست من مواطنين سودانيين ، وكنت أجيب عليها بصراحة وهدوء تامين ، وأعتقد أننى وُفقْتُ فى اجابتى على كل أسئلتهم بما يرضينى .

من بين هذه الاسئلة أن ماحدث هو عمل وحدوى والدول العربية تسعى الى الوحدة ، فقلت أن ما حدث ليس وحدة وإنما هو احتلال واغتصاب وشرحت

ماتعرض له الكويتيون والكويتيات من جرائم وسرقة واغتصاب وتنكيل وتعذيب ، وقلت أن صحفكم المحلية تنشر أحيانا أنه قد تم تنفيذ حكم الإعدام على اثنين أو أكثر فى مناطق بالسودان لارتكابهم حوادث سطو ، وهذا هو حكم الشرع ، فكيف ينشر اعلامكم أن ما حدث للكويت أمر طبيعى ، وتؤيد فى نفس الوقت أحكام الإعدام بحق الخارجين على القانون فى السودان .

وقلت أيضا أن الوحدة هى كتلك التى قامت بين شطرى اليمن ، الجنوبى والشمالى حيث قامت وحدتهما عبر المؤسسات الدستورية وأخذت وقتا طويلا حتى تكللت الجهود بقيام الوحدة بينهما ، كذلك تلك الوحدة التى قامت قبل عام بين الألمانيتين ، هذه هى الوحدة ، وليست الوحدة هى ذلك الغزو المسلح الذى قام به صدام حسين ضد الكويت .

وكان بين الأسئلة سؤال يقول .. كيف أفسر وجود القوات الأجنبية وهى تدنس الأراضى المقدسة ؟!

قلت إنى أعتبر هذه القوات بمثابة سيارات مطافىء .. فالكويت أشبهها بشقة فى عمارة ، وقد أصاب هذه الشقة حريق ، وأن وجود هذه القوات هو لاطفاء الحريق فى هذه الشقة ولمنع انتشار النيران إلى الشقق المجاورة .

أما قولكم أنها تدنس الأراضى المقدسة ، فكلام مردود عليه ، فأكثركم إن لم يكن كلكم يعلم أن الأراضى المقدسة تقع فى إقليم الحجاز ، أى فى غرب المملكة ، وان ليس كل هذا الإقليم أراضيه مقدسة ، فمدينة جدة كانت قبل بضع سنوات مقراً للسفارات الإسلامية وغير الإسلامية وهى تبعد نحو ثمانين كيلو متراً عن الحرم المكى الشريف ولايزال غير المسلمين يقيمون فيها وتستقبل يومياً أعداداً منهم ، أما الأراضى المقدسة فهى التى تدخل فى دائرة الأربعين كيلو متراً فى كل من مكة المكرمة والمسجد النبوى الشريف فى المدينة المنورة ، وماعداها أراض عادية ، وأن القوات الأجنبية تتواجد فى شرق المملكة أى على بعد أكثر من ألف وخمسمائة كيلو متراً عن الأراضى المقدسة .

وكيل وزارة الخارجية السودانية

اعتادت معتمدية الخرطوم أن تقيم حفلاً سنوياً لها (فى شهر اكتوبر أو نوفمبر من كل عام) فى الميدان الحامل لاسمها فى وسط سوق العاصمة ، خلال ساعات العمل صباحاً .

كان المسئولون فى المعتمدية يوجهون الدعوة للسفراء لحضور هذا الحفل ويدعى له وكيل وزارة الخارجية ويحضره معتمد العاصمة وكبار المسئولين فيها ، والحفل يبدأ عادة بتلاوة قصيرة من القرآن الكريم ثم كلمة المعتمد يعقبها كلمة الخارجية السودانية .

فى هذا الحفل جلس بجانبى رجل طويل القامة ممتلىء الجسم ، ماكنت قد التقيت به سابقاً وما عرّفنى هو بنفسه .

تحدث المعتمد العميد عثمان محمد سعيد وعدد إنجازات المعتمدية خلال الفترة السابقة وأشار فى كلمته إلى (موضوع الساعة) مشكلة الخليج وأكد رفض السودان لتواجد القوات الأجنبية فى المنطقة والدعوة إلى حل المشكلة عربياً .

بعد كلمة المعتمد طلب عريف الحفل من وكيل أول وزارة الخارجية بالإنابة الدكتور عبدالرحمن محمد سعيد(*) أن يقول كلمة الوزارة . فإذا الشخص الجالس بجانبى ينهض من مقعده ويتجه إلى المنصة ، كان مفاجأة لى ولمن كان يحضر من السفراء ، ان يكون هو الوكيل لأن الخارجية السودانية لم توزع تعميماً على السفارات ، تعرّفها فيه أن وكيلاً جديداً قد تولى مهام هذه الوظيفة فى الوزارة .. تناول فى كلمته التى قرأها من ورقة مكتوبة أخرجها من جيبه ، مشكلة الخليج ، وأكد حق الشعب الكويتى بأرضه وعودة الشرعية ودعا إلى حل عربى لمعالجة المشكلة ليسحب العراق قواته من الكويت .

كانت هذه الصراحة مفاجأة لى ، لأنها أول مَرَّة منذ الغزو العراقى يتحدث مسئول سودانى ، خاصة من وزارة الخارجية ، بمثل هذا التعبير .

بعد أن أنهى كلمته وعاد إلى مقعده ، شكرته على كلمته ، لأنه أكد فيها حق الشعب الكويتى بأرضه واعتذرت له لأننى ماكنت قد عرفته عندما جلس وطلبت منه موعداً .. التقى به معه فى مكتبه بصفتى عميداً للسلك الدبلوماسى ، فحدد لى موعدا فى اليوم التالى .

فى مكتبه عرفت منه أنه عين مؤخراً فى هذا الموقع ، فأبلغته أنى لو كنت قد علمت ، لكنت عنده فى اليوم التالى لتعيينه لأكون أول المهنئين بصفتى العميد وكذلك كان سيفعل رؤساء المجموعات العربية والأفريقية والأوروبية .

(★) الدكتور عبد الرحمن محمد سعيد من أعضاء الجبهة الاسلامية ، يعمل الآن سفيراً لبلاده فى إيران .

في هذا اللقاء صارحته أن هذه المرة الأولى التى أسمع فيها مسئولا سودانيا يتحدث بهذا الوضوح عن حق الشعب الكويتى فى أرضه وعودة الشرعية الكويتية ، وأكدت أيضا أن الشعب الكويتى وقيادته السياسية لاينشدون ولايدعون لحل عسكرى ، إنما يطالبون العراق ، الإمتثال للقرارات الدولية ويسحب قواته من الكويت .

قال وهو يستعدل فى جلسته ، ولكن عليكم أن تتنازلوا عن شيء ، فمثلاً لو تنازلتم عن الجزيرتين (وربه وبوبيان) وعن حقول الرميله النفطية وبعض المبالغ ، بمعنى أن تتنازلوا للعراق عن ١٠٪ خير من أن تفقدوا كل الكويت ، فكلمة الكويت ، تقرأها اليوم فى كل وسائل الإعلام ، ولكن مع مرور الوقت قد لاتجدها مكتوبة حتى فى الصفحات الداخلية ، قلت لاأظن أن هناك دولة تنازلت عن جزء من أراضيها لتتجنب اعتداء من دولة أكبر منها حتى لا تحتل جزءاً فى أراضيها بالقوة متى ما شاءت . (انتهى اللقاء) .

هذا الحديث بالتنازل عن جزء من الأراضى الكويتية ، سمعته من أكثر من شخص قيادى فى الجبهة الإسلامية .

يتجاهلون اسم الكويت

اعتاد بعض المسئولين تجاهل اسم الكويت وذكرها بعد الغزو العراقى ، وخاصة بعد أن أعلنت العراق من جانبها ضم الكويت إليها واعتبارها المحافظة رقم (١٩) واتخذوا لها اسم (كاظمة) .

أذكر على سبيل المثال العقيد يوسف عبدالفتاح نائب معتمد العاصمة وقد عرف بنشاطه وهمته فى تنظيف شوارع العاصمة وذلك بجمع التبرعات من التجار والمواطنين لهذا الغرض ، واستطاع بالفعل أن يبرز ملامح العاصمة ، حيث كان يطوف بنفسه فى الأسواق والشوارع ولايعتمد على إصدار التعليمات ، وقد ربطتنى به صداقة طيبة .

وبعد الغزو كان يتفقد شبكة الكهرباء بالعاصمة القومية الممولة سلفاً من الصندوق الكويتى ، وكان مكتوباً على لوحات صغيرة فى المناطق التى زارها حول غرف «الكابلات» عبارة «الصندوق الكويتى» .. ورغم ظهور هذه اللوحات فإنه لم يذكر اسم الكويت وهو يتفقد واكتفى بالقول : «انها تمت بتمويل خارجى» .

وأيضا قبل شهر ديسمبر من ذلك العام عقد وزير الصناعة الدكتور / محمد أحمد عمر مع الجانب الكويتى المقيم فى لندن لقاءاً لبحث المشاريع التى تقوم بها الشركات الكويتية فى السودان . وعندما عاد إلى الخرطوم قال فى تصريح إعلامى : أنه ذهب إلى لندن والتقى بـ «الطرف الآخر» الشريك فى المشاريع ، ولم يقل إنه التقى مع الجانب الكويتى .

افتتاح المتحف العلمى

فى شهر ديسمبر من عام ١٩٩٠ دعا السيد محمد خوجلى صالحين وزير الإعلام السودانى جميع السفراء المعتمدين فى الخرطوم لحضور حفل افتتاح المتحف العلمى بعد أن أجريت عليه عملية صيانة شارك فيها عدد من الدول الغربية . وفى بطاقة الدعوة كتب أن سفير فرنسا سيقول كلمة نيابة عن السفراء ، وقد أدهشنى ذلك لأن سفير فرنسا جديد ، وهناك العديد من السفراء أقدم منه ، وإذا كانت بلده قد شاركت فى هذا الترميم فكان يمكن لوزارة الإعلام أن تقول أنه سوف يتحدث نيابة عن الدول التى شاركت فى الصيانة ، أما أن يتحدث عن السلك الدبلوماسى فى وجود عميده فهذه سابقة دبلوماسية ، وهنا أعطى لنفسى الحق فى أن أربط بين هذا التجاهل بوصفى العميد وبين ما نسب إلى قطب فى الجبهة الإسلامية بعد قرار مجلس الأمن الذى أنذر فيه العراق بسحب قواته ، بقوله أنه لابأس من ذكر اسم الكويت الآن ولكن شفاهة وقد نطقها بالإنجليزية (By Lips) .

تحدث عن الدبلوماسيين فى الحفل القائم بالأعمال الفرنسى وليس السفير لغيابه .

فحادثت (الوزير صالحين) ونحن لازلنا فى المتحف بحضور السيد أحمد محمود النائب العام وزير العدل متسائلا كيف تعطون للقائم بالأعمال الفرنسى الحق أن يتحدث نيابة عن السلك الدبلوماسى وأنا هنا العميد معكم ، فحاول أن يبرر ثم قال «أنا لا أفهم فى الدبلوماسية» .. قلت له هذه نقطة نظام أسجلها .. كان بإمكانك أن تسأل الخارجية السودانية لتدلك على الطريق الصحيح .

فى اليوم التالى ذهبت إلى السيد مدير المراسم بوزارة الخارجية الدكتور على خالد وسلمته بطاقة الدعوة وقلت له : أنى أحتفظ بحقى كعميد ، برجاء عدم تجاوزى فى المستقبل من قبل أى وزارة ، ودعوت السفراء بعد ثلاثة أيام من هذا التاريخ إلى حفل استقبال فى منزلى بمناسبة توديع أحدهم . وفى كلمتى قلت :

كنت أتمنى أن يعتذر القائم بالاعمال الفرنسى وقد طلب منه أن يتحدث باسم السفراء لأن هذه ليست مسئوليته ، وبالفعل وجه كل الزملاء اللوم له .. فتقدم إلىَ معتذرا .

وأذكر عندما ذهبت مرة لألتقى بمدير المراسم وجدت دبلوماسيا عراقيا موجودا يتأهب للدخول ، وما أن رآنى حتى امتعض وجهه ، فتاجهلته ودخلت ، فدخل خلفى مخاطبا نائب المدير بقوله : «أنى هنا قبل هذا» ، وهو يشير بيده نحوى ، وقال أيضا : إنى كلما أرى «هذا» ، يفور دمى ، فرد عليه نائب المدير قائلا : عليك أن تنتظر ، «فهذا» هو العميد وعلينا أن نستقبله فى أى وقت ، وله الأولوية حتى لو كان هناك سفراء ، وأنت مجرد دبلوماسى .

الوفد الشعبى يزور الخرطوم

وفى الخرطوم كنت أعد لاستقبال الوفد الشعبى الكويتى الذى تحدد وصوله فى يوم الثانى عشر من شهر ديسمبر ١٩٩٠ ، وقد ساعدنى فى التحضير عدد من أبناء الجالية السودانية الذين كانوا قد عادوا إلى الكويت بعد الغزو هربا من البطش العراقى كغيرهم من كل الجنسيات الأخرى عربية وغير عربية ، وشكلوا لجنة تطوف على المواطنين السودانيين فى منازلهم لتبلغهم أن وفدا شعبياً كويتياً سوف يصل ويدعونهم لكى يكونوا فى استقبال الوفد ، وقام السودانيون بكتابة عبارات الترحيب على لافتات من القماش ، وقد زودتهم السفارة بالأعلام الكويتية وصور صاحب السمو الأمير وسمو ولى العهد ، ذلك لأنه فى السودان لا توجد جالية كويتية لتتعاون مع السفارة وتعمل معها .. لذا فإن هؤلاء المواطنين كانوا لنا فى السفارة خير عون وسند وقاموا بدورهم كمواطنين كويتيين ، رغم مضايقة رجال الأمن لهم .

وفى اليوم المحدد لوصول الوفد ، كنت فى المطار ومعى الدكتور مصطفى عثمان ، أمين عام مجلس الصداقة ، ووجوه فاضلة من أبناء الشعب السودانى الذين كانوا يعملون فى الكويت من أطباء وأساتذة ومندوب من مراسم القصر الجمهورى ، وقد خصص لكل عضو فى الوفد سيارة حكومية تحمل لوحة الضيافة وأيضا تواجد عدد من الدراجات النارية لتكون فى مقدمة الوفد الشعبى لفتح الطريق ، وبعد أن ركبوا السيارات وأثناء خروجهم من المطار فوجئوا بعدد كبير من المواطنين السودانيين يحملون لافتات الترحيب بهم ويحملون صور الأمير وولى العهد وأعلام الكويت ، حتى أن رئيس الوفد عندما شاهد هذا المنظر دمعت عيناه .. ذلك أنه تصور أن كل السودان مؤيد للعراق فى غزوه للكويت ولكنه فوجىء وأعضاء الوفد بموقف شعبى مغاير لما تنقله وسائل الإعلام

الخارجية وتكتبه عن السودان وموقفه من الغزو العراقى من خلال ماتنقله عن أجهزة الإعلام السودانى .

شق الموكب طريقه تتقدمه الدراجات النارية متجها عبر شارع النيل إلى مبنى مجلس الشعب الذى يقع عند مدخل مدينة أم درمان .

وفى مجلس الشعب اجتمع الوفد بالسيد عز الدين السيد رئيس مجلس الصداقة العالمية وبحضور رؤساء اللجان ، وشرحوا أبعاد الغزو وما ترتب عليه من أضرار لحقت فى الوطن والمواطنين الكويتيين فى الداخل والخارج .

وبعد هذا اللقاء توجهوا رأسا إلى مكتب السيد العميد عثمان أحمد حسن عضو مجلس قيادة الثورة ، رئيس اللجنة السياسية وأكد لهم أنه مع الشرعية الكويتية ، ومع عودة المواطنين الكويتيين إلى وطنهم وسحب القوات العراقية .

فى اليوم التالى عقدوا مؤتمرا صحفياً فى قاعة الإجتماعات بمبنى وزارة الإعلام وكانت أكثر أسئلة الصحفيين استفزازية . وفى المساء حضروا ندوة شعبية فى قاعة نواب مجلس الشعب الكبيرة حضرها الدكتور مصطفى عثمان أمين عام مجلس الصداقة وعدد من رؤساء الإتحادات والنقابات وجمع غفير من المواطنين السودانيين العائدين من الكويت ، بعدها انتقل الوفد إلى مقر منظمة الدعوة الإسلامية فى ندوة مماثلة ، وفى هاتين الندوتين كان الحوار واضحاً وصريحاً .

فى اليوم التالى غادر الوفد مطار الخرطوم ، وقد خرج بانطباعين عن هذه الزيارة ، الأول أن الشعب السودانى مع الكويت ، والثانى أن الإعلام السودانى ضدها .

والحقيقة أن موقف الشعب السودانى كان مغايرا لموقف الإعلام الرسمى . وحتى بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة والوزراء فى الحكومة ، وأقول «بعضاً» بكل تجرد ، بأنه ليس كل من التقيت بهم من أعضاء مجلس الثورة أو من الوزراء كانوا مؤيدين لهذا الغزو .

أجد لزاما علىّ أن أشيد بموقف الشعب السودانى بكل فئاته فقد كان بقلبه مع الكويت وشعبها ، رافضا هذا الغزو الغاشم بإستثناء أعضاء الجبهة الإسلامية . ومعهم حزب البعث السودانى المؤيدون للعراق ، أما حزب الأمة والحزب الاتحادى الديمقراطى والأحزاب الجنوبية فهم رافضون للغزو ، وهؤلاء يشكلون فى مجموعهم خمس أسداس الشعب السودانى ، حيث أن مجموع مقاعد النواب فى الجمعية التأسيسية كان يبلغ ٣٠١ مقعداً ، فاز حزب الجبهة الإسلامية فيها على ٥١ مقعداً وبذا يكون نسبة حزب الجبهة الإسلامية يساوى ٦/١ من مجموع المقاعد .

وأذكر بعض المواقف منها أننى تسلمت من السودانيين الذين أسروا فى الأيام الأولى للغزو ، وكانوا يعملون فى المستشفى العسكرى الكويتى كشوفاً تحمل أسماء ضباط وجنود من كافة الوحدات العسكرية الكويتية الذين أسروا معهم ، وكانوا يبكون وهم يصفون هول ما شاهدوه من اضطهاد وقسوة خلال فترة احتجازهم فى السجون العراقية ، فكنت أقوم بتهدئة خواطرهم ، فى الوقت الذى كنت فى داخل نفسى أشعر بأن أحشائى تكاد تتمزق ، وأن شراييني تكاد تنفجر .

ومن هذه المواقف أيضا ما قام به الدكتور كمال الدين عثمان محمد صالح أستاذ العلوم السياسية بجامعة الكويت الذى عقد ندوة بجامعة الخرطوم فند فيها المزاعم العراقية الباطلة وجاء فيها «لو أن الكويت تعتبر جزءاً من العراق كما يدعى صدام حسين وطغمته ابان الحكم العثمانى للعراق فإن هذا يعنى أن الباب مفتوح لتركيا للمطالبة بضم العراق إليها ، لأن العراق كانت جزءاً لا يتجزأ من الدولة العثمانية السابقة .

وطالب هؤلاء السودانيون العائدون من الكويت أن يقوموا بمسيرة صامتة وليست مظاهرة كالتى جرت من قبل ضد التواجد الأجنبى ، فقط مسيرة صامتة للتعبير عن أن شريحة من هذا الشعب السودانى تؤيد الكويت فى حقها .. إلا أنه رفض طلبهم من قبل الأمن بحجة أن الدول العربية الأخرى التى تدعم الغزو العراقى لم تخرج فيها مظاهرة كالتى يطالبون بها .

وكان بعض السياسيين من خارج السلطة يزورونني فى مكتبى ويعتذرون عن موقف إعلامهم وحكومتهم الشائنين من الكويت .

وقد اعتقلت سلطات الأمن خمسة من الجنوبيين بعثوا ببرقيات عن طريق المكاتب الحكومية إلى الأمير ولى العهد مؤيدين حق الكويت ورافضين الغزو ، وتم اعتقالهم وأودعوا السجن بتهمة أنهم خالفوا السياسة التى تنتهجها الحكومة من الغزو وأبدى كثير من السودانيين شماليين وجنوبيين الرغبة فى التطوع للمشاركة فى تحرير الكويت .

وأذكر أيضا الدكتور «أبو شامة» من ضباط الشرطة برتبة فريق ووزير سابق للداخلية السودانية ويعمل خبيراً بوزارة الداخلية الكويتية كان يزورنى كثيراً مبديا استعداده للسفر وعمل ما يمكن عمله من أجل الكويت .

وأذكر أيضا السيد «أحمد حنقه» مراسل جريدة «الأنباء» الكويتية بالخرطوم الذى ما انقطع عن الزيارة منذ الساعات الأولى للغزو ، وكان يتواجد بيننا طوال ساعات النهار .

وخلال فترة الغزو العراقى للكويت كان الدكتور عمر بليل(★) يزورنى بشكل يكاد يكون يوميا مبديا شجبه ورفضه لهذا الغزو الغادر مستفسراً عن أحوال مواطنينا فى الداخل مؤكداً أن الكويت عائدة لأهلها قريبا . فكان رحمة الله عليه من أكثر الناس المواسين لى خلال المحنة ، وعندما توفاه الله فى السادس من شهر فبراير عام ٩١ ، قبل التحرير بقليل ، حضر لى من يقول : «ياليت المرحوم عايش ليهنأ بهذه الأخبار السارة» . وعندما سمعت زوجتى بوفاته بكته كأحد أفراد أسرتنا .

وقد تلقيت العديد من الرسائل والقصائد المؤيدة للكويت وحقه فى الدفاع عن نفسه ، والشاجبة للغزو العراقى .

واورد ثلاث نماذج منها :

الكويت يا أميرة

حبيبتى الكويت يا أميرة
يا غادة مسلوبة أسيرة
أراك تنظرين فى عجب
أراك تهتفين يا عرب
أراك تسألين ما السبب
المال والبترول والذهب

(★) المرحوم بليل أستاذ طب فى جراحة الكلى ، متدين يقضى رمضان قياماً فى تلاوة القرآن والصلاة أصيب بفشل كلوى توقفت معه كليتيه عن العمل فتبرع شقيق له بإحدى كليتيه ، وعاش باقى عمره على هذه الكلية المزروعة فى جسده .. شغل فى عهد الرئيس نميرى منصب مدير جامعة الخرطوم ، وآخر موقع كان يمارس فيه مهنته كان مستشفى «سوبا» الجامعى .. حضر لى قبل وفاته بأربعة أيام . وقال إنه اعتاد كل عام أن يذهب إلى العمرة وأنه بقى على هذا الموعد أربعة أيام وأنه يطلب منى أن أتوسط له عند السفير السعودى ليمنحه التأشيرة ، لأن السفير جديد ولم يتعرف عليه بعد . فرفعت سماعة الهاتف وكلمت سفير المملكة فلم يتردد فى موافقته ، إلا أن ارادة الله كانت أكبر فقد نوى المرحوم أن يذهب إلى العمرة ، إلا أن الله أراده عنده فى آخر هذه الايام الأربعة حيث أصابته نوبة عند منتصف ليلة الأربعاء السادس من شهر فبراير ٩٢ لم تمهله أكثر من ساعتين ، فبدل أن يتوجه فى الغد إلى مكة توجه إلى خالقها . رحمك الله يا ابامحمد

والحسن والجمال والنسب
وهيبة الشيوخ
تعانق الشموس فى شموخ
وتعلن الغضب
فكلنا غضب
والخنجر العربى
مازال مغروسا
فى الوريد وفى العصب
ومازال حقك
ياعروبة مغتصب
بغداد يابغداد
يامن اغتلت آل البيت
أراك تلتهمين فى نهم
موارد الكويت
بغداد تقتل الشيوخ والنساء
بغداد ترهب الصغار الأبرياء
بغداد تسفك الدماء
لقد أعدتى إلينا
يابغداد كربلاء
ماهذا عصر كربلاء
ولاداحس والغبراء
ولاالبسوس
إنه عصر الصواريخ
النووية الرؤوس
فحربها ضروس
فحربها ضروس
لذا استعنا بأمريكا
واستعنا بالمال وبالنفوس
لكى نوقف العبث المهووس
ولكى نفك أسيرنا المحبوس
ولذا أرجوك يابغداد

أن تغادرى المنصة طائعة
نرجوك يا بغداد
أن تعودى مسرعة
وتسحبى جيوشك المدرعة
فقد تكون يا بغداد
الضربة موجعة
قد تكون يابغداد
الضربة موجعة

وأيضاً أكتب مقالاً كما نشر فى جريدة « اليوم » السعودية الصادرة يوم الأربعاء الثانى من أكتوبر ١٩٩٠م ، وهو واحد من عشرات المقالات التى كتبها مواطنون سودانيون أثناء الغزو الغاشم .

د. السريع .. أحد ثلاثة معالم هامة فى السودان

من مواطن سودانى إلى السفير الكويتى بالخرطوم عبدالله السريع . اقصد « عبدالله جوبا » تحية الإسلام الخالدة أبدأ بها رسالتى إليك وهى السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

أصالة عن نفسى وعن أحبائك الأعزاء « أبناء الغبش » شعب السودان الشقيق التوأم لبلادكم الكويت ، كويت العزة والرفاهية من شيب وشباب ونساء وأطفال السودان قاطبة داخل وخارج القطر القارة ، أرض المليون ميل مربع بوديانه وسهوله وجباله ونيله وأنهاره أحيى فيك هذه الروح السامية التى مردها أصل معدنك الأصيل أصل كل كويتى حر .

فى هذه اللحظة سرحت بذهنى بعيداً عبر سنين طويلة مضت وأنا اقرأ خطابك الموجه إلى شعب السودان .. كانت المناسبة احتفال الكويت بعيده الوطنى وكان اللقاء معك عبر تليفزيون جمهورية السودان وانت بقامتك المعتادة كنت فارس تلك الليلة فى الزى الوطنى السودانى ، الجلابية والعمة شعرت انك فعلا جزء لا يتجزأ من ابنائك « الغبش » وايضا اتذكر قولك عندما سألك مقدم البرنامج عن اشهى المأكولات السودانية إلى قلبك فقلت بكل صدق « الكسرة والعصيدة بملاح أم رقيقة » فى تلك اللحظة انهمرت الدموع من عيونى . دموع الفرحة بهذا الإنتماء العربى الكبير الذى تجسد فى شخصك العزيز خاصة وأن الكويت ـ كويت العزة ـ وأهل الكويت فى حدقات المقل . يكبرون فى عيون أهلك

« الغبش » لأنك بكل صدقك وأمانتك الدبلوماسية حملت إليهم إحساس الشعب الكويتى تجاه إخوة لهم فى سودان « الغبش » .

وبالأمس القريب وقد قرأت رسالتك لشعب السودان .. انهمرت تلك الدموع ويقينى أن كل سودانى حر قرأ رسالتك قد بكى من أعماقه وخنقته العبرات وهم يرون وجهة نظر شعب الكويت وقيادته الحكيمة وحبهم وتقديرهم لأهلهم الغبش رغم انشغالهم بالأحداث المؤلمة التى مرت بهم من جراء الغزو الغاشم من العراق على أرض الكويت الطاهرة والمآسى التى حلت بالشعب الكويتى الشقيق .

فذلك الغزو المسلح من دولة عربية ضد دولة عربية مسلمة لم يراع حتى حسن الجوار وعلاقات القربى مع الكويت هذه الدولة التى لها كيانها فى المحافل والمنظمات الدولية والعربية والإسلامية .

ولايفوتنى أن أنشر عبر هذه الصحيفة كتابك الذى قمت بتأليفه عن مدينة جوبا . ولاأنسى مواقفك البطولية والشجاعة فى جنوب الوطن وإشرافك على مستشفيات الكويت والمشاريع الخيرية فى أرض الجنوب الحبيبة ، ودعمك الشخصى لها حتى سبق اسمك اسم أكبر مدينة وعاصمة للإقليم الجنوبى فلقبوك حبا لك بـ عبدالله جوبا ولا يفوتنى ان أذكر تلك الأسطر من مقالة أو رواية قرأتها تقول . إن فى السودان هناك ثلاثة معالم هامة الأولى جبل الرجاف(★) والثانية النيل والثالثة عبدالله جوبا اى د. عبدالله السريع .

ان محاولة طمس معالم دولة الكويت المتميزة ومحاولةتدمير ثقافتها وحضارتها ومايقوم به الجنود الغزاة من قتل وتنكيل وإبادة كلها أفعال لاتمت للدين الإسلامى بصلة .

إن مايعانيه الشعب الكويتى الشقيق بشيوخه ونسائه وشبابه وأطفاله جريمة ضد الإنسانية ويستنكرها كل سودانى حر ويعلم الله ثم يعلم الجميع إن شعب الكويت الابى الحر الذى رفض الإحتلال العراقى البغيض ووقف خلف قيادته الرشيدة بقيادة قائده ومفجر طاقاته ونهضته سمو الشيخ جابر الأحمد الصباح وسمو ولى عهده الأمين قد سطر بأحرف من نور ملحمة بطولية تاريخية شامخة بأصالتها وأصالة أبنائه الأبرار .

وأؤكد أن كل ماذكرته ياأخى د. السريع عن السودانيين ومواقفهم ضد هذا الإعتداء إنما هو شعور حقيقى ترجمته معانيك الجريئة فى رسالتك الموقرة وكأنى

(★) هو جبل فى الإقليم الاستوائى يبعد حوالى ١٢ كيلو مترا شرق مدينة جوبا ، مشهور بأنه يصيبه حالة رجف بين وقت واخر تهتز معه المنطقة كلها بما فيها المنازل فى جوبا ، لذا سمى جبل الرجاف .

بك أحد أفراد الشعب السودانى الغيور الذى اهتزت مشاعره لهذا الحدث الجسيم فكانت تعبيراتك المؤثرة وصدقها نابعين من قلب كل سودانى .

فلك منا الشكر والتقدير ونعاهدكم ونعاهد كل عربى ومسلم بأننا ضد أى اعتداء غاشم وضد كل من يحاول ان يعكر صفو دولة الكويت البلد العربى المسلم الشقيق من اولئك الغزاة الذين انتهكوا حرمة هذا البلد ودنسوا بفعلتهم الشنيعة سمعة الإسلام والعروبة .

وختاما لك ألف تحية من احبائك الغبش فى كل مكان وزمان .

محمد عمر عبدالحميد

مصور صحفى

بجريدة الجزيرة الطائف

كذلك أقدم هذه القصيدة لمواطن سودانى حضر إلى مكتبى وسلمها لى باليد واعْتَذَرَ عن ذكر إسمه ، وقد أهداها إلى حضرة صاحب السمو الشيخ جابر الأحمد الصباح أمير دولة الكويت تحت عنوان :

وظلمك «ياصدام» أقسى وأعظم

نَدينُ هوى الباغى ومن كان ظالماً ونشهـدُ أنَّ البغـى شىء محـرَّمُ
حملنا به ظلماً وقد خاب من بغى ومن ناصر العدوان أبغى وأظلم
غَنِّـىَّ له تسعَ وتسعـون نعجـةً ويطلب أخرى ساء ما كان يحكم
فلا تحسبوهـا فتنـة لايصيبكـم لظاها ، وينجو ماعداكم ويسلَـم
لقـد أهلك الله القـرون بظلمهـا وظلـمك ياصدام أقسى وأعظـم
فجـارك من بيـن الأنام مُرَوَّع وعهدُك للجيـران عهـدَ مذمـم
ثمانية كانت حسومـاً ، وقودهـا شبابٌ ، وَثُـكْلٌ فاجـعَ ، وتيتـمُ
أمن أجل شبر من تراب أضعتهم وضيعّتَ هذا الشبر إن كنت تفهم !

● ● ●

بنى القوم فى أرض الكويت حضارة فجئت لما شادوه ظلمـاً تحطـم
أعانوك فى الحرب الضروس فحظهم جزاءُ «سِنِمّـار» فويلك منهمـو
هُمٌ الجيرة الأدنون لم ترع عهدهم وكانوا يداً فى كل ما شئت تسهم
فمـا دعـوة المظلـوم إلا شرارة إلـى الله يرقـى حرُّهـا المـتضرم

● ● ●

قضوا ليلهم لايحملون بغدرة | فباغتهم فى الفجر جيشٌ عرمرم
أيغزوا ديار المسلمين موحدَ | وينتهك الأعراض فى الناس مسلم ؟
أطافوا بها قهرا وعاثوا بربعها | فسادا وغاب النور فالربع مظلم
لقد جحدوا واستيقنتها نفوسُهم | علوا وظلما فاستباحوا وأعدموا
مضتْ أمم قد دمَّر ملكها | ومارهطكم هذا عزيز فيُكرم
فلا تحسبن الله عن ذاك غافلا | فمثوى جميع الظالمين جهنم

● ● ●

لقد جئتموا ظلماً وزورا فما لكم | نصير وحادى الظلم يوماً سيعلم
أفيقوا فإنَّ الحرب ميتمةً لكم | ثأرَ على مرِّ الليالى مجسم

● ● ●

أطافت بربع الامين بلية | تفرقهم أيدى «سبا» وتُقسَّم
إذا صمدوا فالنار تحصد جمعهم | وإن غادروا فالموت أمرٌ محتم
لقد ضمت الصحراءُ باكى قبورهم | فلم يجدوا حتى الذى يترحم
فإن ران صمت موحشٌ حيث ودَّعوا | فإن دم الصرعى، فمَ يتكلم

سيُنْطقهُ الرحمنُ يوم حسابه | فلا ظلم فالديَّانُ بالعدل يحكم
إلى الله يشكو ظالماً طال قهرهُ | يُبَكّى عيون الثاكلاتِ ويبسم
ففى كل ربع أنَّةٌ وتظلّمٌ | وفى كل أحياءِ المدائن مأتم
فإن كنت تبغى من تعدِّيك مغنماً | فما الظلم والطغيان والشر مغنم

سترسو على «الجُودىّ» يوما سفينة | فبعداً لمن يبغى ومن كان يظلم
ويهبطُ منها فى سلامٍ ورحمةٍ | بُناة يشيدون الذى كنت تهدم

السودان لم يطبق العقوبات

بعد صدور قرار مجلس الأمن بفرض عقوبات اقتصادية على العراق ومحاصرته جواً وبحراً لمنع دخول المواد الغذائية وغيرها إليه ، لم يلتزم السودان بالقرار ، وأنشأ جسراً جوياً بين الخرطوم وعمّان لنقل اللحوم والمواد الغذائية التى كانت تنقل بعد ذلك بالشاحنات إلى بغداد وبلغ عدد هذه الرحلات الجوية ٣٤ رحلة فى الأسبوع . وكانت تنقل يومياً نحو عشرين طنا من اللحوم

الطازجة وأنواعا من الأطعمة المصنعة محليا مثل حلاوة الطحينية ، حيث صدرت إلى مصانع الحلوى تعليمات بأن تشغل بكامل طاقتها ليتم نقل ما تنتجه إلى العراق عبر الأردن ، إلى حد أن هذه الحلوى اختفت من أسواق الخرطوم . وقد حدث أن أحد هذه المصانع احترق ، ولا يعرف إن كان سبب الحريق ناتج عن تشغيله بكامل طاقته أو أحرق بفعل فاعل . وفى هذه الفترة اعترضت باخرة امريكية فى عرض البحر باخرة سودانية كانت تنقل مواد غذائية إلى ميناء العقبة فى الأردن ، مما اضطرها أن تلقى بحمولتها فى عرض البحر قبل أن تصل إليها الباخرة الأمريكية .

الدجالــون الثـلاثة

في أواخر شهر ديسمبر ، وبعد قرار مجلس الأمن بتوجيه إنذار للعراق . بات الأمل في عودة الكويت أمرا واقعا ، لذلك كانت السفارة فى الخرطوم تستقبل أعدادا كبيرة من المواطنين السودانيين معربين عن سعادتهم وسرورهم بهذا القرار ، وكان من بين من حضر ثلاثة أشخاص قدّموا أنفسهم على إنهم علماء مسلمون من جمهورية تشاد ، وأنهم جاءوا خصيصا من هناك لأنه لا توجد سفارة كويتية فى «جامينا » ، وإنهم هنا لا يعبرون فقط عن رأيهم وإنما عن كل الشعب التشادى تقديرا منه للخدمات التى تقدمها دولة الكويت لهم على شكل هبات تقوم بها اللجان الخيرية الكويتية فى تشاد ، خاصة لجنة مسلمى أفريقيا الكويتية التى تتولى إنشاء المدارس والمساجد والمستشفيات ونقل المواد الغذائية لبلادهم .

كان يغلب على حديثهم لهجة أبناء غرب السودان وسكان هذه المناطق قريبون من تشاد ، واثناء حديثهم ذكروا لى أن لديهم (فكيه) متخصص بأعمال الخير وإعادة الأشياء الغائبة إلى أصحابها حتى ولو كانت دولة ، وأنه قد نجح فى إعادة أحد زعماء تشاد إلى السلطة . وقالوا ان الكويت ستعود وبدون حرب وهذا ما قاله (الفكيه) لهم وأنهم يحتاجون إلى بعض المال لتقديم كرامة بذبح ثور فدية وإطعام مساكين لكى تخرج القوات العراقية بدون حرب .

طوال فترات عملى فى السودان التى دامت حوالي ١٨ عاما ، كنت أسمع عن أمثال هؤلاء الناس ، ولكنى أبدا لم اتعامل معهم ولا أؤمن بما يفعلون ، إلا أنه فى هذه اللحظة وأنا أعيش حالة نفسية غير عادية ولهفتى بعودة وطنى ، فلم أحاول صدهم وتعاملت معهم نتيجة لهذا الكابوس الثقيل الجاثم على صدرى منذ عدة أشهر .

قلت لهم : اسعوا .. والله هو الموفق ..

قالوا إن انسحاب القوات العراقية ليس عملاً سهلاً ، وهذا يتطلب ذبح ثور ، وأناس كثيرة تشارك فى الأدعية والإبتهال ، ويتطلب هذا أيضاً سرية تامة بحيث لا تبوح لأحد بما نفعل ، حتى لا تفشل جهودنا .

أعطيتهم عشرة آلاف جنيه سودانى أى ما يعـــادل ٣٠٠ دولار .. وانصرفوا .

عادوا بعد يومين وأحضروا لى ورقة قالوا إن عليها أسماء سبعة ملوك من الجان ، وأنهم بدأوا عملهم ، وإن الفقهاء أحضروا هؤلاء الجان ، وطلبوا منهم أن يقوموا بهذه الأعمال والسعى لإخراج القوات العراقية من الكويت ، وهم يطلبون كرامة أخرى لأنهم بالفعل ذهبوا لصدام وطلبوا منه أن يرحل ويسحب قواته من الكويت ، وقالوا أنهم بدأوا فى العمل الجاد ويحتاجون إلى مبلغ عشرين ألف جنيه ، وأضافوا إنه خلال خمسة عشر يوماً سيعود الكويت إلى أهله بدون حرب .

أعطيتهم ما طلبوه من حسابى الخاص ، فأنا لا يهمنى الآن إلا أن تعود الكويت حتى لو كانت على أيدى الشياطين والجان كما يفعل هؤلاء .

تكررت زيارة هؤلاء الأشخاص ، ويبدو أنهم شعروا بمدى لهفتى على عودة وطنى ، فازدادت مطالبهم ونشطوا فى إظهار ما يقومون به من أسرار ، ووصلت مطالبهم إلى حد انهم طلبوا مليون جنيه ، وتأشيرة دخول إلى السعودية لمقابلة صاحب السمو الأمير وسمو ولى العهد ، لإبلاغهما بما يقومون به من أعمال خارقة لاعادة الكويت وتحريرها من أيدى القوات العراقية ، فقلت لهم إن الأمير وولى العهد لا ينشغلان بمثل هذه الأمور ، واستمرت زيارتهم لى فى المنزل وفى المكتب وفى كل مرة يطلبون منى مطالب غريبة ، وبدأت أشعر أن عملهم هذا نوع من النصب والإحتيال خاصة أن مطالبهم زادت عن الحد ، وأصبحت تصرفاتهم ثقيلة ، يأتون بغير موعد وفى أى وقت وبلغ ما حصلوا عليه منى ما يعادل أربعة آلاف دولار ، فبدأت أتشكك فى أمرهم ، وقررت أن أصدهم وأمنعهم من دخول السفارة نهائيا .

وحدث أن زارنى شخصان كنت قد تعرَّفت عليهما من مدة قريبة ، وبعد دخولهما أبلغتنى السكرتيرة أن الأشخاص الثلاثة موجودون بالخارج فحكيت لهما قصة هؤلاء الثلاثة ، فانفعلا بشدة وقالا إن هؤلاء دجالون ويجب تسليمهم

للشرطة ، وأن عَليَّ أن أبقيهم فى الخارج منتظرين إلى أن يذهب واحد منهما ليحضر ضابطا من المباحث ويلقى القبض عليهم .

ذهب أحدهما وأبلغت السكرتيرة أن تطلب منهم أن ينتظروا بعض الوقت لأنى مشغول الآن ، وفعلاً حضر الشخص ومعه ضابط برتبة عقيد بملابس مدنية ، أعرفه ويعرفنى ، وأخذ الأشخاص الثلاثة معه ، وفى التحقيق اعترفوا أنهم أخذوا منى مبلغا من المال وبعض الأشياء العينية ، وطلب منهم المحققون أن يعيدوا المبلغ فوعدوا ، وإلى أن غادرت الخرطوم فى نهاية أغسطس ١٩٩١ ، لم يعد لى المبلغ .

اتضح فى التحقيق أنهم ليسوا تشاديين كما زعموا بل محتالون من أبناء غرب السودان .



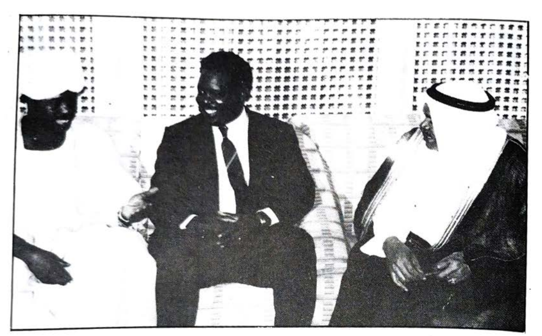
المرحوم البروفيسير عمر محمد بليل (يرتدى البدلة) وفى الوسط البروفيسير يوسف فضل مدير جامعة الخرطوم فالسيد عثمان الحيدر لقطة فى احتفال السفارة بالعيد الوطنى .
فبراير ١٩٨٩ م



المرأة الكويتية كما خرجت رافضة للغزو تخرج فى هذه الصورة مهللة فرحة بمناسبة التحرير رافعات الأعلام الكويتية وصور للأمير وولى العهد .



العقيد محمد الأمين خليفة عضو مجلس قيادة الثورة ، رئيس لجنة السلام ، حضر مهنئا باسم المجلس العسكرى لثورة الانقاذ بمناسبة تحرير الكويت وذلك فى الحفل الذى اقامته السفارة فى ليلة الرابع عشر من شهر مارس ١٩٩١ م



ولقطة أخرى حضرها العميد دومنيك كاسيانو عضو مجلس قيادة الثورة ١٤ مارس ١٩٩١ م



جانب من المدعويين فى حفل السفارة ويظهر على اليمين السيد على سحلول وزير الخارجية السودانى ١٩٩١/٣/١٤ م



اللواء مساعد النويرى حاكمَ الإقليم الشمالى يهنىء ١٩٩١/٣/١٤ م



مخلفات الغازى العراقى المندحر أبريل ١٩٩١ م



كلمة السفير (المؤلف) فى حفل السفارة بمناسبة تحرير الكويت ١٩٩١/٣/١٤م ويظهر الشطر الأول من بيت الشعر الثالث الذى ألفه .

الفصل العاشر

تحرير الكويت

(الفصل العاشر)

تحرير الكويت

عندما اجتمع مجلس الأمن فى الأسبوع الأول من شهر ديسمبر ١٩٩٠ ، واتخذ قراره الشهير بمنح العراق مهلة أربعين يوماً بسحب قواته من الكويت وإلا سيطرد منها بالقوة ، ارتفعت معنوياتنا النفسية ، أنا وكل مواطن كويتى ، من تحت الصفر إلى أكثر من مئة بالمئة وبدأت أحضر اللقاءات والإجتماعات بشعور المواطن الذى عادت له أرضه ، حيث كنت قبل هذا القرار اتعامل مع الناس ولكن فى داخلى كنت أشعر أنى مكسور الخاطر .

وبدأنا أنا وزميلى فى السفارة نستعجل عد الساعات وليس الأيام أملا فى أن يأتينا خبر من العراق أن صدام حسين قرر سحب قواته تحت الضغط الدولى ، وفى نفس الوقت نستعجل أن يأخذ جزاءه إذا تأخر فى تنفيذ هذا القرار برغم قناعتنا أن صدام حسين لن يصاب فى هذه الحرب .. وإنما الذى سيتضرر ، هم الآلاف من جيش وشعب العراق ، ولكن ما حيلتنا إذا كان رئيسهم يريد لهم ذلك .

كانت اتصالاتى قد ازدادت بعد قرار مجلس الأمن ، مع كثير من الساسة السودانيين(★) من العاملين فى الحكومة أو خارجها ، وكنت أقول لهم ان الكويت عائدة ، وعليكم أن تصححوا موقفكم ، فالعلاقات لن تكون متينة كما كانت وعليكم أن تتداركوا الأمر حتى تعود العلاقة إلى سابق عهدها أو على الأقل لا تنسوا وأنتم تتحدثون أن تكرروا اسم الكويت وحقها ، وناشدوا صدام حسين أن يخرج لتؤكدوا بوضوح موقفكم .. افعلوا ذلك ولنسعى معاً لتقريب الهوة التى اتسعت بعد المواقف الواضحة فى إعلامكم من الغزو العراقى للكويت ، والظروف الآن مواتية لكم .. وأنا مستعد أن أساهم معكم .

(★) من هؤلاء الدكتور عبد الحميد صالح نائب رئيس مجلس الشعب سابقاً وعضو حزب الأمة والسيد عبد الرحيم حمدى وزير المالية .

كان مجلس الأمن قد حدد مهلة لانسحاب القوات العراقية من الكويت مدتها أربعون يوماً . وقد انتهت المهلة فى ١٥ يناير ١٩٩١ ولم تبدأ الحرب ، وظن بعض الناس أن هذا قد يكون عجزاً من دول الحلفاء . خشية أن يضربها العراق بالأسلحة الكيماوية التى طالما روج أنه يمتلكها ، وقد نشرت الصحف السودانية رسوماً (كاريكاتورية) للرئيس الأمريكى بوش وهو يتوسل إلى صدام حسين بأن ينسحب .

ولكن عندما بدأت العمليات العسكرية بحلول منتصف ليلة السابع عشر من شهر يناير ٩١ بالضربة الجوية ، تغير موقف الإعلام السودانى وأصابه وجوم دام يومين ، بعدها بدأ ينظم نفسه بإعلام مضاد ، وذلك بالتقليل من قيمة قوة الحلفاء ، وعندما ظهرت سحب كثيفة خلال الإسبوع الأول من بدء الهجوم الجوى فى منطقة الخليج ، قالوا ان الله نصر صدام على قوى البغى .

فى حين كنت أنا ومنذ بداية المعارك قد وضعت أمامى أربع أجهزة مذياع (راديو) لأتابع أخبار تحرير الكويت من جند طاغية بغداد من أربع محطات إذاعية فى وقت واحد ، وماكنت أنام إلا بعد أن تتوقف جميع الإذاعات عند الساعة الثالثة صباحاً لأستيقظ فى الساعة الخامسة أى بعد ساعتين لأستمع إلى أخبار الإذاعة البريطانية .

وكنت استعجل التحرير وتمنيت لو أن آلة الحرب بيدى لأقصف بها فى وقت واحد ، كل موقع فيه جند لصدام ، وبعد أن أشعلت النار فى آبار النفط ، تخيلت السواد الذى يغطى مبانى وشوارع الكويت .. ولكن هذا لا يهم ، فالمهم أن تعود الكويت وعندها سنغسل شوارعها بدموعنا ونطهر ترابها من دنس الغزلة بألسنتنا .. المهم تعود لنا .

كنت كغيرى من الكويتيين الذين فى الخارج قلقين على المواطنين الذين هم فى داخل الكويت ، إلا أنه بعد التحرير تبين العكس ، فقد اتضح أن الكويتيين الذين بالداخل كان يطربهم صوت المدافع والتفجير ، وإذا تأخر مرور الطائرات من فوق منازلهم كانوا يشعرون بقلق خشية أن تتوقف الحرب . وكانوا يخرجون إلى سطوح المنازل والكل مستبشر فى حين كان الجنود العراقيين يفرون من الجبهة ويحتمون وسط الأهالى خوفاً على حياتهم .

. ومع هذا كان الاعلام السودانى يقلل من القصف الجوى ويصف قوات الحلفاء بالجبن لأنها لم تهاجم برا مكتفية بالطلعات الجوية وأن قوات الحلفاء سوف تلقى حتفها على يد القوات العراقية عندما تبدأ بالهجوم البرى .

عندما بدأ الهجوم البرى فى الثالث والعشرين من شهر فبراير ١٩٩١ م ، قللوا أيضاً من قيمته ، وقالوا إن القوات العراقية سوف تقاوم لسنوات وليس لأيام أو أشهر ، وقالوا إن سبب تأخر بدأ المعارك البرية يعود إلى أن قوة الحلفاء تسعى لجلب آلاف التوابيت لوضع جثث قتلاهم فيها .. إلا أن الحقيقة كشفت زيف الإدعاء .. حيث لم تستطع القوات العراقية أن تقاوم الهجوم لمدة يومين اثنين ، فانسحبت ليلاً . وبسرعة عشوائية تجاه العراق ما عدا أفراد اختلطوا وسط الأهالى ، لم يصلهم خبر الإنسحاب ، فعندما استيقظ الشعب فى الكويت صباح يوم ٢٦ فبراير ١٩٩١ أصيبوا بدهشة لأنهم لم يروا أحدا من القوات العراقية ولا دباباتهم أو معداتهم .. فى حين بدأت طلائع قوات الحلفاء الدخول إلى الأراضى الكويتية المحررة وكان المواطنون يستقبلونها بالهتافات والأهازيج بدموع الفرح ، وكذلك المواطنون خارج الكويت فقد ضاقت بهم الشوارع فى المدن التى يقيمون فيها وهم يطوفون فى مهرجانات ليلاً ونهاراً ، فاحتفالهم هذا ليس عادياً .. انه عودة الوطن والهوية بعد أن أخفاها العراق سبعة أشهر .

وأنا فى الخرطوم فى غمرة فرحتى رفعت علمين كبيرين بعرض ثلاثة أمتار وبطول ثمانية أمتار يغطيان واجهة السفارة إلى جانب الأعلام الصغيرة التى ترفع عادة فى الأفراح ونستقبل جموع من السودانيين على شكل مظاهرات عفوية ودون تنظيم ، شخصيات سياسية وغير سياسية ، كذلك العميد عثمان أحمد حسن رئيس اللجنة السياسية ، قد طلبنى إلى مكتبه فى اليوم الأول للتحرير ليبلغنى التهنئة الرسمية لتحرير الكويت ، كما طلبنى فى اليوم التالى للتحرير العميد « إبراهيم نائل إيدام » عضو المجلس العسكرى وزير الشباب والرياضة ، وأبلغنى التهنئة واستعداد وزارته أن تبعث بأى عدد من الشباب السودانى للمشاركة فى إعادة تعمير ما دمره العراق ، كذلك طلبنى الدكتور شاكر السراج وزير الصحة ، وأبلغنى تهنئته ، واستعداد وزارته للمشاركة بإرسال بعثة طبية لعلاج المصابين ، وتخفيف حجم المعاناة عن المواطنين الكويتيين الذين تضرروا من الغزو .

وفى السفارة وعلى مدى أسبوعين كنت أنا وزميلى نستقبل المهنئين ومنهم وفد ضم كبار قساوسة الكنيسة القبطية ، واختتمت هذه الإستقبالات بإقامة حفل عشاء كبير أمام مبنى السفارة مساء يوم الرابع عشر من شهر مارس ١٩٩١ م ، حيث أقمنا سرادقاً كبيراً زيناه بالأعلام ولمبات الزينة وصور الامير وولى العهد ، وأبيات من الشعر مما تغنى بها المطربون الكويتيون بعد التحرير . وأذكر مقطعاً من إحدى هذه القصائد قيل فيه :

الله أكبـــــــر يا كويت ..   الفرحـــة عانـــقت كل بيت
ان الكـــــويت بجابــــــر   وبسعدهـــا يا من أبـــــيت

وقد أضفتُ إلى هذين البيتين بيت الشعر التالى من تأليفى :

إن الكـــــويت لأهلهــــــا   تبت يداك يا من غزيت

وقد حضر حفل العشاء هذا أكثر من ثلاثة آلاف مدعو وأغلب الوزراء فى مقدمتهم وزيرا الخارجية والإعلام ، وعدد من أعضاء المجلس العسكرى الحاكم ، وقد حضر العقيد محمد الأمين خليفة نيابة عن مجلس قيادة الثورة والعميد عثمان أحمد حسن ، والعميد دومنيك كاسيانو ، والعقيد مارتن مالوال من أعضاء المجلس العسكرى للإنقاذ الوطنى وقدمت فرقة وزارة الإعلام للفنون الشعبية عروضاً فنية للمشاركة فى هذه المناسبة .

بعد هذا الحفل توجهت فى اليوم التالى إلى الأستاذ عبد الله محمد أحمد وزير الإعلام وشكرته على مشاركة فرقة الفنون الشعبية فى حفل تحرير الكويت . وطلبت منه عودة اسم الكويت إلى خريطة نشرة الأحوال الجوية التى يذيعها التليفزيون السودانى حيث أنه كان قد رفع اسم الكويت من النشرة خلال فترة الإحتلال العراقى للكويت فى عهد الوزير خوجلين وقد استجاب الوزير على الفور .

فى السادس من أبريل غادرت الخرطوم إلى الرياض بناء على طلب وزارة الخارجية الكويتية ، وكان ذلك فى أواخر شهر رمضان ، وفى الرياض التقيت بمسئولى وزارة الخارجية الكويتية وأبلغت وكيل الوزارة أننى سأتوجه للكويت ، وفى هذا الوقت لم يكن يسمح بعودة المواطنين الكويتيين إلى وطنهم إلى أن يتم تنظيف الأراضى من الألغام والمتفجرات .. وكان الدخول لا يتم إلا بتصريح من محافظ الأحمدى الشيخ على عبد الله السالم الصباح الذى كان يقيم فى المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية فتوجهت إلى هناك وأخذت منه إذناً خطياً بالدخول لأقدمه فى مركز الخروج عند المرور للدخول إلى الكويت .

وقدت السيارة ودخلت .. وكم هالنى ما رأيت ، فمنذ أن دخلت من الحدود الكويتية حتى العاصمة رأيت على إمتداد الطريق وطوله أكثر من ١٤٠ كيلو مترا بقايا السيارات والمدرعات وحاملات الجنود العراقية ، محترقة على جانبى الطريق ، والخراب الذى تم فى الشوارع والمبانى والطرق التى تكسرت بمجنزرات الدبابات .

وقبل الدخول إلى الكويت كانت الأدخنة متصاعدة من حقول الآبار ، تغطى مساحة ١٢٠ كيلو مترا تقريباً داخل الأراضى السعودية قبل الحدود مع الكويت ، و ٣٠ كيلو مترا داخل الأراضى الكويتية ، وأحدثت ظلاماً دامساً فى وسط النهار ، وكنت أسير على ضوء السيارة ولم أكن أرى أكثر من أمتار .. أما الحيوانات التى كانت ترعى فى تلك المنطقة فقد أصبح لونها رمادياً داكناً من أثر الدخان المنبعث من آبار النفط الذى غطى أجسامها .

وعندما وصلتُ إلى الكويت العاصمة لم يكن بها كهرباء أو ماء ، والطوابير من المواطنين تصطف أمام المخابز لتحصل على رغيف . وساءلت نفسى إزاء هذا المشهد أصحيح أننى فى الكويت ؟ .. البلد التى لم يكن ينقصها حتى الكماليات يقف فيها اليوم المواطنون على هذا النحو للحصول على رغيف ! . ولكن نحمد الله فقد استطاع الشعب الكويتى أن يتغلب على محنته بالصبر ورفضه للعدوان ومقاومته لقوى البغى والإحتلال . فرغم هذه الصورة القاسية التى رأيتها فى الكويت عقب التحرير مباشرة كانت الفرحة هى الأكبر ، فطالما عادت الكويت فكل شىء سيعود .

أقمت بالكويت حتى الشهر الثامن ، وبدأت الدولة تعيد تنظيم نفسها . وكانت السيارات الكبيرة منذ اليوم الأول للتحرير لا تنقطع ، حاملة مختلف أنواع المواد الغذائية والمياه الصحية قادمة من المملكة العربية السعودية ومن دول الخليج الأخرى ، وبدأ المواطنون الذين كانوا يقيمون بالخارج يعودون براً وجواً ، والكل مشغول مع نفسه ، يرمم ويصلح ما تلف فى بيته . وأطرف ما سمعت فى الكويت أن منزل وكيل وزارة الأوقاف حوله الغزاة إلى « بار » ومنزل وزير الأوقاف حول إلى نقطة شرطة ومقراً لقيادة عراقية لأنه يقع على مفترق طرق ، وعند انسحابهم من الكويت لم يتركوا شيئاً فى ذلك المنزل ونقلوا أثاثه معهم .

الإعلام السودانى بعد التحرير

بعد تحرير الكويت لم يغير الإعلام السودانى موقفه ، بل حاول أن يشغل الرأى العام السودانى فى الداخل بمواضيع وهمية ليصرف نظر المواطن عن الحديث عن التحرير ، ذلك أن الإعلام السودانى قد نشر نقلاً عن جريدة « الاندبندنت » البريطانية فى ٣ مارس ١٩٩١ ، مايفيد أن مواطنين سودانيين تعرضوا لأعمال بشعة من الكويتيين شملت القتل والاعتقال والاغتصاب وتعذيب النساء وأولادهن .

وقالت الصحف المحلية نقلاً عن الصحيفة البريطانية التى نشرت الخبر ـ نقلاً عن شاهد عيان ، كيف اغتال ستة كويتيين ملثمين مواطناً سودانياً فى الطريق العام بينما أوقفوا زوجته عارية وكانوا يطلقون النار فى اتجاهها .

وقال مراسل الصحيفة البريطانية أن الكويتيين قالوا له أن هذه الإعدامات ستكون بداية لسلسلة طويلة ، وأشار كاتب المقال إلى أن القوات السعودية التى تسيطر على المنطقة لم تتدخل لوقف مثل هذه الأعمال التى استهدفت السودانيين والفلسطينيين وغيرهم .

فى اليوم التالى دعانى مدير الإدارة السياسية بوزارة الخارجية السودانية السفير عبد الماجد بشير الأحمدى وأطلعنى على نص هذا المقال فدهشت ، وقلت له اننى استبعد أن يقوم كويتى بعمل كهذا ، وإنه إن كان قد حدث يصبح تصرفاً شخصياً فى غياب الحكومة ، وحضر هذا اللقاء السيد عثمان نافع مدير الإدارة العربية بالوزارة .

وذهبت إلى مكتبى وأرسلت إلى مدير الادارة السياسية رداً رسمياً نصه ما يلى :

١٩٩١/٣/٧

سعادة السفير

تحية من عند الله مباركة وبعد ..

أشكر لسعادتكم حرصكم على كل ما من شأنه توثيق العلاقة بين السودان الشقيق وأشقائه الدول العربية من موقعكم على رأس هذه الإدارة الهامة فى وزارة الخارجية وما اتصالكم بى وإطلاعى على ما نشرته جريدة « الاندبندنت » البريطانية فى مكتب سعادة وكيل أول وزارة الخارجية الا تأكيداً على هذه المشاعر النبيلة تجاه الأشقاء .

بعد عودتى إلى مكتبى قرأت نص المقال فإذا بى أتبين ، وبما لا يدع مجالاً للشك أن هذا المقال مدسوس ولا صحة له ، وقد أريد به الفتنة بين الشعبين الشقيقين وذلك للأسباب التالية :

١ ـ ان كاتب المقال لم يذكر اسم شاهد العيان وجنسيته وعمله .
٢ ـ شاهد العيان لم يذكر اسم الزوج القتيل ولا إسم الزوجة المعتدى عليها .
٣ ـ شاهد العيان لم يحدد ساعة ومكان وتاريخ وقوع الحادث .
٤ ـ شاهد العيان ذكر أن الذين قاموا بهذا العمل ملثمون كويتيون ، كيف تبين لكاتب المقال أنهم كويتيون ؟!

وعليه أرجو أن أؤكد إلى علم الوزارة الموقرة أن هذا مقال مدسوس قصد به إحداث شرخ فى العلاقات الطيبة المتميزة بين البلدين الشقيقين على المستويين الرسمى والشعبى لأنه ليس من أخلاق المواطن الكويتى أن يقوم بعمل كهذا ، وأرجو فى الوقت نفسه إن كان لدى الوزارة الموقرة أى تفاصيل أو معلومات أخرى تؤكد صحة ما نشر التفضل بإفادتى .

وتقبلوا فائق احترامى ..

عبد الله السريع
سفير دولة الكويت
الخرطوم

معنون إلى سعادة السفير عبد الماجد بشير الأحمدى
مدير الإدارة السياسية ، وزارة خارجية جمهورية السودان الشقيقة

وقد أرسلت من هذا الرد الرسمى صورة لكافة الصحف المحلية إلا أنها تمسكت بما نشرته الصحيفة البريطانية ، وبلغ الحد إلى أن الخطباء فى المساجد يوم الجمعة أشاروا إلى ما نشرته الصحيفة البريطانية وقد روجت له الصحف المحلية ، كما أن حاكم الإقليم الأوسط العقيد سليمان محمد سليمان قال فى لقاء جماهيرى حضره الفريق البشير فى واد مدنى عاصمة الإقليم بمناسبة يوم الحصاد ، وقد دعيت له ، أشار فى كلمته وأسهب بدعوة المواطن السودانى الذى يعمل فى الخارج العودة إلى وطنه حفاظا على كرامته وعرضه الذى يمتهن فى بعض الدول ، وكان مفهوماً أن الكويت هي المقصود بهذا ، فلم أحاول بعد أن أنهى كلمته أن أناقشه أو أنفى له هذا ، لأنى أبلغت هذا النفى رسمياً لوزارة الخارجية السودانية .

حتى أن سفير فلسطين (أبو رجائى) فى آخر شهر مارس كتب مقالاً من صفحة كاملة فى جريدة « الإنقاذ الوطنى » تحدث فيها عن الفلسطينيين الذين يتعرضون للقتل والسحل فى الشوارع الكويتية الذى يفضى إلى الموت .

فرددت عليه بنفس القدر فى صفحة كاملة أنفى فيه كل هذه المزاعم .

وتبين أن المواطن السودانى الذى قيل أنه قتل واغتصبت زوجته لم يقتل ولم تتعرض زوجته لأى اعتداء ، إنما قبض عليه وحقق معه لأنه كان ضابطاً فى الجيش السودانى برتبة نقيب وذهب إلى العراق وعمل هناك وهو بعثى ، وحضر من بغداد ليتعاون مع المحافظ الذى عينه صدام على الكويت ، وأن هذا المواطن السودانى قد غادر الكويت هو وأسرته .

أسـباب الغـزو

والآن .. يمكن أن نتساءل لماذا غزا صدام حسين الكويت ، وما هى الأسباب الحقيقية وراء هذا الغزو ، ولماذا أيدته بعض الأحزاب الإسلامية .

بالنسبة لى كمواطن خليجى أعرف ما يدور فى عقل صدام حسين من رغبات فى التوسع ، فهو يحب أن يرى نفسه محاطاً بهالة من الأبهة والتمجيد ، ولكى يحقق طموحاته هذه فإنه لا يمانع حتى فى غزو بلد اخر ، وحتى لو كان ذلك على حساب مواطنيه فى العراق . فنحن نسمع ونشاهد ما تنقله وسائل الإعلام المختلفة إزاء ما يفعله بأبناء وطنه فى شمال العراق وجنوبه ، وما يريقه من دماء . ولم يسلم منه حتى الأطفال والنساء والشيوخ ، وقد استخدم ضدهم أسلحة منعت دوليا مثل الأسلحة الكيماوية وقنابل النابالم والقنابل العنقودية .

وبما أن طموحاته تهدف أن تكون له دولة كبرى إلا إن حربه مع إيران قد استنزفت كل موارده المادية ، وتحولت بلاده إلى دولة مدينة ، كانت تمتلك قبل أن يتسلم صدام السلطة رصيداً نقدياً يبلغ أكثر من ٣٦ مليار دولاراً ، أما الآن فهو يعانى من ديون تبلغ عشرات المليارات من الدولارات بعد حربه التى افتعلها مع إيران ، دامت ثمان سنوات واستهلكت عشرات الآلاف من البشر ، قتلى ومشوهين . وبعد أن قام بغزوه للكويت أعلن أنه يقبل اتفاقية الجزائر التى وقعت مع إيران عام ١٩٧٥ .

يعلم صدام أن الشريط الممتد من جنوب العراق إلى منطقة الظهران شرقى المملكة العربية السعودية يحتوى على نحو ٢٥ بالمائة من نفط العالم وعلى حوالى ٦٠ بالمائة من نفط الأوبيك ، وهذا الشريط يدخل فيه الكويت ودولة الإمارات العربية المتحدة ، وشرق المملكة العربية السعودية إضافة إلى دولتي قطر والبحرين . وبما أنه يملك عتادا ضخما من كافة أنواع الأسلحة ومليون جندى متمرس ومتدرب على القتال ، فهو يعتقد أنه قادر على أن يحتل هذا الشريط ، لذلك فكر فى وضع جدول ينتهى فيه إلى غزو الكويت ، وبعد أن يستقر الأمر له فيها يتقدم إلى دول الخليج ، واحدة تلو الأخرى ، لأن صدام يمنى نفسه بامتلاك هذا الشريط الغنى ، ان لم يكن اغنى بقعة نفطية فى العالم ، ليتحكم من خلاله باحتكار سعر وتسويق النفط ، إضافة إلى شريط ساحلى على البحر يزيد طوله على (٤٥٠) كيلو مترا يضم أهم موانىء تصدير النفط فى العالم .

وكان أول بند فى خطته هذه هى الدعوة إلى عقد اجتماع لوزراء النفط فى منظمة الأوبيك ، وقد عقد هذا الاجتماع فى ابريل عام ١٩٩٠ بمقره فى جنيف ،

وفى هذا الاجتماع طالب وفد العراق برفع سعر برميل النفط من ١٨ إلى ٢٥ دولارا وأن تخصص كل دولة من إيراد نفطها نسبة مئوية لمساعدة الدول النامية الفقيرة .

ان العراق كدولة لم يقدم مشروعا تنمويا واحداً فى أى بلد ، وبالتالى فإن دعوته هذه تعتبر فى رأيى هى التمهيد الأول لغزوه للكويت ، لأنه بهذه الدعوة أراد أن يكسب تعاطف الدول الفقيرة معه .

أما الخطوة الثانية فإنه دعا إلى مؤتمر قمة عربى فى بغداد ، وفى هذه القمة بدأ الرئيس العراقى يلمح إلى أن هناك دولا عربية لم يحدد أسماءها تعمل على تخريب الاقتصاد العراقى ، فرد عليه القادة العرب أنه مخطىء فى ظنه هذا ، وصدام يعلم هذا ، إنما أراد فقط أن يضع الخطوات التمهيدية حسب ترتيبها لما يدور فى ذهنه .

وكانت أجهزته الخاصة ـ فى الوقت نفسه ـ تقوم بتوزيع هدايا عينية ومادية على بعض الإعلاميين والسياسيين فى دول عربية وغير عربية كوسيلة لكسبهم إلى جانبه عندما يغزو الكويت إضافة إلى المهرجانات الأدبية والثقافية التى كان يدعو لإقامتها فى بغداد ، وقد بلغت قيمة هذه الهدايا التى وزعها فى عامى ٨٨ و ٨٩ مبلغ (٨٧٠) مليون دولارا تقريباً .

وفى خطوته الثالثة كان أكثر صراحة حيث حدد الدول التى يتهمها ، وذلك فى مذكرته التى بعث بها إلى أمين عام جامعة الدول العربية فى شهر يوليو عام ١٩٩٠ متهماً فيها كلا من دولة الكويت ودولة الإمارات العربية المتحدة ، بأنهما ـ على حد قوله ـ خربا الاقتصاد العراقى بتخفيضهما أسعار بيع النفط وزادا من إنتاجهما ليفيض السوق مما يساعد على تخفيض السعر ، كما اتهم الكويت بأنها تسرق حقل نفط « الرميلة » على الحدود مع العراق خلال حربه مع إيران ، ويطالبها بتعويض قدره ٢,٥ مليار دولاراً.

وكانت مفاجأة مذهلة لم تتوقعها الكويت ولا دولة الإمارات ولا أى بلد عربى آخر ، فكيف يقول صدام هذا ، وشعبه يعلم ماذا قدمت الكويت له فرد المسئولون الكويتيون على الفور بمذكرة للجامعة العربية وطالبوا بتشكيل لجنة تحضر إلى الكويت لتحقق فى هذه الاتهامات .

وقد رفض العراق تشكيل هذه اللجنة لأن صدام يعلم بعدم صحة ما يدعى ، لذا فإنه لا يريد افتضاح أمره . وعلى أثر ذلك تحرك القادة العرب لاحتواء الموقف الذى ظهر فجأة على الساحة العربية ، لكن العراق لم يبد تحمساً لهذه

الوساطات والنداءات فقد حشد قواته على الحدود العراقية الكويتية وشغل العرب وغير العرب عن هذا الموضوع بتصريحه الذى أعلنه بأن بغداد سوف توجه ضربة إلى اسرائيل وتقضى على نصفها ، وذلك تغطية وتبريراً لتواجد حشود قواته على الحدود الكويتية ليظن الكويتيون وغيرهم من العرب أن هذا الحشد ، إنما المقصود به هو اسرائيل وليس الكويت .

أخيرا نجح خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز عاهل المملكة العربية السعودية بإقناع صدام أن يجتمع وفد عالى المستوى من العراق مع وفد مماثل من الكويت ، وتحدد لهذا الإجتماع حسب طلب العراق الأول من أغسطس ١٩٩٠ ، وذهب الوفدان الكويتى يرأسه سمو ولى العهد الشيخ سعد العبدالله السالم الصباح رئيس مجلس الوزراء على رأس وفد كبير فيه مؤرخون وسياسيون وقانونيون واقتصاديون ، وذهب العراق بوفد من ثلاثة أشخاص فقط برئاسة طه ياسين رمضان نائب الرئيس العراقى . وقد ذهب بهذا الحجم الصغير مجاملة لخادم «الحرمين الشريفين» الملك فهدبن عبدالعزيز وللتغطية عما يدبره رئيس النظام العراقى ، ذلك أن لقاء صدام مع ابريل جلاسيو سفيرة الولايات المتحدة قبل أربعة أيام من العزو قد كشف عن نواياه عندما سأل عن موقف أمريكا فى حالة إذا ما حصل اعتداء بين العراق والكويت .

وفى الإجتماع الذى عقد فى جدة بدا واضحاً أن الوفد العراقى لم يحضر ليناقش بل ليحدد طلبات العراق كما جاء فى الورقة التى قدمها وبها شروط بلاده ، فأجابه الشيخ سعد أننا حضرنا هنا لنجتمع بكم ولنناقش معكم ما اتهمتمونا به لا لنستمع إلى شروطكم ، فرد رئيس الوفد العراقى بأنه ليس عنده ما يضيفه ، فاقترح الجانب الكويتى رفع الجلسة على أن تنعقد مرة أخرى لمزيد من التشاور إما فى الكويت أو فى جدة أو فى بغداد .

وعاد الوفد الكويتى فى حوالى الساعة السادسة مساء إلى وطنه ، فى حين بدأت القوات العراقية تدخل الأراضى الكويتية غازية عند منتصف الليل .

وهكذا اتخذ صدام لنفسه عدة خطوات ليخفى نواياه تجاه غزو الكويت ، وهو عندما يحتل هذه المنطقة بدءاً من الكويت ثم الدول الخليجية الأخرى يحصل على مزيد من الأرض بحجم العـراق تقريبـاً ، ويمتلك أكبر بقعة نفطيـة فى العالم ، ويستفيد من إمتداد بحرى يزيد طوله على ٤٥٠ كيلو مترا إضافة إلى أكبر موانىء نفط عالمية فى الكويت والبحرين وفى الإمارات والمملكة العربيـة السعودية ، وبذا كان صدام يمنى نفسه للسيطرة على نفط العالم والتحكم فى أسعاره وأسواقه .

هذا من جانب رؤية صدام حسين وطموحاته ، أما بعض الإسلاميين الذين أيدوه مثل الجبهة الإسلامية فى السودان والإسلاميون فى الجزائر ومصر والأردن واليمن وموريتانيا وتونس ودول الخليج فإن هؤلاء كلهم بمثابة تنظيم واحد تحت أسماء مختلفة ، ووجهة نظرهم واحدة والتعاون بينهم وثيق ومتصل حتى فى الدول التى تنظم فيها الإنتخابات يدعمون بعضهم بعضا فى التمويل الانتخابى .. وهذا التنظيم فى الدول العربية وفى الدول الإسلامية الأخرى ، يسعى لقيام الدولة الإسلامية الواحدة ، لذا وجدوا فى صدام حسين الأداة التى يمكن أن تقوم بهذا الدور ، فهم يعلمون أنه رجل علمانى ولا يتفق مع أصولهم الدينية ، إلا أنهم يعلمون طموحات صدام التوسعية وأنه يملك أسلحة هائلة تمكنه من ذلك بالاضافة إلى العتاد والرجال .. إذن ليقفوا معه ويساندوه ليحقق لهم ما يطمحون له ، وبالنسبة لهم فإنه بعد أن يحقق صدام لهم ذلك ، ويخلصهم من حكام الخليج ، يتخلصون هم منه بشكل أو بآخر .

وهنا أقول إن طموح هذه الجماعات الإسلامية فى إسقاط كافة الأنظمة العربية والسعى لإقامة الدولة الإسلامية لم يعد سراً ، وقد استمعت إلى ذلك من مسئول كبير فى الجبهة الإسلامية بالخرطوم عندما سئل عن طموحاتهم التى يسعون لتحقيقها من خلال حزبهم الدينى قال : إسقاط الأنظمة وقيام الدولة الاسلامية . فقلت له : حتى الكويت .. فنظر لى مبتسماً وقال هذه طموحات .

وفى المؤتمر الشعبى الإسلامى العالمى الثانى الذى انعقد فى أواخر أغسطس ١٩٩١ بالخرطوم قال الدكتور حسن الترابى بوصفه أميناً عاما لهذا المؤتمر فى كلمة الافتتاح « أنه على السلاطين أن ترحل ويتركوا شعوبهم تحكم نفسها » .

وهكذا التقت أحلام صدام جسين مع طموحات هؤلاء الإسلاميين فكان تأييدهم له .

..وغادرت الخرطـوم

فى أواخر الشهر السابع من عام ١٩٩١ أُبلغت أنه صدر قرار نقلى كسفير للكويت فى السودان إلى ديوان وزارة الخارجية فذهبت فى أوائل شهر أغسطس إلى الخرطوم حيث قمت بجمع ما يخصنى من ملابس وأشياء خاصة ، وفى يوم الرابع والعشرين من نفس الشهر غادرت الخرطوم نهائيا .

ومن الأشياء التى تركت أثراً فى نفسى تلك الرسالة التى تلقيتها من الموظفين السودانيين العاملين بالسفارة لما احتوته من مشاعر طيبة تعكس مشاعر كل الشعب السودانى تجاهى ، وأنقل فيمايلى نص الرسالة كما تلقيتها :

سفارة دولة الكويت
الخرطوم
الرقم :
التاريخ : ١٩٩١/٨/٢٢

سعادة الأخ الكريم عبدالله السريع .. المحترم
فلتصحبك السلامة ياأبو صالح أينما حللت .

يعز علينا نحن العاملين معكم بسفارة دولتكم الشقيقة أن نودعكم وأنتم تغادرون إلى موقع آخر من مواقع الوفاء والعطاء ولكن عزاءنا أنك أصبحت واحدا منا .. سودانى بطبعك وخصالك ، ويكفيك فخرا ما قدمته للشعب السودانى ومايكنه هذا الشعب لك من المحبة والعرفان والتقدير .

اننا ياسعادة السفير نأمل ونحن اليوم نودعك أن تظل ذكرى الأيام والسنين التى قضيتموها فى السودان أريجا وعطرا يلطف ويعضد العلاقات الاخوية بين شعبينا الشقيقين وأننا لعلى ثقة أنكم ستعملون ومن خلال موقعكم الجديد فى إعادة الثقة والوئام بين شعبينا .

نتمنى لكم ياسعادة السفير كل الخير والنجاح فى موقعكم الجديد والصحة والعافية لكم ولأسرتكم الكريمة .

العاملون بسفارة دولة الكويت
الخرطـــوم

بعد مغادرتى مطار الخرطوم ، قامت السفارة بابلاغ الخارجية السودانية بانتهاء فترة عملى كسفير لدولة الكويت فى السودان .

بسم الله الرحمن الرحيم

سفارة دولة الكويت
الخرطوم
الرقم : ٢/١٠٧/٥ ـ ١١٥
التاريخ : ٩١/٨/٢٤

تهدى سفارة دولة الكويت أطيب تحياتها إلى وزارة الخارجية وتتشرف أن ترفق طيه صورة من تعميم قامت السفارة بتوزيعه على وزارة خارجية جمهورية السودان وكافة البعثات والمنظمات الدولية المعتمدة في الخرطوم تفيد بانتهاء فترة عمل سعادة السفير عبد الله السريع اعتبارا من يوم الأحد ٩١/٨/٢٥ كسفير لدولة الكويت فى السودان .

مع أطيب التمنيات ..

سفارة دولة الكويت
الخرطـوم

هاتف من الغـرب

وأنا فى نهاية عملى فى هذا الكتاب رن جرس الهاتف فى شقتى فى القاهرة ، فإذا بالمتحدث مواطن سودانى يكلمنى من بلد أوروبى وقال انه تعب حتى حصل على رقم هاتفى ، ويسألنى ان كنت سأمكث أياما أخرى فى القاهرة فإنه سيكون عندى خلال يومين أو ثلاثة لأن لديه أشياء هامة يريد أن يبلغنى إياها .

قلت له يمكنك أن تطلعنى باختصار على هذه المواضيع التى ترغب لقائى بشأنها فإن وجدتها مجدية أقول تفضل .. فبدا عليه التردد ، ولكن بالحاح منى قال باختصار ان لديه مشروع تجارى ضخم .. قلت : هذا ليس سرا .. قال : الموضوع المهم لا أستطيع التحدث عنه بالهاتف ، أقنعته بالا يدخل معى فى التفاصيل ، ولكن الخطوط العامة فقط . فقال : بما انك أقمت طويلا فى السودان وتعرفه جيداً فإن لدى خطة للاطاحة بنظام الفريق البشير ، وأريد أن آخذ رأيك فيها . قلت له : لا داعى لأن تكلف نفسك للحضور عندى ، فالمعارضة السودانية قريبة عندك فى لندن ويمكنك الإتصال بها . قال : لا أعرفها وإنى أثق بك . قلت : أنا لا أتدخل فى شئونكم الداخلية ، فلا أنا ولا الكويت مسئولين عن تغيير النظام فى السودان ، فتلك هى مسئولية الشعب السودانى .

فقال : أرجوك .. أتوسل إليك .. أن تنسى اننى اتصلت بك .

قلت له : اطمئن .. فإنى قد نسيت اسمك قبل أن أضع سماعة الهاتف .

خلال فترة عملى كسفير قمت بزيارة لسبع وأربعين دولة فى أوروبا وآسيا وأفريقيا ، ركبت فيها جميع خطوطها الجوية لأنى من عشّاق السفر للتعرف على عادات وتقاليد الشعوب .

الفهـــرس

السودان

(الطبيعية)

جمهورية مصر العربية

الجمهورية العربية الليبية

المديرية الشمالية

مديرية البحر الاحمر

مديرية شمال دارفور

تشاد

مديرية شمال كردفان

مديرية جنوب كردفان

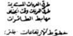
افريقيا الوسطى

المديرية الاستوائية

زائير

يوغندا

كينيا





طرق العربات المستديمة
طرق العربات وقت الجفاف
مهابط الطائرات

خطوط الارتفاعات (بالمتر)

رقم الايداع ١٩٩٢/٥٥٨٥

الطبعة الأولى
صفر ١٤١٣ هـ
أغسطس ١٩٩٢م

مطابع الأوفست
بشركة الإعلانات الشرقية

المـؤلف :

- عبد الله سَريِّع عبد الرحمن السَريِّع (عبد الله السَريِّع) .
- ولد عام ١٩٣٤ فى حى الصالحية بالكويت العاصمة .
- متزوج .
- بدأ حياته العملية موظفاً .
- انتدب من وزارة التخطيط عام ١٩٧٤ للعمل مديراً لمكتب دولة الكويت بجنوب السودان للإشراف على المشاريع المهداة من الكويت للإقليم التى تمولها الهيئة العامة للجنوب والخليج العربى .
- عين فى فبراير ١٩٨٤ سفيراً بوزارة الخارجية ثم سفيراً للكويت فى السودان ٨٤ ـ ١٩٩١م .
- منحه الرئيس نميرى عام ١٩٧٨ وسام النيلين من الطبقة الثانية ، عندما كان يعمل فى الجنوب .
- منحته جامعة جوبا عام ١٩٨١ شهادة الدكتوراه الفخرية بالآداب بمناسبة تخريج أول دفعة من طلابها مع عدد من الساسة السودانيين ومعهم المناضل ويلسون مانديلا ، تسلمها نيابة عنه سفير تنزانيا فى الخرطوم .
- منحته (واد مدنى) عاصمة الإقليم الأوسط حق المواطنة ، وذلك بمناسبة احتفالات الإقليم لدولة الكويت فى يونيو ١٩٨٩م .

من أعماله الأدبية :

- أصدر عام ١٩٨٦ كتاب (سنوات فى جنوب السودان) ، ما كتب عنه يحتاج لمجلد ضخم .
- ألف عدد من المسرحيات ذات الثلاثة فصول والفصل الواحد ، أخرَجَ منها المرحوم صقر الرشود مسرحية (الأول تحول) فى دولة الامارات ، ومسرحيتان اخرجتا فى السودان الأولى مسرحية (عروس حسب الظروف) اخرجتها الفنانة نعمات حماد والثانية مسرحية (جارة السوء) وقد أخرجها الفنان الفاضل سعيد .
- ألف فيلماً سودانياً إسمه (قبل فوات الأوان) فكرة الأستاذ عثمان حميدة ، تعديل وتأليف الكاتب ، كتب له السيناريو الأستاذ أحمد النمر ، وشارك فيه المؤلف ، (لم يُخْرَج بَعد) .
- يصدر له قريباً ديوان بعنوان (وحى الخاطر) يحتوى على قصص قصيرة وخواطر وتأملات وألوان من الشعر .
- كتب للتليفزيون ، كما قدمت له اذاعة الكويت الكثير من التمثيليات القصيرة .

مطابع الأوفست
بشركة الإعلانات الشرقية